

نظام  
حقوق المرأة  
في  
الاسلام

الشهيدآة الله رضى الظهري



منظمة الاعلام الاسلامي  
معاوية الرئاسة للعلاقات الدولية



- الكتاب : نظام حقوق المرأة في الاسلام.  
المؤلف : الشهيد مرتضى المطهري.  
المترجم : د. ابوزهراء النجفي.  
الناشر : معاونة العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي .  
الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص . ب ١٣١٣ / ١٤١٥٥ .  
المطبعة : سپهر - طهران .  
الطبعة : الثالثة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م  
عدد النسخ : ٥٠٠٠ نسخة

## مقدمة الناشر

### بسم الله الرحمن الرحيم

الشهيد السعيد الشيخ مرتضى المطهري علم فذ من أعلام الفكر والأدب الذين تحزّجوا في المدرسة المحمدية ومدرسة أهل البيت عليهم السلام. سعى إلى تطبيق ما تعلّمه في تينك المدرستين على الواقع الخارجي. انخرط في صفوف الجماهير المستضعفة والمحرومة فعاش آلامها ومشاكلها. وولج صفوف الطبقات المثقفة فتحمّس معاناتها وأطلع على متاهاتها ومنزلقاتها، فأخذ يصف لكل داء دواءه الناجع، شأنه في ذلك شأن الطبيب الحاذق، وكتب في كل فن ما يناسبه ولكل طبقة ما يلائمها. حتى الأطفال لم يُحرّموا من فيض علمه الغزير.

ولقد ارتفعت حمى تغيير القوانين المدنية في إيران (عام ١٣٤٥ هـ . ش-١٩٦٦م) فيما يخص حقوق الأسرة في جميع المجالات خصوصاً المجالات النسائية، ونظراً لأن أكثر الاقتراحات التي طرحت كانت مخالفة لصريح نصوص القرآن الكريم فقد أوجدت حالة من التئمّر وعدم الارتياح لدى مسلمي إيران، وكان القاضي إبراهيم المهدي الزنجاني - عفا الله عنه - يثير الغبار أكثر من غيره حول هذا الموضوع، ويظهر الحماس الشديد تجاهه، وقد نشر لائحة من أربعين مادة بهذا الخصوص في مجلة «زن روز» ووعده بالدفاع عن لائحته بالأدلة والبراهين.

في هذا الظرف بالذات قرر الشهيد المطهري مناقشة اللائحة المذكورة مناقشة علمية ولكن بطريقة مبسطة وذلك بعد أن أخذ على مسؤولي مجلة «زن روز» عهداً بنشر كل ما يكتبه في هذا المجال وبشكل سلسلة مقالات في نفس المجلة وفي الصفحة المقابلة لكتابة السيد المهدي المذكور وقد وفي مسؤولو

المجلة بوعدهم.

ونتيجة لكل ما دار من مناقشات في مجال حقوق المرأة في الاسلام كما  
سَطَّرها الشهيد المطهري ظهر هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ والذي  
يعالج الموضوع بشكل أساسي ومتكامل من وجهة نظر الاسلام.  
والجدير بالذكر أنَّ هذا الكتاب كان قد طبع مرتين بعد ترجمته من  
الفارسية الى العربية، مرة في طهران وأخرى في بيروت وقد نفذت النسخ المطبوعة  
في مدة قصيرة. لذا بادرنا الى طبعه مرة ثالثة نظراً للإقبال الشديد عليه.  
فإلى مطالعة هذا الكتاب واقتباس الدروس النافعة منه ندعو كل طالب  
للحس والحقيقة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

معاونة العلاقات الدولية

في منظمة الاعلام الاسلامي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

بسمه تعالى

تقتضي متطلبات هذا العصر أن يعاد تقويم كثير من المسائل، والأ يكتفى بالتقويمات القديمة، و «نظام الحقوق والواجبات الأسرية» من جملة هذه المسائل. في هذا العصر، ولأسباب سأشير إليها لاحقاً، أفترض أن تكون المسألة الأساسية في هذا الباب هي «حرية المرأة» و «حق المساواة» بين المرأة والرجل، وان جميع المسائل الأخرى متفرعة عن هاتين المسألتين.

أما في نظرنا، فان المسألة الأساسية في باب «نظام حقوق الأسرة» - أو على الأقل في مرتبة المسائل الأساسية - هي ان نظام الأسرة هل هو نظام مستقل عن باقي النظم الاجتماعية؟ وهل هو معيار خاص به يختلف عن المعايير المتبعة في سائر النظم الاجتماعية؟ ام ليس هناك أي فرق بين هذه الوحدة الاجتماعية وبين سائر الوحدات الأخرى، وهو محكوم بنفس المنطق ونفس الفلسفة ونفس المعايير التي تحكم بقية الوحدات الاجتماعية؟

اساس هذا التردد هو كون ركني هذه الوحدة جنسين من جهة، وتوالي اجيال الوالدين والابناء من جهة أخرى. وقد منح الخالق تعالى أعضاء هذه الوحدة أوضاعاً متفاوتة وغير متساوية فيما بينها و كيفيات متباينة.

ومجتمع الأسرة مجتمع «طبيعي - وضعي» أي مجتمع وسط بين المجتمع الغريزي كمجتمع النحل والنمل الذي وضعت الطبيعة له حدوده وحقوقه و مقرراته فلا يزيغ عنها، والمجتمع الوضعي مثل مجتمع الحضارة الانسانية الذي يتميز بدرجة قليلة من الطبيعية والغريزية.

وكما نعلم فإن قدماء الفلاسفة كانوا يعدّون فلسفة الحياة الأسرية فرعاً مستقلاً من «الحكمة العملية» و يعتقدون بمنطق ومعيار خاصين لهذا الجانب من الحياة الانسانية. . وان افلاطون في رسالة «الجمهورية» وارسطو في كتاب «السياسة» وابن سينا في كتاب «الشفاء» قد نظروا الى هذا الموضوع من هذه الزاوية.

وفيما يخص حقوق المرأة في المجتمع، هناك ايضا تساؤل واستفهام فيما اذا كانت الحقوق الطبيعية والانسانية للمرأة والرجل متشابهة أم غير متشابهة. أي ان الخلق والطبيعة التي منحت الانسان مجموعة من الحقوق، هل جعلت هذه الحقوق جنسين أم جنسا واحدا؟ وهل وجدد «الذكورة» و «الانوثة» طريقها الى الحقوق والواجبات الاجتماعية أم ان الحقوق في نظر الطبيعة وفي منطق التكوين والخلق جنس واحد؟

\* \* \*

في الغرب، منذ القرن السابع عشر وما بعده، اقترنت النهضة العلمية والفلسفية بنهضة اجتماعية وباسم (حقوق الانسان). وقد نشط كتاب ومفكروا القرنين السابع عشر والثامن عشر بنشر أفكارهم بين الناس حول الحقوق الطبيعية والفطرية - غير القابلة للسلب - للبشر. ومن بين هؤلاء الكتاب والمفكرين جان جاك روسو وفولتير ومنتسكيو. وقد كان لهذه المجموعة من المفكرين فضل عظيم على المجتمع البشري، وقد يمكن القول: إن فضل هؤلاء على المجتمع الانساني لا يقل عن فضل المكتشفين والمخترعين الكبار.

وقد كان المبدأ الاساس الذي اعتمده هؤلاء المفكرون هو أن الانسان يستحق مجموعة من الحقوق والحريات بالفطرة، وبأمر الخلق والطبيعة. هذه الحقوق والحريات لا يمكن لاي فرد أو جماعة - تحت أي اسم او عنوان - سلبها عن فرد أو جماعة آخرين، وحتى صاحب الحق نفسه ليس له - طبقاً لهواه و ارادته - أن يحرم نفسه من هذه الحقوق ويهبها لغيره. كما أن جميع الناس: الحاكم والمحكوم.. الابيض والاسود... الغني والفقير؛ يتساوون في هذه الحقوق والحريات. وقد ظهرت ثمار هذه النهضة الفكرية والاجتماعية لأول مرة في انكلترا ثم في امريكا ثم في فرنسا «على شكل ثورات وتغيير في الانظمة ونشر بيانات» و انتشرت بالتدريج الى البلدان الاخرى.

في القرن التاسع عشر، ظهرت افكار جديدة ترتبط بحقوق الانسان في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحدثت تحولات اخرى انتهت بظهور الاشتراكية ووجوب منح الارباح الى الطبقات الكادحة وانتقال الحاكم من الطبقة الرأسمالية الى المدافعين عن الطبقة العاملة.

وحتى اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين، كان كل ما قيل حول حقوق الانسان أو ما نفذ عمليا في المجتمع هو ما يتعلق بحقوق الشعوب مقابل حكوماتها، أو حقوق الطبقة العاملة والكادحين مقابل أصحاب العمل.

وفي القرن العشرين طرحت مسألة «حقوق المرأة» في مقابل «حقوق الرجل» وأعلن بصراحة ولأول مرة - في لائحة حقوق الانسان التي نشرتها منظمة الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٨م - عن تساوي حقوق المرأة والرجل.

في جميع النهضة الاجتماعية في الغرب من القرن السابع عشر وحتى القرن الحالي، كان المحور الاساس لهذه النهضة: «التحرر» و «المساواة» ونظرا لان نهضة حقوق المرأة في الغرب جاءت في أعقاب سائر النهضة؛ كما أن تاريخ المرأة في اوروبا من ناحية الحريات والمساواة كان مشحونا بالمرارة، ففي هذا المجال ايضا لم تخن المرأة غير شعار «الحرية» و «المساواة».

وقد اعتبر رواد هذه النهضة تحرر المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق متما لهضة حقوق الانسان التي بدأت في القرن السابع عشر، وادعوا انه بدون تأمين حرية المرأة ومساواتها في الحقوق مع الرجل يصبح الكلام عن حرية وحقوق الانسان بلا معنى، اضافة الى ان جميع مشاكل الاسرة ناشئة عن عدم تحرر المرأة وعدم مساواتها بالرجل، وبتأمين هذ الجانب تحل مشكلات الاسرة كلها مرة واحدة.

في هذه النهضة، نسي ما كنا قد اعتبرناه «المسألة الاساسية في نظام حقوق الاسرة» وهو هل ان هذا النظام يبسطه - نظام مستقل، وله منطق ومعيار مستقلان عن منطق ومعيار باقي المؤسسات الاجتماعية ام لا؟ وانما الذي انصرفت اليه الاذهان هو تعميم مبدأ الحرية والمساواة على النساء في مقابل الرجال. وبتعبير آخر: في مجال حقوق المرأة كان موضوع البحث فقط «الحقوق الطبيعية والفطرية للانسان غير القابلة للسلب» لاغير. فكانت جميع الاحاديث

تدور حول مسألة: ان المرأة شريكة الرجل في الانسانية وهي انسان كامل ولذا يجب ان تستمتع - كالرجل، وفي المقابل - بالحقوق الفطرية للانسان غير القابلة للسلب.

وقد بحثنا في بعض فصول الكتاب مسألة: (مصادر الحقوق الطبيعية) بحثنا كافيًا. واثبتنا فيها أن اساس الحقوق الطبيعية والفطرية هو الطبيعة نفسها. أي ان الانسان اذا كان يتمتع بحقوق خاصة يفتمدها الحصان والخروف والدجاجة والسمكة فانما اساس ذلك الطبيعة والخلفة، واذا كان الناس جميعاً متساوين في الحقوق الطبيعية ويجب ان يحبو جميعاً «احراراً»، فانما اساس ذلك أمر متوفر في أصل الخلفة، وليس لذلك أي سبب آحر؛ والعلماء المناصرون للحرية والمساواة انما يطرحونها على أنها حقوق فطرية للناس وليس لديهم أي دليل غير ذلك. وبالطبع، فان المسألة لنظام الاسرة ليس لها مرجع غير الطبيعة.

والآن يجب أن ننظر لماذا لم تحز تلك المسألة - التي سمينها المسألة الاساسية لنظام حقوق الاسرة - اهتماماً كافياً؟ فهل تبين على ضوء العلوم العصرية ان تفاوت واختلاف المرأة عن الرجل هو اختلاف عضوي بسيط لا تأثير له في اساس بناء جسميها وروحيتها ولا في الحقوق التي يجب ان يتمتع بها أو المسؤوليات التي يجب ان يتعهدا بها؟ وعلى هذا الاساس لم تفتح الفلسفة الاجتماعية الحديثة حسابين منفصلين لهما؟

ومن غرائب الصدق ان القضية على عكس ما ذكر، فان الاختلاف بين الجنسين قد أصبح أوضح على ضوء الاكتشافات العلمية والحياتية والنفسية وقد بحثنا ذلك في بعض فصول هذا الكتاب مستندين الى تحقيقات علماء الاحياء والفسيوولوجيين وعلماء النفس، ومع ذلك كله فقد أمست المسألة الاساسية مغمورة وطي النسيان وهذا ما يثير العجب.

وقد يكون سبب هذا الانصراف عن المسألة الاساسية هو أن هذه النهضة تمت بسرعة كبيرة، ولذلك فانها في الوقت الذي انقذت المرأة من جملة تعاسات، اضافت تعاسات جديدة لها وللمجتمع البشري. وسنرى في فصول هذا الكتاب أن المرأة الغربية كانت حتى أوائل القرن العشرين محرومة من أبسط الحقوق، ولم تفكر شعوب الغرب بتلافي ذلك الا في بداية هذا القرن، ولما كانت النهضة النسوية تبعاً لباقي النهضات التي قامت على اساس «الحرية» و«المساواة»، فقد طلبوا بهاتين

الكلمتين جميع المعجزات، غافلين عن كون الحرية والمساواة انما ترتبطان بروابط البشر ببعضهم من ناحية كونهم بشرا وبتعبير انصار «الحرية والمساواة حق للانسان بما هو انسان» ان المرأة من ناحية كونها انسانا، قد خلقت - ككل انسان آخر - حرة وتتمتع بحقوق مساوية لباقي حقوق الناس، لكن المرأة انسان بكيفية خاصة والرجل انسان بكيفية اخرى، والمرأة والرجل «متساويان» في الانسانية لكنها نوعان من الانسان، بنوعين من الخواص ونوعين من الصفات النفسية. وهذا الاختلاف ليس ناتجا عن عوامل جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية، انما مخطط ذلك قد نقش في أصل الخلق. إن للطبيعة من وراء صنع نوعين من الانسان هدفاً معيناً، وكل عمل ضد الطبيعة والقطرة لا بد أن يؤدي الى عوارض غير مرغوبة. ونحن كما استلهمنا من الطبيعة فكرة حرية الانسان والمساواة بين الناس - بما في ذلك المرأة والرجل - كذلك يجب أن نستلهم منها درس «النوع الواحد» او «النوعين» في حقوق المرأة والرجل، وهل ان مجتمع الاسرة هو مجتمع نصف طبيعي - على الاقل - ام لا؟ وعلى الاقل فان مسألة كون الحيوانات - ومنها الانسان - جنسين هل هو من قبيل الصدفة أم ضمن مخطط الخلق، مسألة تستحق البحث. وهل اختلاف هذين الجنسين اختلاف سطحي وعضوي ام كما يقول الكسيس كارل ان كل خلية من خلايا الانسان تحمل علامة جنسية؟ وهل في منطق ولغة القطرة أن يحمل كل من المرأة والرجل رسالة خاصة به أم لا؟ والحقوق هل هي نوع واحد أم نوعان؟ وهل الأخلاق والتربية جنسان أم جنس واحد؟ وماذا عن العقوبات وكذلك المسؤوليات والرسالات؟

في هذه النهضة لم يُلتفت الى ان هناك مسائل اخرى مؤثرة غير الحرية والمساواة، الحرية والمساواة شرطان لازمان لا كافيان. فتساوي الحقوق شيء وتشابهها شيء آخر، وتساوي حقوق المرأة والرجل من حيث القيمة المادية والمعنوية شيء والتشابه والتماثل شيء آخر.

في هذه النهضة حل «التساوي» محل «التشابه» و«المساواة» محل «التماثل». واختفت «الكيفية» في ظل «الكمية». كون المرأة «انسانا» أدى الى نسيان كونها «امرأة»

والحقيقة ان هذا الاهمال لا يعزى الى غفلة فلسفية ناشئة عن العجلة. بل هناك عوامل اخرى ايضا مؤثرة تتعلق بالرغبة في استثمار عنوان «الحرية» و

## «المساواة» للمرأة.

من هذه العوامل؛ مطامع الرأسماليين. فاصحاب المعامل من أجل اجتذاب المرأة من البيت الى المعمل واستثمار طاقتها اقتصاديا، رفعوا شعارات: حقوق المرأة، الاستقلال الاقتصادي للمرأة، حرية المرأة، مساواة المرأة بالرجل في الحقوق. وكان هؤلاء الرأسماليون هم الذين جعلوا هذه الشعارات: الصفة الرسمية القانونية.

ويل ديورانت - في الفصل التاسع من كتاب لذات الفلسفة - بعد ان يذكر بعض الآراء التي تحتفر المرأة عن ارسطو ونيتشه وشوينهاور وبعض الكتب اليهودية المفدسة، و الاشارة الى ان الثورة الفرنسية بالرغم من حديثها عن تحرر المرأة، إلا أن تغييرا عمليا لم يحدث، يقول: «حتى حدود عام ١٩٠٠ م لم يكن القانون ليجبر الرجل على احترام المرأة» وعندها يتطرق الى اسباب تغير وضع المرأة في القرن العشرين، فيقول: «تحرر المرأة من آثار الثورة الصناعية» ويكمل حديثه قائلا:

«... كانت المعاملات أقل أحرار من العمال وكان اصحاب المعامل يفضلونهم على الرجال لكثرة تمردهم. قبل قرن من الزمان كان الحصول على عمل في انكلترا امرا عسيرا على الرجال لكن الاعلانات كانت تدعو الرجال الى ارسال نسائهم واطفالهم الى المعامل.. وكانت اول خطوة على طريق تحرير جداتنا تتمثل في قانون عام ١٨٨٢م اذ بموجب هذا القانون اصبحت نساء بريطانيا العظمى يتمتعن بميزة لم يسبق لها متيل هي أن من حقهن الاحتفاظ لانفسهن بالمال الذي يكسبته<sup>١</sup> هذا القانون المسيحي الاخلاقي وضعه أصحاب المعامل في مجلس العموم من اجل ان يجتذبوا نساء انكلترا الى المعامل. ومنذ ذلك العام وحتى العام الحالي أدى البحث عن الربح الذي لا يقاوم الى أن تتحرر النساء من العذاب والاستعباد في البيت، لتصبح رهن العذاب في المتجر والمعمل...»<sup>٢</sup>

١- في شرح القانون المدني الايراني، ص: ٣٦٦، يقول الدكتور على شايغان: «ان الاستقلال الذي تتمتع به المرأة في اموالها والذي اعترف به هذه الشيعة من البداية، لم يكن موحودا في اليونان، ولا روما ولا المانيا ولا حتى وقت قريب في اغلب بلدان العالم، اي انها كانت محجورا عليها مثل الصنوبر والمخون ولا يبيح لها التصرف في اموالها. وفي بريطانيا حيث كانت شخصية المرأة ماسما محجوبة شخصية زوجها قد رفع الحجر عنها عام ١٨٧٠م وقانون ١٨٨٢م باسم قانون الملكية.

٢- لذات الفلسفة: ص ١٥٥ - ١٥٩.

ان تكامل الآلة، والزيادة اليومية للانتاج فوق ما يحتاجه واقع الانسان والرغبة في استنزاف المستهلك بألف حجة وحيلة، واستعمال الوسائل السمعية والبصرية والفكرية والشعورية والذوقية والفنية والشهوانية من أجل صنع إنسان مستهلك بلا ارادة، أدت مرة اخرى الى أن تحتاج الرأسمالية الى جهود المرأة ولكن هذه المرة لم تكن الحاجة الى قدرتها البدنية وطاقاتها الانتاجية كعامل بسيط يشارك الرجل في الانتاج، انما الحاجة الى جاذبيتها وجمالها وتخليها عن شرفها وكرامتها، والى قدرتها السحرية على تسخير الفكر والارادة واستثمارها في فرض السلع على المستهلك، وبديهي ان عنوان ذلك كله الحرية والمساواة مع الرجل.

والسياسة بدورها لم تكن غافلة عن استعمال هذا العامل، فأنت تقرأ اخبار الجرائد والمجلات، وفي جميع ذلك يستفاد من وجود المرأة حتى غدت المرأة أداة لتنفيذ مآرب الرجل تحت ستار الحرية والمساواة.

وبديهي ان شاب القرن العشرين لم يغفل عن اغتنام هذه الفرصة الثمينة، من أجل أن يتخلص من الالتزامات التقليدية تجاه المرأة عند الزواج، ويصطادها حيثما شاء رخيصة أو بالمجان، ففاق الجميع في ذرف دموع التماسيح حزنا وأسفا على تعاسة المرأة وتمييزها الظالم عن الرجل الى حد أنه من أجل المشاركة بصورة أفضل في هذا الجهاد المقدس! أحرصن زواجه الى الاربعين وأحيانا بقي اعزب طول حياته!!!

لاشك في ان القرن الاخير هذا قد خلص المرأة من مجموعة تعاسات، ولكن الحديث في أنه قد جاءها بمجموعة من التعاسات، لماذا؟ وهل ان المرأة محكومة باحدى التعاستين ولا بد لها قسراً ان تختار احدهما؟ أم ليس هناك مانع من ان تقوم المرأة بطرد مصائبها القديمة والجديدة معا؟

هذه هي الحقيقة، وهي الأ جبر في الموضوع، فالمصائب القديمة كانت غالباً نتيجة نسيان انسانية المرأة اما الجديدة فناتجة عن انهم اغفلوا عمداً أو سهواً كونها امرأة كما أغفلوا موقفها الطبيعي والفطري ورسالتها ومدارها وحاجاتها الغريزية واستعداداتها الخاصة.

العجيب أنه حين يجري الحديث عن الاختلافات الفطرية بين المرأة والرجل يتلقاه البعض على أنه نقص المرأة وكمال الرجل ويؤدي بالتالي الى سلسلة من الحقوق بالنسبة للرجل وسلسلة من الحقوق المهذورة بالنسبة للمرأة،

غافلين عن ان المسألة ليست مسألة نقص وكمال، فان الخالق لم يرد بهذه الاختلافات أن يجعل احدهما ناقصا والثاني كاملا، وبالتالي يكون احدهما ذاقوق وامتيازات والثاني محروما.

هذا البعض — بعد رد فعله المنطقي والحكيم! — يقول: حسناً، إذا كانت طبيعة المرأة قد ظلمتها وجعلتها ضعيفة وناقصة، أيحسن ان نأتي نحن أيضا لنزيد في مظلوميتها؟ فإذا نسيتنا او تناسينا وضع المرأة الطبيعي الان تكون قد أدينا عملا انسانيا لها؟

لكن الحق ان العكس هو الصحيح، فان اهمال الوضع الطبيعي والفطري يؤدي الى اهدار حقوقها أكثر فأكثر. فلو أن الرجل أقام جبهة ضد المرأة فقال لها: أنت فرد وانا فرد، فيجب اذا أن تتشابه الاعمال والمسؤوليات والارباح والاحور والجزاء، و يجب ان تشاركيني الاعمال صعبا وتقبلها على السواء، فتأخذي اجرك بمستوى عملك لا تنتظري مني احتراما ولا دفاعا عنك، وعليك ان تتكلمي جميع مصروفاتك وتشاركيني في نفقة اطفالنا، وتدفعي عن نفسك الاحطار، وتنفي علي بمقدار ما أنفق عليك من مال؛ في هذه الحالة تكون المرأة في وضع لا تحسد عليه.

ذلك ان طاقة المرأة وانتاجها بالطبع اقل من الرجل، واستهلاكها للثروة أكثر منه، علاوة على مرضها الشهري، وصعوبات ايام الحمل والولادة وحضانة الرضيع، مما يجعل المرأة محتاجة الى حماية الرجل وأن تكون مسؤولياتها أقل وحقوقها أكثر. وهذا لا يخص الانسان وحده، فكل الحيوانات التي تحيا حياة زوجية هكذا، ففي جميع انواع الاحياء، يبادر الذكر الى رعاية الانثى بحكم الغريزة.

فاذا اخذنا بنظر الاعتبار الوضع الطبيعي والفطري لكل من المرأة والرجل مع التأكيد على تساويها في الانسانية والحقوق المشتركة للانسان، لوجدنا ان الفطرة قد وضعت المرأة في موقع مناسب لها جدا لا يدك شخصها ولا شخصيتها.

ومن أجل ان نطلع قليلا على النتائج العملية التي قاد اليها نسيان الموقع الطبيعي والفطري لكل من المرأة والرجل والاعتماد فقط على الحرية والمساواة، فن الافضل أن ننظر الى الذين ساروا قبلنا على هذا الطريق ووصلوا الى نهايته ماذا يقولون وماذا يكتبون؟

في مجلة «مختارات للقراء» العدد ٧٩، السنة ٣٤، الصادر في ٤/ تير / سنة

١٣٥٣ هـ. ش. نشرت مقالة من المجلة الشهرية للشرطة تحت عنوان «قصص عن النساء العاملات في المجتمع الأمريكي». وهي مقالة مترجمة من مجلة كوروننت، هذه المقالة مفصلة وتستحق القراءة، في البداية تعرض المقالة شكوى إحدى السيدات العاملات التي تتحدث كيف انه بأسم المساواة بين المرأة والرجل، حرمت المرأة العاملة من العناية التي كانوا يحيطونها بها سابقا. فتتلا «لا ترفع المرأة حملا يزيد وزنه على (٢٥) رطلا، بينما لا توجد مثل هذه الميزات بالنسبة للرجال» فتقول: «تغيرت في الوقت الحاضر ظروف العمل في معمل جنرال موتورز في ولاية أوهايو أو بتعبير آخر المكان الذي تتعذب فيه ما يقارب الـ (٢٥٠٠) امرأة... وترى هذه السيدة نفسها امام ماكنة جبارة أو منهمكة بتنظيف فرن معدني زنته (٢٥) رطلا كان قد وضعه في مكانه قبل لحظات رجل مفتول العضلات وتقول في نفسها: أجد جسمي محطبا مليئا بالكدمات والجروح» و اضافت: «يجب عليّ في كل دقيقة أن أعلق بالرافعة حزمة ذات (٢٥-٥٠) انجا يزيد وزنها على (٣٥) رطلا، وأجديدي على الدوام متورمتين وتؤلأني كثيرا».

ثم تنتقل المجلة الى عرض شكاوى وقلق سيدة اخرى يعمل زوجها بحارا لدى القوة البحرية وكانت قيادة القوة البحرية قد صممت اخيرا على استخدام عدد من النساء في السفن التي يعمل عليها الرجال. فتقول: «ان القوة البحرية أرسلت في هذه الاثناء سفينة في مهمة، شاركت فيها اربعون امرأة و اربع مئة وثمانون بحارا. لكن عندما عادت هذه السفينة من أول سفرة «مختلطة» لها، تأكدت مخاوف وتوجسات زوجات البحارة، اذ تبين انه لم تجر قصص عشق كثيرة على السفينة فحسب، بل ان اغلب النساء قد مارسن الجنس ليس مع بحار واحد فقط بل مع عدة منهم». وتقول ايضا: «في ولاية فلوريدا وبعد التحرري-امتد النزاع حتى شمل «الارامل» فقد اعلن احد قضاة هذه الولاية واسمه (توماس تستا) عدم شرعية المادة القانونية التي تعني الارامل اللاتي يملكن (٥٠٠) دولار فما دون من ضريبة الدخل، قائلا ان هذا القانون تحيز للنساء ضد الرجال.»

١- المصادف ٧ حزيران (يونيو) عام ١٩٧٤ م. والتاريخ المذكور اعلاه هو التاريخ الهجري الشمسي.

ثم تضيف المجلة: «إن السيدة ماك دانيل تعاني من حرقة الكفين، والسيدة استون (زوجة أحد البحارة) أصبحت فريسة الاضطراب والقلق، و ارامل فلوريدا يدفعن الغرامات النقدية، والباقون أيضا سيذوق كل واحد منهم طعم الحرية حَسَبَ امكانه. ويخطر سؤال على بال الكثيرين هو: ألم تخسر السيدات اكثر مما كن يتمتعن به من الحقوق؟ لكن لافائدة الآن من هذا التساؤل والحث فان اللعبة قد بدأت فعلا واتخذ المتفرجون اماكنهم امام الملعب وقد تمت المصادقة هذا العام على سبع وعشرين مادة معدلة في الدستور الامريكي وقد اعتبرت بموجب ذلك جميع الامتيازات المتعلقة بجنس الفرد غير قانونية... وعلى هذا فقد تحققت نوءة «رسكوباوند» استاذ كلية الحقوق في هارفارد اذ قال: «ان تحرير النساء بداية لنتائج مؤسفة للمكانة القانونية للمرأة في امريكا».

... وقد اقترح السناتور (جي اروين) من ولاية كارولينا الشمالية بعد دراسة المجتمع الامريكي «تساوي الحقوق بين النساء والرجال... فجميع قوانين الاسرة يجب ان تتغير، ولا يكون الرجال بعد ذلك مسؤولين عن تأمين ميزانية الاسرة».

وتكتب المجلة: «تقول السيدة ماك دانيل: «ان احدى النساء أصيبت بنزف داخلي من جراء حمل بعض الاثقال. اننا نريد العودة الى الوضع السابق، نرغب في ان يعاملنا الرجال على اننا نساء لاعمال. اما بالنسبة لانصار تحرر المرأة فهذا الموضوع سهل جدا اذ يجلسون في غرفة فخمة ليقولوا: «يجب أن يتساوى النساء بالرجال» ذلك انهم لم يعرفوا العمل في المعمل بعد. انهم يجهلون ان جميع التعاملات بأجر في هذه البلاد يعملن مثلي ويشقن في المعامل. انني لا اريد هذه المساواة، اذ انني لأستطيع انجاز أعمال الرجال. إن الرجال أقوى منا أجساما و اذا كان المطلوب ان ننافسهم في العمل والانتاج و يقاس عملنا باعمالهم فاني -من جاتي- أفضل الاعتزال. ان الميزات التي خسرتها عاملات ولاية اوهايو اكثر بكثير من المزايا التي كسبتها عن طريق قانون حماية العمال. لقد خسرنا شخصيتنا النسائية. انني لا افهم ماذا استفدنا منذ الوقت الذي صرنا فيه احرارا ولحد الان؟ هناك بالطبع عدد من النساء محدود استفدن من ذلك، لكننا بالطبع لسنا من أولئك».

كانت هذه خلاصة تلك المقالة. وقد تبين من محتواها ان هؤلاء النسوة-

بسبب المشاكل التي واجهتها باسم الحرية والمساواة— ملن هاتين الكلمتين حتى عدن عدوات لها، في الوقت الذي ليس هاتين الكلمتين دخل فيما حصل. فان المرأة والرجل كوكبان يدوران في مدارين مختلفين فيجب الا يخرجوا عن مدارهما. «لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» فالشرط الاساس لسعادة كل من المرأة والرجل— وفي الحقيقة المجتمع الانساني— هو ان يدور كل جنس في مداره الخاص به. وحينذاك يتحقق النفع من الحرية والمساواة حيث لم يخرج اي منها عن مداره ومساره الطبيعي والفطري. فان الذي خلق المشاكل للمجتمع انما هو التمرد على أمر الفطرة الطبيعية ولا شيء غير ذلك.

وما ندعيه الآن هو ان «النظام الحقوقي للمرأة في البيت والمجتمع» من المسائل التي يجب ان يعاد تقويمها ولا يكتفى بالتقويمات القديمة، وذلك يعني ان، اولاً: نتخذ من الطبيعية هادياً لنا، ثانياً: نستفيد الى اقصى حد ممكن من مجموع التجارب السابقة والحالية (حلوها ومرها) وعندها فقط تكون نهضة حقوق المرأة قد تحققت بالمعنى الواقعي.

\* \* \*

القرآن الكريم— باتفاق الصديق والعدو— هو الذي أحيا حقوق المرأة. فالاعداء قد شهدوا على الاقل ان القرآن في عصر نزوله قد خطا خطوات كبيرة لصالح المرأة وحقوقها الانسانية. لكن القرآن لم ينس كون المرأة امرأة ولا الرجل رجلاً حسين دعا الى احياء «انسانية» المرأة ومشاركتها للرجل في الانسانية وحقوق الانسان. وبتعبير آخر ان القرآن نظر الى المرأة كما نظرت اليها الطبيعة ومن هذه الناحية نجد الانسجام الكامل بين أوامر القرآن وأوامر الطبيعة. المرأة في القرآن هي نفس المرأة في الطبيعة. ان هذين الكتابين الالهيين الكبيرين— احدهما تكويني والآخر تدويني— متطابقان مع بعضهما. وفي سلسلة المقالات هذه، اذا كان هناك من أمر مفيد وجديد فهو توضيح هذا التطابق والانسجام. ان هذا الذي امام القارئ المحترم، هو مجموعة مقالات كتبها بمناسبة خاصة في سنتي ٤٥—٤٦ هجرى شمسي في مجلة «زن روز» اي «امرأة اليوم»

والمرأة والسياسة، والمرأة في قرارات القضاء، والمرأة في قرارات الجزاء، والاخلاق  
وتربية المرأة، ولباس المرأة، والاخلاق الجنسية: الغيرة، العفاف، الحياء  
وغير ذلك. ومقام الامومة، والمرأة والعمل في الخارج، وعدة مسائل أخرى. فان  
وفقني الله تعالى، فان هذا القسم الثاني سيجمع ويدون بعد ذلك ويطبع بصورة  
جزء ثان وهبياً للنشر.

نسأل الباري تعالى التوفيق والهداية.

قلهك— ٢٨ شهر يورد / ٥٣ شمسي

المصادف للثاني من شهر رمضان المبارك / ١٣٩٤ قري

مرتضى المطهري

نظام حقوق المرأة  
في الاسلام

---

\_\_\_\_\_

## تمهيد:

من دواعي سروري أن مجلة «زن روز» اي (امرأة اليوم) اعلنت موافقتها على طلبي فيما يخص البحث في الاقتراحات الاربعين للمجلة من أجل تغيير مواد القانون المدني الايراني في المسائل التي تتعلق بأمر الاسرة، وأنها اعلنت في العدد السابق موافقتها على نشر هذه السلسلة من المقالات مع نشر رسالتي بهذا الخصوص. انني اغتنم هذه الفرصة لاضرع بين يدي الشبان جانباً من الفلسفة الاجتماعية في الاسلام، آملاً ان يكونوا على بصيرة وتفتح ذهن فيما يختص بالمسائل المتعلقة بالروابط العائلية في نظر الاسلام.

لقد ذكرت في رسالتي أنني لا اريد أن أدافع عن القانون المدني وأقره على أنه كامل مانع ومطابق مئة بالمئة للقوانين الاسلامية والموازن الاجتماعية الصحيحة. اذ قد تكون لدي اعتراضات عليه. كما لا اريد أن أقر بصحة التقاليد المنتشرة بين أكثرية الناس ومطابقتها للعدالة. فانا أشاهد بوضوح اضطراب العلاقات العائلية واعتقد بضرورة اجراء اصلاحات أساسية في هذا الباب.

لكنتي بخلاف بعض الكتاب من أمثال مؤلف كتاب «انتقاد برقوانين اساسى ومدنى ايران» اي «انتقاد القانون الاساسى والقانون المدني الايراني» ومؤلف كتاب «پيمان مقدس ياميثاق ازدواج» اي «الرباط المقدس او عقد الزواج» لا أبرئ الرجال الايرانيين مئة في المئة، ولا التي بكامل التبعات على القانون المدني، ولا أرى ذنب القانون المدني في تبعيته للفقهاء الاسلامي، ولا أرى الطريق الوحيد للاصلاح، في تغيير مواد القانون المدني. انما أقوم في هذه السلسلة

من المقالات بتناول تلك المجموعة من المواد القانونية الاسلامية المتعلقة بحقوق الزوجين وعلاقتها مع بعضها او مع أطفالها أو مع الافراد خارج البيت، والتي أشير إليها وأقترح تغييرها، فأبحثها مادة مادة، وأثبت أن هذه المواد قد أخذت بنظر الاعتبار بصورة دقيقة الجوانب النفسية والطبيعية والاجتماعية، ونظرت الى الكرامة والشرف الانساني للمرأة والرجل على السواء، وهي ضامنة لحسن العلاقات العائلية في حالة العمل بها والدقة في تنفيذها على أحسن وجه.

وارجو من القراء المحترمين أن يسمحوا لي - قبل الدخول في هذه المسائل - أن أشير الى بعض النقاط:

### ١ - المشكلة العالمية للعلاقات الاسرية (العائلية)

١ - ان مشكلة العلاقات الاسرية في عصرنا الحاضر ليست من السهولة والبساطة بحيث تحل بملء بطاقات الاستفتاء (القسائم) من قبل الاولاد والبنات، أو عقد الندوات من النوع الذي رأينا وسمعنا واطلعنا على مستواه الفكري، ولم تحملها بلادنا خاصة ولا حلها الآخرون ولا ادعوا حلها حلاً واقعياً. يقول «ويل ديورانت» الفيلسوف وكاتب تاريخ الحضارة المعروف: «لوفرضنا اننا الآن في عام الفين ميلادي واردا ان نعرف ما هو اعظم حدث وقع في الربع الاول من القرن العشرين، فسنترى أن هذا الحدث لم يكن الثورة الروسية، بل هو هذا التغير في وضع المرأة، فان التاريخ قلما شهد تغييراً مثيراً بهذه الدرجة وفي مثل هذه المدة القصيرة وقد شمل هذا التغير البيت المقدس الذي كان أساس نظامنا الاجتماعي وقاعدة الحياة الزوجية الواقية من اتباع الشهوات و تزلزل وضع الانسان والقانون الاخلاقي الذي اخرجنا من الوحشية الى الحضارة، و آداب المعاشرة، كل ذلك طالته هذه النقلة المضطربة التي شملت كل عادات وصور حياتنا وتفكيرنا».

والآن ونحن في الربع الثالث من القرن العشرين، تصل الى آذاننا اكثر من ذي قبل؛ آهات المفكرين الغربيين من تفكك الاسرة وضعف أسس الزواج... من تخلي الشباب عن قبول مسؤولية الزواج... من النفور من الامومة... من تقلص علاقة الابوين وعلى الاخص علاقة الام بالاطفال.. من تبذل المرأة وحلول الهوى

الطارئ محل الحب.. من ازدياد الطلاق المستمر.. من الزيادة المقرفة للاطفال غير الشرعيين ومن ندرة وجود الاخلاص بين الزوجين.

## هل نستقل أم نقلد الغرب!؟

مما يؤسف له أن مجموعة من الجهلاء يتصورون ان الامور المتعلقة بروابط الاسرة، تشبه الامور المتعلقة بتنظيم المرور، وسيارات الاجرة والسيارات العامة لنقل الركاب، ومداناييب الماء والكهرباء والتي كانت قد حلت عند الاوربيين منذسنوات على أحسن مايرام، واننا لانملك الاهلية واللياقة لوضع الحلول، ويجب علينا أولئك باسرع ما يمكن.

هذا وهم محض فالغربيون في هذه الامور اعجز منا واكثر تورطاً، وصيحات عقلاهم أعلى من صيحاتنا. ففيها عدا مسألة تعليم المرأة، نجدهم في باقي المسائل أعجز منا، وقلما يتمتعون بالسعادة في بيوتهم.

## الحنمية التاريخية

والبعض الآخر لهم تصور آخر؛ فهم يرون أن ضعف نظام الاسرة وسريان الفساد اليها ناتج عن تحرر المرأة، وتحرر المرأة هو نتيجة حتمية للحياة الصناعية والتقدم العلمي والحضاري وحنمية تاريخية، ولا بد ان نستسلم لهذا الفساد والاضطراب ونغض النظر عن تلك السعادة العائلية التي كانت موجودة في الزمان القديم.

اذا كان هذا هو تفكيرنا، فهو سطحي جدا. أو يد أن العصر الصناعي قد ترك أثره ويتركه على العلاقات العائلية رضينا أم أبينا. ولكن العامل الاساس في تمزق العائلة في اوربا شيئا آخران.

الاول: العادات والتقاليد والقوانين الجائرة والجاهلة التي كانت سائدة بينهم قبل هذا القرن فيما يتعلق بالمرأة الى حد أن المرأة لم تحصل على حقوقها في الملكية لاول مرة الا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

**والثاني:** ان الاشخاص الذين أرادوا اصلاح أوضاع المرأة قد سلكوا نفس الطريق الذي يسلكه اليوم بعض أدياء الثقافة العصرية عندنا، وما الاقتراحات الاربعون الا مظهر من مظاهر ذلك الطريق، لقد ارادوا تجميل حاجب المرأة، ففققأوا عيناها. وقبل ان تكون الحياة الصناعية مسؤولة عن هذا الاضطراب، كانت قوانين اوروبا القديمة واصلاحاتها الجديدة هي المسؤولة الكبرى عن ذلك. لذا فبالنسبة لنا - شعوب الشرق الاسلامي - لسنا ملزمين بسلوك الطريق التي سلكوا والسير حيث ساروا والخوض في أي مستنقع خاضوا، انما يجب علينا ان ننظر الى الحياة الغربية بيقظة وحذر. فن خلال الافادة والانتباس من العلوم والصناعات والتكنيك وقسم من النظم الاجتماعية القابلة للتعديل، نتجنب تقليد العادات والقوانين التي جلبت لهم آلف التعاسات والمصائب مثل تغيير قوانين ايران المدنية والعلاقات العائلية وجعلها مطابقة للقوانين الاوروبية.

## ٢- نحن والقانون المدني

بغض النظر عن كون هذه الاقتراحات هدماً للبيت والاسرة ومخالفة للمتطلبات الروحية والطبيعية والاجتماعية، كما سنوضح ذلك فيما بعد، ولكن هل عرضت على القانون الاساسي؟ فن جهة، يصرح القانون الاساسي ان كل قاسون يخالف قوانين الاسلام غير قانوني وغير قابل للعرض على المجلسين. ومن جهة اخرى، فان اغلب مواد هذه المقترحات مخالفة لقانون الاسلام مخالفة صريحة. فهل ان الغربيين الذين يقلدهم مثقفونا العصريون على هذا النحو الاعمى، يرضون لقانونهم الاساسي ان يصبح العوبة بهذا الشكل؟ وبغض النظر عن الدين، فان القانون الاساسي لكل بلد مقدس عند افراد ذلك البلد وهو بالنسبة الى ايران كذلك محل احترام الشعب الايراني باجمعه. فهل يمكن ان يوضع القانون الاساسي تحت الاقدام عن طريق التدوات وطبع القسائم ونشاط النواب؟

### ٣- العواطف الدينية للمجتمع الايراني

بغض النظر في الوقت الحاضر عن عيوب هذه المقترحات ومخالفتها الصريحة للقانون الاساسي ، ومهما ننكر فلا يمكن ان ننكر أن اقوى عاطفة تحكم مشاعر الشعب الايراني هي العاطفة الاسلامية. دعونا الآن عن القلة التي تخلت عن كل قيد وشرط وصارت تجري وراء كل هرج ومرج وتخلل من الالتزام، فان الاكثرية الساحقة لهذا الشعب ملتزمة بالمقررات الدينية.

وبخلاف ما كان يتوقعه البعض، فان الدراسة وطلب العلم لم يكونا السبب في الفصل بين الامة ودينها، بل العكس هو الصحيح، فبالرغم من ان التوجيه الديني الصحيح قليل والحرب الفكرية الدعائية للاستعمار شديدة ضد الدين، الا اننا نجد المتعلمين والمثقفين يتجهون نحو الاسلام بشكل مطرد.

والآن اتساءل كيف ستنسجم هذه القوانين مع وجود هذه المشاعر الموجودة شئنا ام ايننا؟ وكيف سنتصرف حين لا يتفق قانون العرف مع الحكم الشرعي الصريح؟ لنفرض ان امرأة— على اثر الخلاف والفضب— رجعت الى المحكمة واستصدرت حكم طلاقها من زوجها على الرغم منه، ثم تزوجت من رجل ثان. هذه المرأة وزوجها الجديد في الوقت الذي يعتبران نفسيهما بحكم القانون العرفي زوجا وزوجة؛ يدركان في عمق وجدانها الديني انها اجنبيان عن بعضها وان اتصلاهما غير مشروع، واطفالهما اولاد زنا وانها من وجهة نظر الدين يستحقان الاعدام.

في هذه الحالة، ماذا ستكون حالتها النفسية؟ وبأي عين سينظر الاصدقاء والاقارب المتدينون اليها والى اولادها؟ اننا في الواقع لا يمكن ان نغير الوجدان الديني للشعب بتغيير أو وضع قانون ما، وللأسف أو لحسن الحظ أن وجدان أكثر الاقرباء باتفاق الناس ليس خلوا من العاطفة الدينية.

فلو انكم جئتم من الخارج بمخصص حقوقي ونفساني وطلبتم رأيه وقلتم: اننا نريد ان نضع مثل هذا النوع من القوانين ولكن الاساس النفسي لاكثرية

الشعب هو كذا وكذا. وانظروا هل سيوافقونكم؟ أم سيقولون ان ذلك سيؤدي الى آلاف المشاكل الروحية والاجتماعية؟

والمقارنة بين هذا النوع من القوانين والقوانين الجزائية من ناحية الآثار السيئة التي تتركها، خطأ محض. فالفرق بين القانونين كالفرق بين السوء والارض، و إنَّ تغيير أو تعطيل القوانين الجزائية يلحق الاذى والضرر بالمجتمع كله، ويزيد المنحرفين جرأة وحرصا على تحدي القوانين. اما القوانين المتعلقة بروابط الزوجين والاطفال فانها ترتبط بحياة الافراد الشخصية والخاصة وتدخل في معركة مباشرة في مقابل العاطفة الدينية للشخص. ومثل هذه القوانين تبقى معطلة في حالة تمكن الدين وغلبة الوجدان وتؤدي المشاكل التي تنتج عنها اما الى الغائتها في النهاية رسميا رضينا ام أبينا أو الى اضعاف الوازع الديني نتيجة حدوث الصراعات الدينية داخل نفس الانسان.

## الفصل الاول

طلب اليد والخطبة

---

---

## طلب اليد والخطبة

أبدأ حديثي حول المواد الاربعين المقترحة من هذه النقطة لان المقترحات بدأت من هنا، باعتبار ان هذا هو الموضوع بالترتيب الذي تناوله (القانون المدني). ونظرا لان المواد التي تتناول الخطبة وطلب اليد في القانون المدني ليست قوانين اسلامية بصورة مباشرة، أي ان أغلبها لم يستمد بصورة مباشرة من نص اسلامي واضح، كما ان القانون المدني في هذا المجال لم يستنبط اصوله من القواعد الاسلامية العامة - كما يدعى -، لذا لاراني ملزما بالدفاع عنه او الدخول في بحث تفاصيل النظريات المقترحة. ومع ان المقترح قد ارتكب اخطاء كبيرة في هذا الباب وعجز حتى عن ادراك المفاهيم الصحيحة لهذه المواد البسيطة، الا انه لا يمكن ان نفرض النظر عن أمرين هنا:

### ١- هل يعد طلب الرجل ليد المرأة اهانة لها؟

يقول مقترح المواد:

«ان قانوننا المقترح حتى في هذه المواد «المتعلقة بالخطبة وطلب اليد» لم ينس هذا المبدأ الرجعي واللائساني القائل بأن الرجل أصل والمرأة فرع، فنجد ان المادة ١٠٣٤ وهي المادة الاولى في باب النكاح والطلاق، قد صيغت على النحو التالي: «مادة ١٠٣٤: - يمكن أن تطلب يد كل امرأة فارغة من موانع النكاح». وكما تلاحظون فان المرأة بموجب هذه المادة - وان لم يكن هناك الزام - يطرح زواجها من الرجل بعنوان «أخذ امرأة» وهو يتلقى ذلك بوصفه مشتريا يتعامل مع بضاعة. ان امثال هذه التعبيرات في القوانين الاجتماعية تترك أثرا نفسيا سيئا جدا وخاصة التعبيرات المذكورة في قانون الزواج فانها تترك أثرا على علاقة الرجل بالمرأة اذ تمنح الرجل موقع السيد والمالك والمرأة موقع المملوك والعبد».

وعلى اثر هذه الملاحظة النفسية الدقيقة ولكي تؤخذ المواد التي ذكرها المقترح حول «طلب اليد» من طرف واحد بعنوان «أخذ امرأة» فقد اعتبر طلب اليد جزءاً من عمل المرأة كما هو جزء من عمل الرجل، لكي لا يصدق على الزواج «أخذ امرأة» فقط وانما يصدق ايضا على «أخذ رجل» او على الاقل لاهذا ولذاك . فاذا قلنا اخذ امرأة، أو كلفنا الرجال ان يقوموا هم دائما بطلب أيدي النساء، فاننا نهبط بذلك بمكانة المرأة، ونجعل منها بضاعة معروضة للشراء.

## غريزة الرجل الطلب والحاجة وغريزة المرأة التمتع والدلال

من غريب الصدف ان يكون هذا الامر موضع خطأ فاحش. فهذا الخطأ هو نفسه الذي جرّالى اقتراح الغاء المهر والنفقة، وهذا ما سنفصله في بحث المهر والنفقة.

ان الذي كان يجري منذ قديم الزمان— وهو ان يذهب الرجال طالين أيدي النساء ومظهرين الرغبة في الزواج منهن— هو من اكبر عوامل حفظ مكانة المرأة واحترامها فالطبيعة قد جعلت الرجل ممثلاً للطالب والمحِب، والمرأة ممثلة للمطلوب والمحبوب. انها جعلت المرأة وردة والرجل بلبلا.. المرأة شمعة والرجل فراشة. وانه لمن حكمة التدبير وآيات الخلق أن جعلت في غريزة الرجل الحاجة والطلب وفي غريزة المرأة الدلال والتمتع. فهي بذلك تداري ضعفها مقابل قوة الرجل.

ليس من كرامة المرأة واحترامها ان تجري خلف الرجل، اذ ان الرجل يطيق ان يخاطب المرأة وترده وعندها يخاطب اخرى وترده حتى يفوز اخيراً برضا احدى النساء للاقتران به. اما بالنسبة للمرأة حيث تريد ان تكون محبوبة الرجل و معشوقته ومحل عنايته، وتنوي الاستيلاء على قلبه كي تحكم كل وجوده، فأكبر من طاقتها وخلاف غريزتها أن تدعرجلا للزواج منها فيردها ثم تذهب لخطة أخرى.

وفي نظر (وليام جيمس) الفيلسوف الامريكى المعروف: ان حياء وتمتع المرأة الظريف ليس غريزة، فان بنات حواء على مر التاريخ ادركن ان عزتهن واحترامهن في ان لايجرين وراء الرجل، ولايظهرن الابتذال ولايكن قريبات من متناول الرجل، ان النساء ادركن هذه الدروس طول التاريخ وعلمنها لبناتهن.

وهذا لا يختص بالنوع الانساني فحسب، فباقي الحيوانات ايضا كذلك فانه قد عهد لجنس الذكور ان يقوموا بعرض حبهم وحاجتهم لجنس الاناث. اما ما عهد به الى جنس الاناث فهو أن يعتنين بجماهن ورقتهن ويصطدن قلب الجنس الخشن

بالتمنع الظريف واظهار استغنائهن عنه، فيسخرنه لخدمتهن بالطريقة التي تستهوي قلبه وتتهيج بها مشاعره واحاسيسه فينجرف نحوهن بارادته ومحض اختياره.

### الرجل يشتري العلاقة الودية للمرأة لارقيتها

عجبا! يقولون لماذا تشم من تعبيرات القانون المدني رائحة شراء الرجل للمرأة؟ اولاً: ان هذا لا يرتبط بالقانون المدني بل يرتبط بالحلقة، ثانياً: هل ان كل شراء هو من نوع الملك والتملك؟ فالطالب والدارس مشتر للعلم، والمتعلم مشتر للعالم، وعاشق الفن مشتر للفنان. فهل نسمي ذلك تملكاً ونعده منافياً لكرامة العلم والعالم والفن والفنان؟ ان الرجل مشتر لمودة المرأة لارقيتها. فهل نجد في الواقع اهانة لجنس المرأة في شعر شاعرنا ذي الكلام العذب حافظ: اذ يقول ما ترجمته:

شيراز أصل شفاه العقيق ومعدن الحسن  
وأنا جوهرى مفلس ولذا أعيش في قلق  
مدينة مليئة بالجمال والحسان من ست جهات  
وأنا لأملك شيئاً والاشترت الست كلها  
ان حافظاً يأسف لأنه لا يملك شيئاً يدفعه للطيبات ويحب به  
انتباههن واهتمامهن اليه. فهل هذه اهانة لمقام المرأة، ام مثال لأعلى  
مظاهر الاحترام لمقامهن لدى القلوب الحية والحساسة التي تخضع وتخضع  
بكل رجولتها أمام جمال وظرف المرأة، وتعلن حاجتها لحبها واستغناء  
المحوبة عنها؟

ان اقصى فن المرأة انها استطاعت ان تجذب الرجل الى ساحتها  
في اي مقام وموضع كان.

والآن انظروا كيف يلوثون— باسم الدفاع عن حقوق المرأة—  
أكبر خصيصة وشرف ومكانة للمرأة.

١- الاصل الفارسي للابيات/المذكورة هو:

شيراز معدن لب لعل است وكان حسن  
شهرست پر کرشمه و خوبان زشش جهت  
من جوهرى مفلس از آنرو مشوشم  
چيزم نيست ورنه (خريدار) هرششم

وهذا ما ذكرناه من ان هؤلاء السادة يريدون ان يصلحوا حاجب  
المرأة المسكينة فاذا بهم يفتأون عينها .

عادة طلب اليد تدبير ظريف ومعقول من اجل حفظ مكانة المرأة واحترامها.  
قلنا ان الرجل في قانون الخلقة، خلق مثالا للحاجة والطلب والمبادرة  
والمرأة مثالا للمطلوبية والاجابة، وهذا احسن ضمان لكرامة المرأة واحترامها و  
تفاد لضعفها مقابل قوة الرجل، و هو كذلك احسن عامل لحفظ التوازن في حياتها  
المشتركة. وهذا يمثل نوعا من الامتياز الطبيعي الذي منحت اياه المرأة ونوعا من  
الواجب الطبيعي الملقى على عاتق الرجل.

والقوانين التي يضعها البشر، او التدابير القانونية المعمول بها يجب ان  
تحفظ للمرأة هذه الميزة وللرجل هذا الواجب، والقوانين المبنية على مساواة الرجل  
بالمراة في واجبات و آداب الخطبة انما تسيء الى مصالح وكرامة المراة واحترامها،  
كما انها تقضي على التعادل بين الاثنين ؛ في الظاهر لمصلحة الرجل وفي الواقع  
ضد مصلحة الطرفين.

وعلى هذا، فالمواد المقترحة من قبل كاتب الاربعين اقتراحا، والمبنية على  
اساس اشتراك المراة في واجب الخطبة، ليست لها أي قيمة، كما أنها تسيء الى  
المجتمع الانساني ككل.

## ٢- وقوع كاتب الاربعين اقتراحا حول القانون المدني في الخطأ:

الامر الثاني الذي أريد الاشارة اليه في هذا الفصل ان السيد المهدي  
كاتب الاربعين اقتراحا، كتب في العدد ٨٦ من مجلة «زن روز» اي «امراة  
اليوم» صفحة ٧٢: «بموجب المادة ١٠٣٧ اذا اراد احد الخطيبين ان يفسخ الخطبة  
بدون سبب وجيه، يجب عليه ان يعيد الى الطرف المقابل الهدايا التي اهداها اياه  
أو اهداها والده أو أشخاص آخرون لهم صلة بالاول، واذا لم تكن عين هذه الهدايا  
موجودة، يجب ان يعيد قيمتها الا اذا كانت قد تلفت بدون تقصير.

فطبقا لضوابط هذه المادة، تعتبر الخطبة -بنظر المشرع- كالأوعد بالزواج لا تملك أي أثر قانوني ولا تملك أي ضمانات إجرائية أيضا ولا تتطلب من الطرفين التزاما معينًا، إنما الأثر الذي يترتب عليها هو أن الطرف المخالف -كما يعبر عنه كاتب القانون المذكور «بدون سبب وجيه»- إذا قطع الصلة، يجب عليه أن يعيد الهدايا التي كان تسلمها من الطرف الآخر، ولكن الطرفين في مرحلة الخطوبة غالباً لا يتهديان شيئاً تحت عنوان الخطوبة، إنما يتحملان نفقات باهضة تقتضيها الخطوبة نفسها...»

وكما تلاحظون فإن اعتراض السيد المهدي على هذه المادة هو أن لا أثر قانوني ولا ضمانات إجرائية للخطوبة. وإنما الأثر الوحيد لها هو كون الطرف الناقض للخطوبة ملزماً برد عين الهدايا التي كان قد تسلمها أو قيمها، بينما الخسارات الرئيسية التي يتحملها الشخص أبان الخطوبة هي خسارات من نوع آخر مثل مصروفات إقامة حفل، أو دعوة ضيوف أو فسخات الخطيبين.

وأنا أقول أن هناك اعتراضاً آخر أيضاً يرد على هذه المادة في القانون. وذلك قولها: أن الطرف الناقض للخطبة «بدون سبب وجيه» يجب أن يعيد الهدايا التي تسلمها بينما المتعارف أن الصلة لو قطعت بدون سبب وجيه أيضاً، تعاد عين الهدايا التي أعطيت على الأقل إذا طالب بها الطرف المقابل.

لكن الحقيقة أن أيامن الاعتراضين ليس سليماً. يورد القانون المدني في المادة

١٠٣٦ مايلي:

«إذا قطع أحد الخطيبين هذه الصلة بدون سبب وجيه في الوقت الذي كان الطرف المقابل أو الأبوان أو أشخاص آخرون قد أنفقوا أموالاً وغررهم على أمل حصول الزواج، فعلى الطرف الفاسخ أن يعرض الخسارة. لكن الخسارة المذكورة تتعلق فقط بالمصروفات المتعارفة»

هذه المادة تبين نفس الأمر الذي تصور السيد المهدي أن القانون لم يتدراكه، وهي المادة التي ذكرت فيها عبارة «بدون سبب وجيه» وطبقاً لهذه المادة لا يتحمل الطرف الفاسخ ما أنفقه الخطيب الآخر فحسب بل ما أنفقه أبواه وغيرهما من الأشخاص كذلك.

وفي هذه المادة، بالاستناد إلى كلمة «غررهم» يكون القانون قد أشار إلى القاعدة المعروفة بقاعدة «التفجير».

هذه بالاضافة الى ان التسبب في القانون المدني يعد احد موجبات الضمان الاجباري، ويمكن احراز ذلك ايضا من المادة (٣٣٢) المتعلقة بالتسبب حيث يفهم منها ضمان الطرف المخالف.

وعلى هذا فان القانون المدني لم يسكت على خسارات الخطوبة «التي وصفها كاتب المقترحات بالخسارات التي تحصل خلال الخطوبة نفسها» وحسب، وانما ضمنها من خلال مادتين.

فالمادة ١٠٣٧ تقول: «يحق لكل من الخطيبين—في حالة فسخ الخطوبة— ان يطالب باستعادة الهدايا التي اعطاها لخطيبه أو اعطاها ابواه او الآخرون من اجل الخطيب الاول. واذا كانت الهدايا مفقودة، فقيمة الهدايا التي لها قيمة معتبرة الا اذا كانت تلك الهدايا قد تلفت بدون تقصير الطرف المقابل»

هذه المادة تتعلق بالاشياء التي اهداها كل من الخطيبين للآخر. وكما تلاحظون فان هذه المادة لم تشر الى قيد او شرط باسم (بدون سبب وجيه). انما هذا الشرط الاخير قد استنبطه السيد المهدي نفسه.

وأعجب لاشخاص عاجزين عن فهم عدة مواد بسيطة في القانون المدني «مع انهم قد قضاوا اعمارهم في دراستها، وخصصت لهم ميزانية خاصة من اموال هذا البلد باسم التخصص الفني في هذه القوانين نفسها» كيف يدعون الى تغيير قوانين سماوية ضمت آلاف الملاحظات والتفصيلات؟ وهناك نقطة لا بد من ذكرها وهي أن السيد المهدي الى ما قبل خمس سنوات—حين كان مشغولا بتأليف كتابه «يمان مقدس يا ميثاق ازدواج» اي «الميثاق المقدس او ميثاق الزواج»— كان يقرأ الجملة المذكورة على هذه الصورة «بدون سبب وموجب». وفي كتابه عقد فصلا طويلا وصال وصال قائلًا: «وهل في الدنيا عمل بدون سبب وموجب» لكنه اخيرا تنبه الى انه كان لسنوات يقرأ هذه الجملة مغلوطة ففهمها وصار يقرأها «بدون سبب وجيه».

والى هنا اغض النظر عن باقي الاعتراضات التي يمكن ايرادها على كاتب المقترحات.

## الفصل الثاني

### الزواج المؤقت

---



## الزواج المؤقت

(١)

انني - على العكس من الكثيرين - لأغضب من الشكوك والشبهات التي تشار حول الاسلام بالرغم من حبي لهذا الدين واعتقادي به. بل افرح من اعماق قلبي. لانني اعتقد - وقد علمتني التجربة - ان الهجوم على هذه الدين السماوي المقدس كلما كان أقسى واشد - في أي جبهة من الجبهات - ازداد جلاءً وهباءً وبدا مرفوع الهام قويا.

فخاصية الحقيقة هي أن الشك والتشكيك يزيدانها نورا، فالشك يؤدي الى اليقين، والتردد يؤدي الى التحقيق. ورد في رسالة «زنده بيدار» اي «الحي القيوم» نقلا عن رسالة «ميزان العمل» للغزالي، قوله: «لو كانت لكلامنا فائدة واحدة فقط. وهي أن تجعلك تشك في عقائدك القديمة الموروثة لكان ذلك كافيا. ذلك ان الشك أساس التحقيق والشخص الذي لا يشك، يفوته التأمل والتدقيق. و من لا ينظر جيدا لا يرى جيدا ومثل هذا الشخص يبقى في العمى والخيبة».

فدعهم يقولوا يكتبوا ويعقدوا الندوات و يثيروا الشبهات، من اجل أن يظهر حقائق الاسلام جلية على الرغم منهم.

\* \* \*

من قوانين الاسلام النيرة في نظر المذهب الجعفري الذي هو المذهب الرسمي لبلادنا. أن الزواج يتم بنحوين: دائم وموقت.

الزواج المؤقت والدائم يتفقان في بعض الامور و يختلفان في البعض الآخر. والذي يميزها عن بعضها بالدرجة الاولى أن المرأة والرجل في الزواج المؤقت يتفقان على ان يكونا زوجين لمدة معينة فقط، وبعد انتهاء المدة ان رغبا في تمديد مدداها، والا افترقا.

والفرق الثاني هو امتلاكها حرية اكثر في ادخال الشروط التي يرغبان فيها في العقد. فثلا اذا كان الزوج في الزواج الدائم ملزما بأداء نفقات البيت و

اللباس والمسكن وباقي احتياجات الزوجة من دواء وطبيب وغيره، فانه في الزواج المؤقت يتبع اشتراط ذلك رغبة الزوجين، اذ من المحتمل ان الرجل لا يريد اولاً يقدر على أداء نفقات المنزل أو غيره أو ان المرأة لا تنوي الافادة من مال الرجل.

في الزواج الدائم، لا بد للزوجة ان تتعامل مع الزوج على أنه رئيس العائلة وتطيع أمره في حدود مصلحة العائلة. أما في الزواج المؤقت فالامراجع الى الاتفاق بينها.

في الزواج الدائم - رضيا ام أيبا - يرث كل من الزوجين صاحبه. أما في المؤقت فلا أرث بينها.

أذا، الفرق الاساس والجوهري بين الزواج المؤقت والدائم هو ان الزواج المؤقت «حر» من حيث حدوده وقيوده، أي بارادة واتفاق الطرفين. وحتى توقيته يمنع الطرفين - في الحقيقة - حرية، اذ يحدّدان هما مدة مفعوله.

في الزواج الدائم، لا يحق لاي من الزوجين أن يمنع الحمل بدون موافقة الطرف الآخر، أما في المؤقت فلا يشترط موافقة الطرف الآخر من أجل منع الحمل. وهذا نوع آخر من الحرية أعطي للزوجين.

الاطفال الذين يولدون من الزواج المؤقت لا يختلفون في شي من الحقوق عن الاطفال المتولدين من الزواج الدائم.

المهر واجب في الزواج الدائم وفي الزواج المؤقت كذلك. مع فرق واحد هو ان عدم ذكر المهر يبطل العقد المؤقت ولا يبطله في العقد الدائم بل يكون للمرأة مهر المثل.

وكما تحرم في العقد الدائم أم واخت الزوجة على الزوج، ويحرم أبو وابن الزوج على الزوجة، كذلك يحرمون في العقد المنقطع، وكما ان خطبة المتزوجة بالعقد الدائم حرام على الآخرين كذلك طلب يد المتزوجة بالعقد المؤقت حرام على الآخرين. وكما ان الزنا بالمحصنة ذات العقد الدائم يوجب الحرمة الدائمة على الزاني، كذلك الزنا بالمحصنة ذات العقد المنقطع يوجب الحرمة الدائمة على الزاني. وكما يجب على الزوجة الدائمة ان تعتد بعد الطلاق، فكذلك يجب على الزوجة المؤقتة ان تعتد بعد تمام المدة أو هبتها. مع فارق ان عدة الزوجة الدائمة ثلاث حيضات وعدة الزوجة غير الدائمة حيضتان أو خمسة واربعون يوماً. وكما لا يجوز الجمع بين الاختين في الزواج الدائم، كذلك لا يجوز الجمع بينها في الزواج المؤقت

هذا هو عين ما ورد في فقه الشيعة باسم الزواج المؤقت او النكاح المنقطع، وكذلك في القانون المدني.

وبديهي، اننا نؤيد هذا القانون بهذه التفصيلات، اما كون ابناء شعبنا قد أساءوا استخدام هذا القانون و ما زالوا، فهذا مما لاعلاقة له بنفس القانون، والغاء هذا القانون لا يحول دون اساءة التصرف انما يغير شكل الاساءة. بالاضافة الى ان مآث المفاسد ستعقب الغاء القانون.

اننا يجب الانهاجم القانون عندما نعجز عن اصلاح الناس وتوعيتهم، فنبري الناس ونتهم القانون.

والآن لئما هي الضرورة لوجود قانون باسم قانون الزواج المؤقت مع وجود الزواج الدائم، وهل ان الزواج المؤقت— كما تقول مجلة «زن روز» اي (امرأة اليوم)— يتنافى مع المكانة الانسانية للمرأة ومع روح لائحة حقوق الانسان؟ وهل حقا ان الزواج المؤقت حتى ولو كان ضروريا فانما ضرورته في السابق؟ وهل ان حياة اليوم وظروف العصر ومقتضياته مما يتنافى واياه؟

سأبحث هذا المطلب تحت عنوانين:

الف—الحياة العصرية والزواج المؤقت.

باء— المآخذ على الزواج المؤقت.

## الحياة العصرية والزواج المؤقت

كما عرفنا منذ البدء، فان الزواج الدائم يحمل الزوجين مسؤولية وتكاليف كثيرة، لذا لا يمكن للفتى او الفتاة بمجرد البلوغ— حيث ضغط الغريزة على اشده— ان يتزوجا بالعقد الدائم. ان ميزة العصر الحديث هي انه أطال المدة الفاصلة بين البلوغ الطبيعي والبلوغ الاجتماعي حيث يمكن للشباب أن يكون عائلة. ففي العصور السابقة، لو ان عملا أو كل الى فتى في اول بلوغه لتمكن ان يستمر فيه حتى آخر عمره، اما اليوم فهذا الامر غير مقبول. لان الفتى الذي يوفق في إكمال الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعة بدون تأخر ولا رسوب في الامتحانات السنوية النهائية ولا الامتحان العام للجامعة، يتخرج آنذاك وعمره عشرون سنة ويستطيع بعد ذلك فقط أن يكون دخلا خاصا به. مما سيضطر الى الصبر ثلاث أو

اربع سنوات ريثا تكون لديه كمية من المال يتياها للزواج الدائم. كذلك الامر بالنسبة الى اي فتاة موقفة طوت سيني الدراسة بنجاح.

## شباب اليوم ومرحلة البلوغ والتهيج الجنسي

لو كنت في هذا اليوم شابا ذا ثمانية عشر عاما، حيث بلغ عندك الهياج الجنسي أشده، وذكرت رغبتك في الزواج، لضحكوا منك، كذلك الفتاة ذات الستة عشر عاما. فعلميا، لا يمكن لاهل هذا السن ان يرتبطوا برباط الزواج الدائم أو يتحملوا مسؤولية حياة ذات واجبات وتكاليف كثيرة تجاه بعضهم البعض وتجاه اطفالهم القادمين.

## أيها مختار: الرهبانية المؤقتة، أم الشيوعية الجنسية أم الزواج المؤقت؟

اسألك الآن، ماذا يجب ان نعمل تجاه الطبيعة والغريزة في هذه الحالة؟ هل الطبيعة مستعدة ان تريحنا من ضغط الغريزة الجنسية بتأخير سن البلوغ لدينا حتى نتخرج في الجامعة لان العصر لا يسمح لنا بالزواج في سن الثامنة عشرة أو السادسة عشرة؟

وهل الشباب على استعداد لطبي مرحلة (رهبانية مؤقتة) يروضون خلالها انفسهم على التحمل الى ان تتهيأ لهم امكانية الزواج الدائم؟ ولو فرضنا جدلا أن شابا يرضى ان يفرض على نفسه رهبانية مؤقتة، فهل ترضى الطبيعة ان تعفيه من الوقوع تحت تأثير العوامل النفسية السيئة والخطرة الناتجة عن الامتناع عن ممارسة مقتضيات الغريزة الجنسية والتي كشفت عنها الدراسات العصرية؟

لم يبق الاطريقان، فاما ان نترك الشبان لحالمهم بدون توجيه. فنجز للفتى ان يتصل بمئات الفتيات، ونحيز للفتاة ان تعاشر عشرات الشبان بصورة غير شرعية وتسقط جنينها كلما شاءت. اي اننا نطبق الشيوعية الجنسية. وبما أننا أجزنا للفتى والفتاة (على السواء) ان يفعلا ذلك، فقد ارضينا روح لائحة حقوق الانسان لان هذه الروح - بنظر كثير من قاصري الافهام - تقتضي بأن المرأة والرجل حتى لو اريد لها ان يسقطا في جهنم فلا بد ان يكونا جنبا الى جنب ويدا بيديكي يكون

سقوطها بالنتيجة (متساويا).

فهل يصلح مثل هؤلاء الفتيات لتشكيل أسرة صالحة اثر الزواج بالعقد الدائم بعد كل تلك العلاقات الواسعة خلال مرحلة الدراسة.  
الطريق الثاني الزواج المؤقت الحر. هذا الزواج يحدد علاقات المرأة بالدرجة الاولى اذ لا يمكن ان تكون الفتاة زوجة لاثنين، وبديهي ان تقييد المرأة يستوجب تقييد الرجل رضي أم أبى. فحين تختص كل امرأة برجل معين يصبح في النتيجة كل رجل مختصا بامرأة معينة، الا اذا كان احد الطرفين اكثر من الآخر وهذه الطريقة ينهي الفتى والفتاة مرحلة الدراسة دون ان يتحملا مصاعب الرهبانية المؤقتة او يسقطا فريسة الشيوعية الجنسية.

## الزواج الاختياري

هذه الضرورة لا تختص بايام الدراسة فحسب بل ترد كذلك في ظروف اخرى. اذ لا يمكن للمرأة والرجل اللذين يرغبان في الزواج الدائم من بعضها ولم يحجزا الاطمئنان الكامل ببعضهما أن يعقدا زواجا اختياريا لمدة معينة، فاذا اطمأنا لبعضهما، استمرار والا افتراقا.

انا اسأل الآن ما هي الضرورة التي حدثت بالاوربيين الى وضع عدد من النساء الساقطات في مكان معين من كل مدينة تحت اشراف الدولة؟ اليس هو كون وجود العزاب غير القادرين على الزواج الدائم يشكل خطرا مبيرا على العوائل والبيوت؟

## رسل ونظرية الزواج المؤقت

يقول برتراند رسل الفيلسوف الانكليزي المعروف في كتاب «الزواج والأخلاق»: «... في الواقع اننا لو تأملنا قليلا، لوجدنا ان الفواحش من النساء، يحفظن لنا عصمة بيوتنا وطمأنينة نساتنا وبناتنا. وعندما جاهر «لكي» براهيه هذا في عصر «فيكتوريا»، غضب الاخلاقيون غضبا شديدا، دون ان يفهموا اساس هذا الرأي. لكنهم لم يتمكنوا ابدا من اثبات خطئه. وكان لسان حال الاخلاقيين

أولئك وكل منطقتهم ان: «لو أن الناس اتبعوا تعاليمنا، لما وجدت الفحشاء»  
لكنهم يعلمون جيدا ان احدا لا يهتم لتعاليمهم». .  
كانت هذه هي الاطروحة الغربية للتخلص من خطر الرجال والنساء  
العاجزين عن الزواج الدائم، وهي نفسها التي شرعها الاسلام من قبل. واذا ما  
طبقت هذه الاطروحة الافرنجية وقامت مجموعة من النساء التعيسات بهذا الواجب  
الاجتماعي! فهل ستحقق المرأة بذلك كرامتها الانسانية وتحرم مقامها اللائق بها  
وتسعد روح لائحة حقوق الانسان؟

ان برتراندرسل قد خصص في كتابه فصلا بعنوان الزواج التجري قال  
فيه: «ان القاضي ليندسي الذي كان لسنوات طويلة رئيسا لمحكمة دنفر واطلع  
من خلال منصبه على حقائق كثيرة، يقترح اطروحة باسم «زواج الصداقة» لكنه  
للأسف خسر بذلك منصبه الرسمي في امريكا. اذ ظهر أنه يفكر في سعادة  
الشبان والشابات اكثر من تفكيره بايجاد الشعور بالخطيئة لديهم. وقد كان لمساعي  
الكاثوليكين وأعداء الزواج اليد الطولى في عزله.

ان أطروحة زواج الصداقة التي اقترحها رجل محافظ وحكيم قُصد منها ايجاد  
نوع من الثبات في العلاقات الجنسية. فقد انتبه ليندسي الى ان المشكلة الاساسية  
في الزواج هي افتقار المال. وضرورة المال ليس من اجل الاطفال المتوقعين  
فحسب، بل ان تكفّل المرأة بتأمين المعيشة أمر غير لائق. لذا يتوصل الى وجوب  
مبادرة الشبان لتطبيق مبدأ زواج الصداقة الذي يختلف عن الزواج العادي من  
ثلاث جهات:

**الاولى:** ليس القصد من الزواج النجاب الاطفال.

**الثانية:** مادامت الزوجة الشابة لم تنجب اطفالا ولم تحمل فالطلاق  
سيكون ميسراً برضا الطرفين.

**الثالثة:** في حالة الطلاق، ستكون المرأة مستحقة لمساعدة تكفل  
طعامها... وأنا لا أشك في فائدة اطروحة ليندسي. ولو أن القانون قبلها لأثرت  
كثيرا في تحسين الاخلاق».

ان هذا الذي يسميه (ليندسي ورسل) زواج الصداقة مع أنه يختلف  
قليلا عن الزواج المؤقت الاسلامي، الا انه ينبئ عن ادراك مفكرين مثل  
ليندسي ورسل لمسألة كون الزواج العادي والدائم لا يفي بجميع حاجات المجتمع.

## الزواج المؤقت

(٢)

ان مواصفات الزواج المؤقت وضرورة وجوده وعدم كفاية الزواج الدائم وحده لسد حاجات الانسان خصوصا في الوقت الحاضر، إقدا أصبحت محلا للبحث والآن نريد ان ننظر الى الوجه الثاني للعملة - كما يقول المثل - لنرى ماذا يمكن ان يجر علينا الزواج المؤقت من اضرار. واريده أولا ان انبه الى هذه النقطة:

### تاريخ كتابة العقائد

ليس هناك موضوع أو أساس معقد وشائك بين جميع المواضيع والمسائل و أسس التعبير عن الرأي - بالنسبة للانسان - اكثر من البحث في تاريخ العلوم والعقائد والسنن والعادات والآداب الانسانية.

ولذا لم يخض الخائضون في أي موضوع انساني كما خاضوا في هذه المواضيع، والعجيب انه لا يوجد موضوع يستهوي الناس - اكثر من هذا - لابداء آرائهم فيه.

فعلى سبيل المثال، ان أي شخص له المام في الفلسفة والعرفان والتصوف والكلام الاسلامي يقر طرفاً مما يكتب هذه الايام - والذي هو غالباً اقتباس من الاجانب او نفس آرائهم - يدرك ما أقول. ويظهر ان المستشرقين واتباعهم واذنابهم - من اجل ابداء رأيهم في مثل هذه المسائل - يرون كل شيء ضرورة، ان لم يكونوا يفهمون ويدركون عمق هذه المسائل.

فمثلا بخصوص المسألة التي تسمى في العرفان الاسلامي باسم (وحدة الوجود) لم يبق جانب لم يتحدث فيه؟ شيء واحد لم يتحدث فيه وهو أن وحدة الوجود ماهي؟ وماذا كان تصور ابطالها عنها من أمثال محي الدين ابن العربي

وصدر المتأهلين الشيرازي؟

وقد تذكرت مسألة وحدة الوجود حين قرأت بعض الآراء المنشورة في اعداد مجلة «زن روز» اي «امرأة اليوم» حول النكاح المنقطع. فوجدت ان كل شيء قد ذكر الا الشيء الذي يشكل روح هذا القانون وقصد مشرعه. وبالطبع فان هذا القانون لكونه «ميراثا شرقيا»، لم ينل الاهتمام اللازم، ولو كان «تحفة غربية» لاختلف الامر.

قطعا، لو ان هذا القانون جاءنا من الغرب، لعقدت الندوات والمؤتمرات لتنادي أن قصر الزواج على العقد الدائم لا ينسجم وظروف النصف الثاني من القرن العشرين، وان جيل اليوم لا يقبل بالزواج الدائم بقيوده هذه، وان جيل اليوم يريد ان يكون حرا، وان يحيا حرا، ولا يرضى بغير الزواج الحر الذي يختار شخصيا كل حدوده وقبوده...

والآن بما ان هذه النعمة قد انطلقت من الغرب، وطرحها اشخاص من امثال برتراندرسل وليندسي بعنوان «زواج الصداقة»، فانها ستقبل اكثر مما يتوقع من الاسلام نفسه وسينسى الزواج الدائم ونغدو مضطرين لان ندافع عنه وندعو اليه.

## اعتراضات

ان العيوب التي ذكرت في موضوع النكاح المنقطع هي:

- (١) - ان اساس الزواج يجب ان يكون دائما، ويتوجب على الزوجين -منذ ان يعقد زواجهما- ان يوطنا نفسها على ان يكون كل منهما للآخر دائما، والا يخطر في محيلتها ان يفترقا، اذا فالزواج المؤقت لا يصلح ان يكون عهدا متينا.
- ان لزوم كون الزواج دائما أمر سليم جدا. لكن هذا الاعتراض يرد حينما نريد أن نحل الزواج المؤقت محل الزواج الدائم ونلغي الاخير.
- لاشك في ان الطرفين حين يكونان قادرين على ان يتزوجا زواجا دائما وقد حصل عندهما الاطمئنان الكامل تجاه بعضهما، وصما على ان يرتبط كل منهما بالآخر برباط دائم، فانها يعقدان عقدا دائما.
- فالزواج المؤقت انما شرع لان الزواج الدائم غير قادر في كل الحالات

والظروف ان يفي باحتياجات البشر، والاقتصار على الزواج الدائم يستلزم ان يجيا الافراد بالرهانية المؤقتة او ينغمسوا في غمرة الشيوعية الجنسية. والا، فبيهي ان اي فتى أو فتاة تيسرله أو لها ظروف الزواج الدائم لن يشغل نفسه بأمر مؤقت.

(٢) — ان الزواج المؤقت لا يروق لنساء وفتيات ايران على الرغم من كونهن شيعيات المذهب بل وينظرن اليه على انه نوع من الامتحان والاحتقار لهن، وهذا يعني أن نفس الشيعة قد رفضوا هذا القانون.

والرد على هذا الاعتراض هو:

اولاً: ان كراهة النساء للمتعة منشؤها سوء التصرف الصادر من الرجال المستهترين في هذا المجال فيجب ان يردعهم القانون، وهذا ما سنبحثه في وقت لاحق.

ثانياً: إن الرغبة في الزواج المؤقت بقدر الرغبة في الزواج الدائم أمر غير مستساغ، لأن ما يدعو الى الزواج المؤقت هو عدم استعداد او امكانية الطرفين أو أحدهما للزواج الدائم.

(٣) — النكاح المنقطع لا ينسجم مع مكانة واحترام المرأة. اذ يمثل نوعاً من استئجار الانسان واسباغ الشرعية على نفسه، إذ مما يخالف كرامة المرأة الانسانية ان تضع نفسها تحت تصرف رجل في مقابل نقود تقبضها منه. هذا الاعتراض أعجب من سابقه.

اولاً: ما علاقة الزواج المؤقت — بالمواصفات التي فصلناها — بالاستئجار؟ وهل ان تحديد مدة الزواج قد أخرجه من صورة الزواج الى صورة الاستئجار؟ هل لان مهراً معيناً يجب ان يدفع صار الامر استئجاراً؟ فلوان المرأة قد أسلمت نفسها للرجل دون ان يبذل لها شيئاً فهل تحفظ كرامتها الانسانية بذلك؟ وستتحدث في فصل خاص فيما يتعلق بالمهر.

لقد صرح الفقهاء في القضاء ونظم القانون المدني مواده كذلك على اساس أن الزواج المؤقت والزواج الدائم من حيث العقد متساويان وليس هناك اي اختلاف بينهما. فكلاهما زواج، وكلاهما يجب ان يتم بالألفاظ الخاصة بالزواج، ولو عقد النكاح المنقطع بصيغة الاجارة لكان باطلاً.

ثانياً: منذ متى ألغى استئجار الانسان؟

ان جميع الخياطين والحلاقين وكل الاطباء والخبراء، وجميع موظفي الدولة من رئيس الوزراء حتى ادنى مستخدم، وجميع عمال المصانع هم اناس مستأجرون.

ان المرأة التي تعقد زواجا مؤقتا مع رجل معين بمحض ارادتها ليست انسانا مستأجرا ولم تفعل شيئا خلاف الكرامة والشرف الانساني. اما اذا اردت ان ترى المرأة الاجيرة، واما اذا اردت ان تنظر الى عبودية المرأة فسافر الى اوربا و امريكا واذهب الى شركات السينا لتعرف معنى المرأة الاجيرة؟ انظر كيف يعرضون للبيع حركات المرأة ووضعياتها وامورها الخاصة، ومنزلتها الجنسية، التذاكر التي تقتنيها للسينا او المسرح هي في الحقيقة اجرة النساء المستأجرات. انظر هناك الى المرأة التعمية - من اجل ان تحصل على المال - لاي الاعمال تقدم جسدها؟ انها يجب ان تتعلم لمدد طويلة اسرار الاثارة الجنسية باشراف متخصصين «شرفاء» وحاذقين، فتضع جسمها وروحها وشخصيتها تحت تصرف مؤسسة مالية من اجل اجتذاب زبائن اكثر للمؤسسة. الق نظرة على الملاهي والفنادق لتري الشرف الذي نالته المرأة، فن اجل اجر حقير تحصل عليه، ومن اجل ان تضيف شيئا الى جيب الثري الفلاني انظر كيف تضع كل كرامتها وشرفها تحت تصرف الزبائن. المرأة الاجيرة هي عارضة الازياء المستأجرة في المتاجر الكبرى والتي تبذل شرفها وعزتها من اجل تطوير وتوسيع متاجرهم واطماعهم.

المرأة الاجيرة هي المرأة التي - من اجل جذب العميل لاحدى المؤسسات الاقتصادية - تظهر على شاشة التلفزيون بألف شكل وشكل تمثيلا وتصنعا كي تؤدي واجبها الذي استوجرت من اجله لصالح احدى البضائع التجارية.

من ذا الذي لا يعلم اليوم ان جمال المرأة، وجاذبيتها الجنسية. وصوتها وفنها وابتكارها وروحها وبدنها وبالنتيجة شخصيتها تستخدم في الغرب كوسائل حقيرة وتافهة في خدمة الرأسمالية الاوروبية والامريكية؟ وللأسف، فأنتم - علمتم ام لم تعلموا - تريدون ان تلقوا بالمرأة الايرانية النجبية الشريفة في هذه الهاوية. انا لافهم لماذا تعتبر المرأة التي ترتبط بعقد زواج مؤقت بشروط حرة؛ امرأة اجيرة، في حين ان امرأة تقوم في عرس او حفلة ليلية بتمزيق حنجرتها بألف لحن ولحن امام

عيون الف رجل جائع ومن أجل ارضاء شهواتهم الجنسية لكي تقبض اجرا معيناً  
لا تعتبر امرأة اجيرة؟

فهل الاسلام الذي منع الرجال عن مثل هذا الاستغلال للمرأة ونبه المرأة الى  
خطورة هذا الاسر ونهاها عن ان تجري وراء هذا الامر وترتزق منه هو الذي حطَّ  
من مكانة المرأة ام اوروبا في النصف الثاني من القرن العشرين؟ وعندما يأتي  
اليوم الذي تعي فيه المرأة حقيقة مايردا بها، وتكشف لها المصائد التي نصبها رجل  
القرن العشرين في طريقها، فستثور ضد هذا المكر وتصدق حينذاك أن ملاذها  
الوحيد وحاميا الحقيقي الصادق هو القرآن وحده. وما ذلك اليوم—طبعاً—ببعيد.  
مجلة «زن روز» اي امرأة اليوم في العدد ٨٧ صفحة ٨ كتبت تقريراً عن امرأة  
اسمها مرضية ورجل اسمه رضا تحت عنوان «المرأة الاجيرة» وشرحت تعاسة هذه  
المرأة المسكينة.

تبدأ القصة حسب ما يذكره رضا منذ خطبة المرأة. اي ان اطروحة  
الاربعين مقترحاً قد اتبعت لاول مرة وذهبت المرأة لخطبة الرجل. وبديهي أن  
القصة التي تبدأ بخطبة المرأة لرجل لا يمكن ان تكون لها نهاية افضل من هذه النهاية  
اما طبقاً لما تقوله مرضية، فرضارجل مهووس جنسياً، قاسي القلب، وقد  
ارادها زوجة دائمة له يرعاها ويرعى اطفالها الا انه وبدون موافقة المرأة المسكينة  
استغلها جنسياً بحجة انه عقد عليها مؤقتاً ثم تخلى عنها.

ان هذه التصريحات اذا كانت صحيحة، فالعقد باطل، رجل قاس  
اعتدى على امرأة غافلة، جاهلة بقانون الشرع والعرف وتجب معاقبته. وقبل ان  
يعاقب أمثال رضا يجب ان يربوا، وقبل ان يعاقب أمثاله او يربوا يجب ان تبصر  
مرضية وامثالها.

جناية منبعها قساوة رجل وغفلة امرأة، ما علاقتها بقانون الزواج المؤقت  
كبي تقوم مجلة «زن روز» بالتزام جانب رضا، ثم تصب لومها على القانون. فلو أن  
قانون الزواج المؤقت لم يكن موجوداً، أكان رضا القاسي قلبه يترك مرضية الغافلة  
لخالها؟

لماذا تتخلون عن تربية وتوعية المرأة والرجل. تكتمون الحقوق والواجبات  
الشرعية عنها وتستغلون النساء المسكينات فتظهرون لمن ان القانون الحامي  
والصادق للمرأة انما هو عدوها وتطلبون منها ان تهدم بيدها ملاذها الوحيد؟

(٤) — النكاح المنقطع بما انه نوع من تعدد الزوجات وبما ان تعدد الزوجات مرفوض فالنكاح المنقطع مرفوض ايضا.  
اما نوع الأفراد الذين شرع لهم النكاح المنقطع ومايتعلق به من مسائل فسنبحثه بعد هذا الموضوع كما سنبحث مسألة تعدد الزوجات على حدة ايضا بعون الله تعالى.

(٥) — النكاح المنقطع بما أنه لا داوم له، فهو عش غير مناسب للاطفال الذين يتولدون عنه. فيقرن النكاح المنقطع بولادة اطفال بلا معيل. محرومين من حماية اب عطوف وام حنون.

هذا الاعتراض اكدت عليه مجلّة «زن روز» كثيرا. لكن مع التوضيحات التي بينها لحد الآن لم يبق مجال للاعتراض. فقد ذكرنا في المقالة السابقة ان احد الفوارق بين الزواج الدائم والمؤقت هو مسألة الاطفال:

في الزواج الدائم لا يحق لاي من الزوجين ان يمنع النسل بدون رضا الزوج الآخر بخلاف الزواج المؤقت حيث ان الطرفين حران. في الزواج المؤقت لا يجوز للمرأة أن تمنع تمتع الرجل بها لكنها تستطيع ان تمنع حملها منه بدون أن تنقص متعته وهذا متيسر اليوم عن طريق وسائل منع الحمل.

وعلى هذا، فاذا كان الزوجان في الزواج المؤقت راغبين في انجاب طفل وتحمل مسؤولية رعايته وتربيته أنجباها. وبديهي انه من ناحية العاطفة الطبيعية لافرق بين ولد الزوجة الدائمة وولد الزوجة المؤقتة، ولو فرضنا ان الاب او الام امتنع عن أداء واجبه، أجبره القانون على ذلك، كما يتدخل القانون عند حدوث الطلاق لمنع ضياع حقوق الاطفال. فاذا لم يكونا راغبين في الانجاب - وكان غرضهما من الزواج المؤقت اخاد جذوة الفريضة الجنسية - منعا الحمل.

وكما نعلم فان الكنيسة تحرم منع الحمل، اما في نظر الاسلام فان انعقاد الحمل اذا منع منذ البداية وقبل تكون الجنين، فلا مانع، اما اذا انعقدت النطفة وتكون الطفل فان الاسلام لا يميز اطلاقا اعدامه.

وما يقوله فقهاء الشيعة «من ان الغرض من الزواج الدائم انجاب الاطفال والغرض من الزواج المؤقت الاستمتاع واخذ جذوة الفريضة الجنسية» يوضح هذا القصد.

## انتقادات

انتقد كاتب الاربعين اقتراحا النكاح المنقطع في العدد ٨٧ من مجلة «زن

روز» بمايلي:

اولاً: «ان موضوع قانون النكاح او الزواج المنقطع مزعج الى حدان كتاب قانون الزواج لم يتمكنوا من شرحه وتفصيله. وكأنهم لم يرضوا لانفسهم هذا العمل. ولذا نجدهم - ومراعاة للظواهر طبق المواد ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ - ينسجون عبارات والفاظا غير منسجمة. وان منظمي المواد القانونية المتعلقة بالنكاح المنقطع «المتعة» كانوا ناقلين على عملهم الى درجة انهم لم يعرفوا اساساً العقد المذكور ولم يوضحوا شروطه ومراسيمه»

ثم يقوم السيد الكاتب بنفسه بتلافي نقص القانون المدني هذا فيعرف النكاح المنقطع بمايلي: «النكاح المذكور عبارة عن قيام امرأة غير متزوجة بوضع نفسها تحت تصرف رجل لمدة معينة ولو لمدة ساعات او دقائق من اجل قضاء شهوة وتمتع وممارسة اعمال جنسية مقابل اخذ اجرة معينة ومحدودة».

ثم يقول: «من اجل الايجاب والقبول في عقد النكاح المذكور، ذكرت في كتب فقه الشيعة الفاظ عربية خاصة لم يشر اليها القانون المدني، فيظهر ان القانون يعتبر العقد واقعا باستعمال أي لفظ يدل على القصد المذكور «اي قصد الاجارة أو أخذ الاجرة» حتى لو لم يكن باللغة العربية».

فالسيد الكاتب يرى:

أ - ان القانون المدني لم يعرف النكاح المنقطع ولم يوضح شروطه.

ب - ماهية النكاح المنقطع هي ان تؤجر امرأة نفسها لرجل مقابل مبلغ

معين.

ج - من وجهة نظر القانون المدني ان كل لفظ يدل على مفهوم اجارة

المرأة تنفوه به المرأة بعد ايجابا وقبولا لنكاح منقطع .

إنني ادعو السيد الكاتب الى مطالعة القانون المدني مرة ثانية. وان يطالعه

بدقة، كما ارجو من قراء مجلة «زن روز» أن يحصلوا بصورة ما على نسخة من القانون المدني و يطالعوا الفقرات التالية:

في القانون المدني خصص الفصل السادس من كتاب النكاح، للنكاح المنقطع ولم يضم أكثر من ثلاث جل بسيطة.

الاولى: إن النكاح المؤقت منقطع لمدة معينة.

الثانية: ان مدة النكاح المنقطع يجب ان تعين بوضوح.

الثالثة: ان احكام المهر والارث في النكاح المنقطع هي نفس الاحكام

المذكورة في الفصول الخاصة بالمهر والارث.

ان كاتب المقترحات الاربعين المحترم تخيل أن كل ما ذكر في الفصول

الخمسة الاولى من كتاب النكاح تتعلق بالنكاح الدائم وان هذه الجمل الثلاث هي

كل ما قيل حول النكاح المنقطع. وغفل عن ان جميع مواد الفصول الخمسة

مشتركة بين النكاح الدائم والمنقطع عندما خصص مثل المادة ١٠٦٩، وما اختص

بالطلاق. فثلا جاء في المادة ١٠٦٢ مايلى: «يقع النكاح بالايجاب والقبول

بالالفاظ الدالة صراحة على قصد الزواج». فهذا مثلا لا يقتصر على الزواج الدائم

بل يشمل النوعين.

والشروط التي ذكرت والواجب توفرها في العاقد اوالعقد او الزوجين

كذلك تتعلق بالزواج المنقطع والدائم كليهما. فاذا كان القانون المدني لم يعرف

الزواج المنقطع فلانه لا يحتاج الى تعريف. كما انه لم يعرف الزواج الدائم لغناه عن

التعريف. ان القانون المدني قد اعتبر اي لفظ صريح دال على الزواج ووقوع

الزوجية كافيا للعقد سواء في الزواج الدائم او المنقطع. اما اذا كانت للفظ دلالة

اخرى غير الزوجية كالمعاوضة والمعاملة والكروة والاجارة، لم يصح عقد الزواج.

دائما كان او منقطعا.

اني بموجب هذا الذي ذكرت الآن اتعهد— فيما اذا قامت مجموعة من

القضاة الافاضل والخبراء القانونيين وهم كثيرون في المحاكم بالاقرار بصحة

الاعتراضات التي أوردت حول القانون المدني— منذ الآن بالامتناع عن الاعتراض

على كل ما يكتب في مجلة «زن روز»

\*\*\*

## الزواج المؤقت ومسألة بيت الحرم (٣)

من المواضيع التي يثيرها الغرب ضد الشرق وهبىء من اجلها افلاما  
ومسرحيات مسألة انشاء بيوت الحرم التي يضم تاريخ الشرق - وللاسف - نماذج  
كثيرة منها.

لقد كانت حياة بعض خلفاء وسلاطين الشرق نموذجا كاملا لهذه السيرة  
ويعد انشاء بيت الحرم صورة واضحة للهوس الجنسي وعبادة الهوى عند الرجل  
الشرقي.

يقولون: ان السماح بالزواج المؤقت يساوي السماح بتشكيل بيوت الحرم  
التي تعد نقطة ضعف وامرا مخجلا للشرق امام الغرب. بل يعد مساويا لاطلاق  
حرية الهوس الجنسي والعبث، وهومهما كان شكله ومظهره مما ينافي الاخلاق  
والتقدم ويعد من عوامل السقوط الحضاري.

وقد قيل نفس هذا الكلام عن تعدد الزوجات. فقد فسروا جواز تعدد  
الزوجات على انه جواز تشكيل بيت الحرم.

اننا سنبحث مسألة تعدد الزوجات في فصل خاص. اما هنا فسنقتصر  
بمبحثنا على الزواج المؤقت فقط.

هذه المسألة يجب بحثها من جهتين:

الاولى: ماذا كانت دواعي انشاء بيت الحرم من الناحية الاجتماعية؟  
وهل كان لقانون الزواج المؤقت أثر في انشائها في الشرق أم لا؟

الثانية: هل كان تشريع قانون الزواج المؤقت بقصد ان يكون وسيلة  
غير مباشرة للهوس الجنسي وتشكيل بيوت الحرم من قبل البعض ام لا؟

## العوامل الاجتماعية لتشكيل بيوت الحرم

اما القسم الاول— فان بيت الحرم وجد نتيجة لتظافر عاملين:

**العامل الأول:** هو تقوى وعفاف المرأة، اي ان الظرف الاخلاقي والاجتماعي للمحيط كان لايسمح للمرأة المرتبطة بعلاقة جنسية برجل معين ان تكون لها علاقات برجال آخرين. ففي مثل هذا الظرف يجد الغني العايب وسيلته الوحيدة للتبذل قد انحصرت في ان يجمع عدّة نساء في مكان قريب منه ليكنّ في متناول يده. هذا المكان هو بيت الحرم.

وبديهي انه حين لا تكون الظروف الاخلاقية والاجتماعية ملزمة للمرأة بالتقوى والعفاف، وتسلم المرأة نفسها مجانا وبكل يسر وسهولة لاي رجل تشاء ويستطيع الرجل في أي لحظة أن يعيث مع أي امرأة اراد، وحين تتوفر امكانية ممارسة الجنس بحرية في كل زمان ومكان، حينذاك لا يكلف الرجال العايبون انفسهم عناء تشكيل بيت الحرم الذي يحملهم النفقات الباهضة.

**العامل الثاني:** هو انعدام العدالة الاجتماعية، فحين تفتقد العدالة الاجتماعية ويصبح البعض غارقا في النعيم والآخري في البؤس والفقر؛ يحرم عدد كبير من الرجال من امكانية تكوين عائلة والحصول على زوجة مناسبة في الوقت الذي يتزايد فيه عدد النساء العازبات مما يهيئ الجو لتشكل بيوت الحرم.

فلو ان العدالة الاجتماعية توفرت وتمكن كل رجل من اختيار زوجة وتشكيل عائلة، فستختص كل امرأة بزوجها وينتهي أساس وجود العيب والهوس وتشكيل بيوت الحرم.

اذ ما مقدار الزيادة في عدد النساء على الرجال لكي يتمكن كل رجل — او على الاقل كل رجل غني — من تشكيل بيت حرم له حين يكون كل الرجال متزوجين؟

إن ما عادة التاريخ ان يعرض قصص بيوت الحرم في قصور الخلفاء والسلاطين، ويستعرض مجونهم وعيبتهم لحظة بلحظة لكنه يسكت ازاء ما يقابل ذلك من الحرمان والفقر والحسرات وتبخر الآمال تحت تلك القصور حيث يشقى

الكثيرون ولا تسمح لهم ظروفهم الاجتماعية بالفوز بزوجة. وان عشرات بل مئات النساء الموجودات في بيوت الحرم انما يمثلن حقا طبيعيا لعدد من المحرومين والبؤساء الذين قضوا كل أعمارهم عزابا.

ومن المسلم به ان لو كان مبدأ العفاف يحكم المجتمع، لكانت التقوى امرا لازما للمرأة، عندها لا ينطفيئ الظمأ الجنسي الا في ظل الزواج (دائما وموقتا) ومن ناحية اخرى، تختفي المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، ويتيسر لجميع الافراد التمتع بحقهم الطبيعي - كبشر- في الزواج و يصبح تشكيل بيوت الحرم امرا مستحيلا او ممتنعا.

ان نظرة سريعة الى التاريخ تظهر ان قانون الزواج المؤقت لم يكن له أدنى تأثير على تشكيل بيت الحرم. فان خلفاء بني العباس والسلاطين العثمانيين الذين اشتهروا اكثر من غيرهم بهذه المسألة لم يكن احد منهم شيعيا ليعمل بقانون الزواج المؤقت.

وان السلاطين الشيعة بالرغم من اتخاذهم هذا القانون مررا لاعمالهم الا انهم لم يبلغوا مبلغ الخلفاء العباسيين والسلاطين العثمانيين. وهذا بذاته يفصح عن ان هذه الوضعية كانت نتيجة أسباب اجتماعية اخرى.

### هل جاء تشريع الزواج المؤقت لتأمين العيب الجنسي؟

القسم الثاني: لو شككنا في اي شيء، لما شككنا في ان الاديان السماوية عموما قد جاءت مخالفة للعبث والهوى، حتى وصل الامر بأتباع اكثر الاديان ان يقاوموا الهوى والعبث بصورة رياضات شاقة. وان من مبادئ الاسلام الواضحة والمسلم بها محاربة العيب. وقد جعل القرآن الكريم عبادة الهوى كعبادة الاصنام، وفي الاسلام اعتبر الانسان (الذواق) ملعونا مبغوضا عند الباري تعالى، و «الذواق» هو الانسان الذي يجب الاستمتاع بمختلف النساء على سبيل التذوق. وسنذكر في بحث الطلاق الادلة الاسلامية المتعلقة بهذه النقطة.

ان ميزة الاسلام عن الشرائع الاخرى انه يعارض التصوف والرهبانية ولا يعني ذلك أنه يبيح العيب في المقابل. بل ان رأي الاسلام هو ان جميع الفرائض سواء منها الجنسية وغيرها يجب ان تشيع في حدود الحاجة.

ولكنه لا يجوز ان يقوم الانسان بايقاد نار الغرائز لتصبح عطشا لا يروى. وعلى هذا الاساس، فكل شيء اتخذ لون العيب والظلم، فليس من الاسلام في شيء. مما لاشك فيه انه لم يكن هدف مشروع الزواج المؤقت جعله وسيلة مجون وتكوين بيوت حرم بيد العابثين وسبب بؤس وتشرد امرأة وعدة اطفال. وقد ورد عن أئمة الدين الحث والترغيب في الزواج المؤقت. ولذلك فلسفة خاصة سأوضحها عما قريب.

### بيت الحرم في عالم اليوم

ولنر الآن كيف تصرف عالم اليوم تجاه تشكيل بيوت الحرم. إن عالم اليوم قد النى عادة بيت الحرم، واعتبرها عملا قبيحا وقضى على مسبها لكن على اي مسبب قضى؟ هل قضى على المفارقات الاجتماعية ودفع بالشباب نتيجة لذلك نحو الزواج، وبهذه الطريقة قضى على مسببات انشاء بيت الحرم؟ كلا، بل فعل شيئا آخر، انه حارب السبب الاول (اي عفاف وتقوى المرأة) وأدى بذلك لجنس الرجل اعظم خدمة. فتقوى المرأة وعفافها بمقدار ما يمنحان المرأة قيمة انسانية ويجعلانها عزيزة كريمة يقفان حائلا وسدا امام الرجل بنفس المقدار.

ان عالم اليوم قد عمل على ألا يحتاج عابثو القرن العشرين، الى انشاء بيوت الحرم بما تكلف من اموال وجهود. فبالنسبة لرجل هذا القرن وببركة الحضارة الغربية اصبح كل مكان بيتا للحريم. فرجل هذا القرن لا يحتاج الى مثل اموال هارون الرشيد والفضل بن يحيى البرمكي ولا سلطتها كسي يتمتع بنفس القدر من جنس النساء على اختلاف الالوان والانواع.

فبالنسبة لرجل هذا القرن يكفي ان يملك سيارة ومرتباً لا يزيد على الفين او ثلاثة آلاف تومان<sup>١</sup> ليصبح ماجنا يعبت ويلهو بجنس النساء بشكل لم يكن يحلم به هارون الرشيد نفسه. فجميع الفنادق والمطاعم والمقاهي صارت بيوت حريم لرجل القرن العشرين.

ان شابا مثل (عادل كوتوالى) يقول اليوم بصراحة تامة انه يملك اثنتين

١- التومان: عملة إيرانية تساوي ١/٨ الدولار الامريكى بالسعر الرسمي.

وعشرين معشوقة بأشكال مختلفة فإذا يريد احسن من هذا رجل هذا القرن؟ ان رجل اليوم لم يفتنه من بيوت الحرم - ببركة الحضارة الغربية - الا النفقات الباهضة والجهود المضنية.

ولو ان بطل الف ليلة وليلة بعث في هذه العصر ورأى الوسائل المتنوعة للعبث ومعاشرة النساء ورخص ومجانبة المرأة اليوم، لما فكر في انشاء بيوت الحرم بتلك الميزانية الضخمة والجهود المضنية ولشكر شعوب الغرب الذين أغنوه عن تشكيل هذه البيوت، ولاعلن الغاء تعدد الزوجات والزواج المؤقت لما تضعه على كواهل الرجال من مسؤوليات والتزامات تجاه النساء.

فإذا سألتهم الآن قائلين قد عرفنا الفاتر في لعبة الامس ولعبة اليوم، فمن الخاسر فيها؟ بكل أسف أجيب ان الذي خسر أمس واليوم هو ذلك الموجود الضعيف السريع التصديق، الطيب القلب والذي يسمونه جنس المرأة.

### منع الخليفة للزواج المؤقت

يختص الفقه الجعفري بالزواج المؤقت، اما باقي المذاهب الاسلامية فلا تجيزه وأنا لا اميل أبدا الى أن أثير نزاعا بين الشيعة والسنة. انما اذكر هنا شيئا مختصرا عن تاريخ هذه المسألة.

يجمع المسلمون على ان الزواج المؤقت كان جائزا في صدر الاسلام. وقد اجازه الرسول الاكرم (ص) في بعض أسفاره - حيث كان المسلمون يعانون البعد عن زوجاتهم - كما يتفق المسلمون كذلك على ان الخليفة الثاني في زمن خلافته قد حرم النكاح المنقطع. وعبارته المعروفة المشهورة هي:

«متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص)، وأنا أنهى عنها وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء»<sup>١</sup>

ويعتقد فريق من اهل السنة ان الرسول الاكرم (ص) نفسه قد حرم النكاح المنقطع في أواخر أيامه وما منع الخليفة الا اعلان لمنعها السابق من قبل النبي (ص) الا ان العبارة التي وردت عن نفس الخليفة تدل على خلاف ذلك.

١- وأخرج الطبراني في (المستبين) عن عمر أنه قال:

«ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) أنا محرمن ومعاقب عليهن، متعة الحج ومتعة النساء...» (القدير:

ج ٦ ص ٢١٣)

التفسير الصحيح لهذه المسألة - كما بينته العلامة كاشف الغطاء - هو ان الخليفة قد اعطى لنفسه الحق في منع هذا الامر لانه تصور ان ذلك داخل ضمن صلاحيات ولي امر المسلمين، فكل حاكم وولي امر يمكن ان يمارس صلاحياته حسب مقتضى العصر في مثل هذه المواقف.

وبتعبير آخر، ان نهي الخليفة كان نهياً سياسياً لاشريعياً وقانونياً... فما يفهم من التاريخ، ان الخليفة في فترة حكمه، لم يُخَفِ قلقه من تفرق الصحابة في الاقطار المفتوحة حديثاً واختلاطهم بالشعوب الحديثة العهد بالاسلام. وقد منع مدة حياته خروجه من المدينة المنورة، لئلا يختلط دمه بالمسلمين الجدد قبل ان يتربى الاخيريون تربية اسلامية عميقة، فقد كان لا يرضيه ذلك وبعده خطراً على الاجيال القادمة، وبديهي أن هذا كان سبباً مؤقتاً لا أكثر. والسبب الذي دعا المسلمين في ذلك الوقت الى قبول تحريم الخليفة هو أنهم تلقوه على أنه مصلحة سياسية مؤقتة لا قانوناً دائماً. والا فليس يمكننا ان يقول خليفة العصر قال النبي كذا وانا اقول كذا ويرضى الناس بقوله.

لكن - ونتيجة لاحداث معينة وقعت بعد ذلك - اخذت سيرة الخلفاء الاوائل وخصوصاً الخليفتين الاولين على أنها شيء ثابت ثم ادى التعصب الى ان تتخذ سيرتها شكل القانون. لذا فالاعتراض الذي يردنا انما يرد على اخواننا اهل السنة اكثر مما يرد على نفس الخليفة. فالخليفة حرم النكاح المنقطع تحريماً سياسياً مؤقتاً (كتحريم التبغ<sup>1</sup> الذي وقع في هذا القرن). فيجب الا يعتبره المسلمون أبدياً. بديهي ان نظرة العلامة كاشف الغطاء لم تتناول ما اذا كان تدخل الخليفة اصلاً صحيحاً ام لا! كما لم تتناول ما اذا كانت مسألة الزواج المؤقت من المسائل التي يمكن لولي المسلمين الشرعي أن يحرمها ولولمدة ام لا؟ انما بحث في ان الحادثة في بداية الامر كانت بهذا الاسم وهذا العنوان مما لم يواجه باعتراض عموم المسلمين.

وعلى كل حال، فان نفوذ وشخصية الخليفة وتعصب الناس لسيرته وادارته كانا سبباً في نسيان هذا القانون وترك هذه السنة المكلمة للزواج الدائم والتي يؤدي تعطيلها الى مشاكل كبيرة.

١- تحريم التباك المشهور في ايران - بفتوى المجتهد المرجع آية الله الشيخ محمد حسن الشيرازي:

وهنا قام الائمة الاطهار الذين هم حراس هذا الدين المبين بالترغيب في هذه السنة والتشجيع على القيام بها من اجل الا يطوها النسيان كسنة اسلامية. وقد عد الامام جعفر الصادق (ع) موضوع المتعة من المواضيع التي لا تراعى التقية في بيانها.

وهنا ظهرت حكمة ثانوية اضيفت الى الحكمة الاولى في تشريع النكاح المنقطع وتلك هي السمي لاحياء (سنة متروكة). وفي نظري ان الائمة الاطهار حين نهوا الرجال المتزوجين عن المتعة - بالنظر الى حكمتها الاولى - ارادوا أن يبينوا ان هذا القانون لم يوضع للرجال الذين لا يحتاجونه. فنجد الامام الكاظم (ع) يقول لعلي بن يقطين ما مفاده: ما أنت ونكاح العبيد وقد أغناك الله عنه.

بينما يقول لآخر ما يفيد ان هذا الامر جائز لمن لم يغنه الله عنه بزوجة. وأما من له زوجة فلا يقدم على هذا العمل الا حين يكون بعيدا عن زوجته.

اما ترغيب وتشجيع عموم الناس على ممارسة هذا العمل فقد كان للحكمة الثانوية أي (احياء السنة المتروكة)، اذ ان ترغيب المحتاجين اليها فقط غير كاف لحياتها كسنة، وهذا الامر واضح في أخبار وروايات الشيعة.

وعلى كل حال فان من المسلم به ان هدف مشرع هذا القانون وهدف الائمة الاطهار من الترغيب في ممارستها لم يكن لغرض العبث او اشباع الهوى واقامة بيوت الحریم للمبتدلين ولا لاجل ان يكون سببا في بؤس الساذجات من النساء وحرمان الاطفال من الابوة.

### حديث عن علي عليه السلام

كتب السيد المهدي كاتب المقترحات الاربعين في العدد ٨٧ من مجلة «زن روز» ما يلي:

نقل في كتاب الاحوال الشخصية للشيخ محمد أبي زهرة عن امير المؤمنين (ع) انه قال: «لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن الارجمته بالحجارة».

وقد ترجم السيد المهدي هذه العبارة كما يلي:

«كلما علمت بشخص غير لائق تمتع الاحدته حد المحصن ورجمته

بالحجارة».

اولا: اذا كنا نقبل قول امير المؤمنين (ع) فلماذا نصرب عرض الحائط

كل هذه الروايات المروية عنه في كتب الشيعة وغير الشيعة في باب المتعة،  
ونقتصر على التمسك برواية واحدة رواها أحد علماء أهل السنة وبسند غير واضح؟  
فان من اقوال امير المؤمنين (ع) القيمة مامعناه «لولا لم يمه عمر عن المتعة، لم يزن  
الاشقي» أي مازنا إلا الشقي المنحرف.

ثانياً: ان العبارة الاولى تعني انه هدد المحصن «اي المتزوج» بالرجم، فلا  
أدري لماذا ترجم السيد المهدي كلمة «المحصن» بـ«غير المؤهل» وعلى هذا، فان  
قصد الرواية أنه لا يحق للمتزوجين ان يتمتعوا، ولو كان المقصود انه ليس من حق  
اي شخص مهها كان ان يتمتع لاصبح قيئ «وهو محصن» لغوا. اذا فهذه الرواية  
اذا صحت فهي تؤيد ما يلي:

«ان قانون المتعة قد شرع للافراد المحتاجين الى النساء وهم العزاب او  
الذين يعيشون بعيدا عن زوجاتهم.»

فهذه الرواية اذاً دليل على جواز الزواج المؤقت لاعلى حرمة.

## الفصل الثالث

المرأة  
والاستقلال الاجتماعي

\_\_\_\_\_

### الاستقلال في تقرير المصير

جاء في المرسل عن ابن عباس (رض) أن جارية بكرأجاءت النبي (ص)

فقال:

«— ان ابي زوجني من ابن اخ له ليرفع خسيسته وانا له كارهة.

— أجيزي ما صنع أبوك .

— لارغبة لي فيما صنع ابي.

— فاذهبي فانكحي من شئت.

— لارغبة لي عن ما صنع ابي، ولكن اردت ان أعلم النساء أن ليس

للآباء في أمور بناتهم شيء».

أورد هذه الرواية الشهيد الثاني في المسالك وصاحب الجواهر في جواهر

الكلام<sup>١</sup> وغيرهم من الفقهاء نقلا عن العامة.

في الجاهلية العربية— كما في الجاهلية غير العربية— كان الآباء يعطون

لانفسهم الولاية المطلقة على البنات والاخوات وحتى الامهات في بعض الاحيان.

ولايعترفون لمن بأي حق في اختيار الزوج، وهذا الاختيار— في تصورهم— حق

مطلق للاب او الاخ وعند عدم وجودهما، فالولاية للعم، وقد بلغت الولاية على النساء

في التزويج الى حد أن بعض الآباء كانوا يزوجون بناتهم قبل ولادتهن! فاذا ولدت

البنت وجدت من ينتظرها ليأخذها زوجة له بعد ان تكبر.

١— ح ٢٩ ص ١٧٧ نقلا عن سنن ابن ماجه، ج ١، ص: ٥٧٨.

## التزويج قبل الولادة

في آخر حجة حجها رسول الله (ص) وبينما كان راكبا وبيده سوط  
اعترض طريقه رجل وقال له:  
— أشكو اليك يا رسول الله.

— قل

— قبل سنوات وفي الجاهلية اشتركت مع طارق بن مرقة في احدى  
المعارك فاحتاج طارق في أثناء القتال الى سهم فنادى: من يعطيني سهما و يأخذ  
أجره؟ فتقدمت منه وقلت له: وما اجره؟ قال: اعدك أن اغطيك اول فتاة تولد،  
فقبلت واعطيته السهم. ومرت الايام والسنون حتى علمت اخيرا ان في بيته فتاة  
ناضجة، فذهبت اليه وذكرته بالقضية وطالبته بالوفاء بالوعد الذي قطعه، لكنه  
نكص واخذ يتذرع بالحجج وطالبني بمهر وقد جئتك يا رسول الله لارى هل الحق  
معه ام معي؟

— وما عمر الفتاة؟

— انها كبيرة، وقد ابيض بعض شعر رأسها.

— ليس الحق معك ولا مع طارق، انصرف الى عملك ونحل سبيل هذه  
الفتاة المسكينة.

تخبر الرجل و بقي ينظر الى الرسول (ص) وهو غارق في التفكير في أنه اي  
حكم جائر هذا الذي اصدره الرسول (ص)؟... أليست للآباء ولاية على بناتهم؟  
ولماذا لا يحق للاب أن يأخذ مهرا جديدا و يعطي ابنته برضاه؟  
لكن الرسول (ص) أدرك من نظراته الحائرة ما يدور في ذهنه فقال له:  
«اعلم أنك ان اتبعت قولي لن تأثم أنت ولن يأثم رفيقك طارق.»

## مبادلة البنات

اما نكاح الشغار فقد كان مظهرا آخر من مظاهر الولاية المطلقة للآباء  
على بناتهم، ونكاح الشغار هو مبادلة البنات وذلك بان يتفق رجلان على ان يزوج  
كل منهما ابنته للآخر وتكون كل منها مهرا بالنسبة للآخرى. لقد حرم الاسلام

هذا النوع من الزواج واعتبره باطلا.

### الرسول(ص) منح ابنته الزهراء حرية اختيار الزوج

لقد زوج الرسول الاكرم(ص) عددا من بناته دون ان يصادر حقهن في الاختيار وعندما خطب علي بن ابي طالب(ع) الزهراء(ع) من ابيها قال له الرسول(ص) ان رجالا آخرين كانوا قد طلبوا يدها وانه(ص) اخذ رأيا فيهم فكانت تشيح بوجهها اشارة على عدم رضاها وانه(ص) سوف يأخذ رأيا في الخاطب الجديد.

وذهب الرسول(ص) الى ابنته الزهراء واطلعه على الموضوع، بيد ان الزهراء لم تعرض هذه المرة كما كانت تفعل من قبل بل عبرت عن رضاها بسكوتها فخرج الرسول(ص) من عندها وهو يكبر.

### النهضة الاسلامية للمرأة كانت نهضة بيضاء

لقد قدم الاسلام اعظم الخدمات لجنس المرأة ولم يكن سلب الولاية المطلقة للآباء على بناتهم الخدمة الوحيدة التي قدمها الاسلام في هذا الميدان. لقد منحها حريتها وشخصيتها واستقلالها الفكري واعترف بحقوقها الطبيعية، لكن هناك فرق بين اساسيين بين ما فعله الاسلام في هذا السبيل وبين ما يجري في بلاد الغرب و يقلده الآخرون هنا.

الاول: من وجهة نظر علم النفس اذ صنع الاسلام المعجزات في هذا المجال وسوف نبحث هذا الموضوع في الفصول القادمة ونعطي نماذج له.

الثاني: يتمثل في ان الاسلام— وهو يعرف النساء بحقوقهن الانسانية ويعترف لهن بشخصيتهن وحريتهن واستقلالهن— لم يدعهن الى التمرد والعصيان والطفيان ضد جنس الرجال، ولم يزرع في نفوسهن التشاؤم منهم.

لقد كانت النهضة الاسلامية النسوية نهضة بيضاء ولم تكن سوداء ولا حمراء ولا زرقاء ولا بنفسجية. فلم يقض الاسلام على احترام البنات لآبائهن والنساء لازواجهن، ولم يزعزع أسس البناء العائلي، ولم يفسد نظرة المرأة الى الحياة الزوجية والامومة وتربية الاطفال، ولم يجعل المرأة متاعا للعزاب الذين يبحثون عن صيد، ولم ينتزع النساء من احضان ازواجهن والفتيات من كنف امهاتهن وآبائهن

ويسلمهن الى المترفين من أصحاب المناصب العليا، لم يفعل الاسلام ما يؤدي الى ارتفاع صحبات الاستغاثة الى السماء من الجانب الآخر من المحيط داعية بالويل والثبور لانهيار كيان العائلة المقدس وفقدان الاطمئنان الابوي: ماذا نفعل مع كل هذا الفساد؟ ماذا نفعل مع قتل الاطفال واسقاط الاجنة؟ وبنسبة الـ (٤٠%) من الولادات غير الشرعية لمواليد لا يعرف آباؤهم، وامهات لا يرغبن في تربيتهم لانهم لم يلدنهم في بيوت يظللها حنان الآباء، فيرمين بهم في المؤسسات الاجتماعية وتنقطع علاقتهم بهم الى الابد.

ان بلادنا محتاجة الى نهضة نسائية... نهضة اسلامية بيضاء، لانهضة سوداء على الطريقة الاوروبية... نهضة لا تتدخل فيها الايدي الدنسة لعباد الشهوات من الشبان... نهضة تنبع فعلا من التعاليم السامية ولا تسخر القوانين الاسلامية للاهواء والشهوات باسم تغيير القانون المدني. نهضة تقوم أولا بالدراسة المنطقية والمعمقة التي تهدف الى معرفة مدى تطبيق التعاليم الاسلامية في المجتمعات التي تطلق على نفسها اسم الاسلام.

واذا وفقنا الله تعالى لاكمال هذه المقالات وبحث النقاط الضرورية فسوف نعرض نتائج ومكاسب النهضة الاسلامية للمرأة وسوف نجد المرأة الايرانية ان باستطاعتها القيام بنهضة حديثة - مستقلة ومنطقية - تنبع من فلسفتها المستقلة التي ظهرت قبل اربعة عشر قرنا من غير ان تمد يد الصراعة الى عالم الغرب.

## اذن الاب

المسألة المطروحة حول ولاية الآباء على بناتهم هي: هل تشترط موافقة

الاب في زواج ابنته البكرام لا؟

من وجهة النظر الاسلامية هناك عدة نقاط لاجدال فيها:

يتمتع الابن والبنت -كلاهما- بالاستقلال الاقتصادي، اذ يحق لكل منهما التصرف في أمواله او الاحتفاظ بها اذا كان بالغاً عاقلاً ورشيداً ايضاً، اي ناصحاً فكرياً من وجهة نظر المجتمع، وليس للاب او الام او الزوج او الاخ او اي شخص آخر حق الاشراف عليها او التدخل في شؤونها من هذه الناحية.

و اذا بلغ الفتى سن الرشد وكان عاقلاً رشيداً فانه يملك أمره ولا يحق لاحد

ان يفرض عليه شيئاً في موضوع زواجه.

اما الفتاة فانها ان كانت ثيبا فهي ايضا تملك امرها كما هو الحال بالنسبة للفتى. ولكن ما هو حكم الفتاة البكر التي تريد الاقتران برجل لأول مرة؟

لاشك في انه ليست لابيها عليها سلطة مطلقة، ولا يحق له ان يزوجها من يشاء بدون رضاها، فقد رأينا كيف ان الرسول(ص) كان صريحا في جوابه للفتاة التي زوجها ابوها بدون ان يأخذ رأيها اذ قال(ص) لها: بأنها تستطيع - ان لم تكن رغبة بذلك - الزواج من غيره. ان الاختلاف الموجود بين الفقهاء، يدور حول مسألة: الا يحق للفتيات الباكرات الزواج بدون موافقة آبائهن؟ ام ان موافقة الآباء ليست شرطا في صحة الزواج في أي حال من الاحوال؟

وهناك مسألة اخرى لاختلاف فيها ايضا وهي: اذا لم يأذن الاب بزواج ابنته ولم يكن لديه سبب معقول فان ولايته تسقط ويحق للبنت ان تختار الزوج المناسب لها باتفاق كافة الفقهاء.

اما هل تعتبر موافقة الاب شرطا ام لا فقد قلنا بان هناك اختلافا بين الفقهاء حول هذه المسألة ولعل أغلبهم - وخصوصا المتأخرين - لا يعتبرون موافقة الاب شرطا بينما يرى بعضهم انه شرط، وقانوننا المدني يتقيد برأي هذا البعض وهو الرأي الاقرب للاحتياط.

وحيث ان هذه المسألة ليست من القضايا الاسلامية الثابتة فسوف لاتناولها بالبحث من وجهة النظر الاسلامية. ولكني ارى ضرورة بحثها من زاوية اجتماعية. اضافة الى رأبي الشخصي الذي ارى فيه ان قانوننا المدني قد نحا المنحى الصحيح في هذه القضية.

### الرجل عبد الشهوة والمرأة اسيرة المحبة

ان فلسفة منع الفتاة اوعلى الاقل عدم تحبيد زواجها من دون موافقة أبيها لاتكمن في اعتبار الفتاة قاصرة او اقل من الرجل في النضج الاجتماعي، اذ لو كان الامر كذلك لما كان هناك فرق بين الثيب والبكر لتكون الثيب البالغة من العمر ستة عشر عاما مستغنية عن موافقة الاب بينما تحتاج البكر البالغة ثمانية عشر عاما الى موافقته. و اذا كان الاسلام يعتبر الفتاة قاصرة عن ادارة امورها فلماذا اعطى البنت البالغة الرشيدة استقلالها الاقتصادي وصحح معاملاتها المالية حتى

لويبلغت الملايين دون الحاجة الى موافقة الاب والاخ او الزوج؟ ان لهذا الامر فلسفة لا يمكن اغفالها حتى لو تجاوزنا الادلة الفقهية. و ينبغي ان نقول لواضعي القانون المدني، نِعْمَ ما صنعتم.

ان هذا الموضوع لا يرتبط بقصور المرأة وعدم نضجها العقلي ولكنه يتعلق بجانب من التركيب النفسي للرجل والمرأة، بروح الاصطياد التي يتمتع بها الرجل من جهة وسرعة الاطمئنان التي تتميز بها المرأة في مقابل وفاء واخلاص الرجل من جهة اخرى.

الرجل عبد الشهوة والمرأة اسيرة المحبة. ان الذي يهز الرجل ويجره الى المنزلق و يقضي عليه هو الشهوة بينا المرأة — باعتراف علماء النفس — اشد من الرجل صبرا وثباتا امام الشهوة، لكن الذي يأسر المرأة أو يقضي عليها هو سماعها نغمة المحبة والصفاء والعشق والوفاء من فم الرجل، فهنا تكن سرعة اطمئنان المرأة.

ان المرأة مادامت بكرا — لم يمس جسدها صابون الرجال — فانها تصدق حديث الحب من الرجل بسهولة.

لأدري هل قرأتم نظريات عالم النفس الامريكي البروفيسور (ريك) المنشورة في العدد (٩٠) من مجلة «زن روز» اي — امرأة اليوم — بعنوان «ليس العالم واحدا بالنسبة للرجل و المرأة»؟ انه يقول: فخير جملة يمكن ان يقولها رجل لامرأة هي: عزيزتي انني احبك». ويقول ايضا: «تتلخص السعادة بالنسبة للمرأة في امتلاكها قلب رجل والاحتفاظ به طول عمرها».

ان رسول الله (ص) — هذا العالم النفسائي الالهي — أوضح هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرنا اذ قال: «قول الرجل للمرأة «احبك» لن يذهب من قلبها ابدا».

ان الرجال المصطادين للنساء يستفيدون دائما من هذا الاحساس عند المرأة ومجدون جملة «عزيزتي انني اموت في حبك» أفضل شرك لاصطياد الفتيات اللواتي لم يدخلن في تجربة مع الرجال.

في هذه الايام يتناقل الناس قصة امرأة اسمها «افسر» حاولت الانتحار ورجل اسمه (جواد) حاول خداعها وكان جواد يستخدم تلك الجملة من اجل الايقاع بها. اما افسر فتقول — حسب ما نقلته عنها مجلة (زن روز) —:

«مع انني لم اكن اتحدث معه لكنني كنت احب ان اراه كل يوم وكل ساعة».

«لم اكن قد عشقته ولكنني كنت اشعر بحاجة نفسية الى العشق الذي اظهره. وهكذا كل النساء يجبن العشوق قبل ان يجبن الحب نفسه. ويظهر الحب دائما بالنسبة للفتيات والنساء بمجرد وجود المحب. ولم اكن مستثناة من تلك القاعدة».

هذا ما حصل لامرأة ثيب ذات تجربة، فما حال الفتيات الغريبات؟  
من هنا ينبغي على الفتاة التي لم تختبر الرجال أن تشاور أباه وتحصل على موافقته فهو اعرف بمشاعر الرجال ولا يريد لابنته الا الخير والسعادة في معظم الحالات.

ان القانون هنا لم يحترم المرأة ابدا. ولكنه وضع على كتفها يد الحماية واذا سأل الفتيان لماذا لم يلزمنا القانون بالحصول على اذن الاب او الام فليس بعيدا عن المنطق ان يعترض أحد باسم الفتيات على وجوب الحصول على موافقة الاب. انني اعجب من الاشخاص الذين يحثون الفتيات على الترد و يوصونهن بعدم الاكثرات بأوليائهن وهم يواجهون و يرون و يسمعون كل يوم قصصا كقصص بيوك وزهرة وعادل ونسرين.

ان هذه الاعمال في رأيي نوع من التواطؤ بين افراد يدعون الحرص على مصلحة النساء وهم يصنعون منهن فرائس سهلة لمصطادي النساء في العصر الحديث و يهينون السهام ليسوقوا هذه الفرائس نحوهم.

\* \* \*

في العدد ٨٨ من مجلة (زن روز) يقول كاتب الاربعين اقتراحا:  
«ان المادة ١٠٤٣ تخالف وتناقض جميع مواد القانون المتعلقة بالبلوغ وسن الرشد، وتخالف ايضا أساس حرية الانسان و منشور الامم المتحدة...»  
يبدو ان الكتاب قد تصور ان مفاد المادة المذكورة هو انه يحق للآباء - ابتداءً - ان يزوجوا بناتهم ممن يشاؤون وانهم يحق لهم - بدون سبب - ان يمنعوا بناتهم من الزواج.

ترى اي ضير وأي منافاة مع حرية الانسان تكمن في اشتراط موافقة الاب لصحة الزواج مع اعطاء الفتيات حق الاختيار؟ وهذا ايضا مشروط بأن لا يكون

للأب سوءنيّة اوفساد ذوق يحول دون زواج ابنته. ان هذا الاشرط اجراء احترازي  
واشراف قانوني يهدف الى صيانة المرأة التي ليست لها تجربة زوجية وهو قائم على  
سوء الظن بطبيعة الرجال.

يقول الكاتب المذكور:

«ان واضع القانون يعتبر الفتاة البالغة من العمر ثلاثة عشر عاما صالحة  
للزواج قبل ان تبلغ مرحلة النضج الفكري وتفهم معنى الحياة الزوجية وهذا يسمح  
لمخلوق لا يصلح لشراء كمية من الخضروات ان يختار لنفسه شريك حياته الذي  
يعيش معه طول عمره في الوقت الذي لا يسمح لفتاة في الخامسة والعشرين او  
الاربعين من عمرها وأتمت تحصيلها الجامعي ووصلت الى مستوى رفيع من  
الناحية العلمية ان تختار زوجا لها بدون اذن الاب او الجد العامي الامي...»  
اولا: كيف يفهم من القانون السماح لفتاة في الثالثة عشرة من عمرها  
ان تختار زوجا لها بدون اذن ابها وعدم السماح لفتاة في الخامسة والعشرين او  
الاربعين ان تفعل ذلك؟

ثانيا: ان اشترط موافقة الاب محصورة في حدود العاطفة الابوية وفهم  
مشاعر الرجل تجاه المرأة، اما اذا تحول ذلك الاشرط الى عائق فانه يسقط من  
الاعتبار.

ثالثا: لاظن ان قاضيا يدعي ان القانون المدني لا يشترط النضج العقلي  
والفكري في الزواج وبيح لفتاة في سن الثالثة عشرة والتي لا تفهم شيئا عن الحياة  
الزوجية - كما يقول الكاتب - ان تتزوج، ان المادة (٢١١) من القانون المدني  
تقول:

«يعتبر المتعاملون واجدين للاهلية اذا كانوا عقلاء بالغين رشدين» ومع  
ان هذه الجملة استعملت كلمة (متعاملون) وان باب النكاح غير باب المتعاملين  
لكن السبب تبعية النكاح لعنوان اعم هو عنوان «العقود والمعاملات»،  
والالتزامات» التي تبدأ من المادة (١٨١) فان خبراء القانون المدني يعتبرون  
المادة (٢١١) معبرة عن «الاهلية العامة» اللازم توفرها في سائر العقود.

ان جميع وثائق الزواج القديمة تترك فراغا لاسم الرجل مسبقا بـ«البالغ  
العاقل الرشيد...» وفراغا آخر لاسم المرأة مسبقا بـ«البالغة العاقلة الرشيدة...»  
فهل يعقل كون مدوني القانون المدني غافلين عن هذه النقطة؟

ان مدوني القانون المدني لم يكونوا يتصورون بان الانحطاط الفكري سيصل الى درجة يجب ان يقتضي الامر تخصيص مادة جديدة في باب النكاح تشترط البلوغ والعقل والرشد مع وجود مادة عن الاهلية العامة.

لقد تصور احد شارحي القانون المدني «وهو الدكتور. سيد علي شايجان» ان المادة (١٠٦٤) التي تقول: «ينبغي ان يكون العاقد بالغاً وعاقلاً وقاصداً» متعلقة بالزوجين وحيث ان هذه المادة لم تذكر الرشد اضافة الى البلوغ والعقل والقصد فقد تراءى له بانها تتناقض مع المادة (٢١١) التي ذكرت الاهلية العامة ثم حاول ان يبرر هذا التناقض. بينا الحقيقة ان المادة (١٠٦٤) تتحدث عن العاقد لاعن الزوجين، ولا يشترط في العاقد ان يكون رشيداً.

ان الذي يستحق الاعتراض عليه في هذا المجال هو سلوك الايرانيين وليس القانون المدني ولا القانون الاسلامي. فعالية الاباء يعطون لانفسهم السلطة المطلقة على بناتهم كما كان الامر في ايام الجاهلية ويعتبرون تعبير البنت عن رأيها في اختيار زوجها وشريك حياتها وأبي اولادها في المستقبل لونا من عدم الحياء وخروجها عن اللياقة الادبية ولا يقيمون وزناً للنضج الفكري للفتاة مع ان رأي الفتاة في الزواج هو امر ثابت في الاسلام. وما أكثر عقود الزواج التي تقع قبل رشد الفتيات فتكون باطلة ولا يترتب عليها أي اثر.

ان العاقدين لا يثبتون من رشد الفتيات ويعتبرون البلوغ وحده كافياً، بينما نعلم جميعاً كيف كان كبار العلماء يثبتون من النضج العقلي والفكري للفتيات قبل اجراء عقد قرانهن كما تشير الى ذلك الكثير من القصص. كما ان بعض العلماء كانوا يعتبرون النضج الديني للفتيات شرطاً فلا يعقدون قران البنت التي لا تستطيع ان تستدل فكراً على اصول الدين. ولكن الذي يؤسف له ان معظم اولياء الاطفال، والعاقدين لا يراعون ذلك.

لكن يبدو ان سوء تصرف الناس ليس محلاً للانتقاد بل المطلوب ان تكسر جميع الاقداح والقوارير برأس القانون المدني وان يعبأ الرأي العام ضد هذا القانون المستخرج من الشريعة الاسلامية.

وفي رأيي ان الخلل الموجود في القانون المدني هو في المادة (١٠٤٢) التي

تقول:

«بعد اكمال خمسة عشر عاما من العمر ايضا لا تستطيع الاناث بدون اذن اوليائهن ان يتزوجن قبل اكمال ثمانية عشر عاما من العمر».

فبموجب هذه المادة لا تستطيع المرأة الزواج بدون اذن وليها اذا كان عمرها واقعا بين ١٥-١٨ عاما وان كانت ثيبا وهو امر لا يقره الفقه الشيعي ولا المنطق العقلي، اذ لا ضرورة لموافقة الاب على زواج البنت الواجدة لشروط البلوغ والرشد اذا كانت قد تزوجت من قبل.

\*\*\*

## الفصل الرابع

الاسلام  
وتجدد الحياة

---

\_\_\_\_\_

## الاسلام وتجدد الحياة

(١)

مقتضيات العصر: في مقدمة كتاب (الانسان والمصير) حيث بحثت مسألة عظمة وانحطاط المسلمين، قسمت البحث حول اسباب انحطاط المسلمين الى ثلاثة اقسام: الاسلام، المسلمون، العوامل الخارجية.

في هذه المقدمة، اعتبرت هذا الموضوع احد المواضيع السبعة والعشرين الواجبة البحث والتحقيق، ووعدت بنشر رسالة تحت عنوان (الاسلام ومقتضيات العصر) اعدت لها ملاحظات كثيرة مسبقة.

في هذه السلسلة من المقالات لم أستطع ان ابحث جميع المواضيع التي كان يجب ان تتضمنها تلك الرسالة، لكنني سأوضح اجمالاً ما يجمل الاشكالات الواردة على اذهان قراء هذه المقالات المحترمين.

ان موضوع الدين والتقدم من الموضوعات المطروحة امام اتباع الاديان الاخرى اكثر مما تطرح امام المسلمين. وكثير من مثقفي العالم العصريين انما تخلوا عن الدين لانهم تصوروا انه لا ينسجم وتجدد الحياة. تصوروا ان الدين يستلزم التوقف والجمود وممارسة التقدم والتطور. وبتعبير آخر قد فهموا خاصية الدين على انها الجمود والبقاء على نفس الاشكال والصور بشكل دائم.

كان نهرو رئيس وزراء الهند الفقيه يحمل آراء علمانية وكان لا يؤمن بأي دين أو مذهب، ويفهم من أقواله ان ما نقره من الدين هو الجمود الديني. وكان في اواخر عمره يشعر بفراغ في وجوده وفي العالم اعتقد انه لا يملأ الا بالطاقة

المعنوية. لكنه في نفس الوقت كان يستوحش من كل الاديان بسبب نظرتة الى الدين كشي وثابت النعمة.

وقد اجرى معه الصحفي الهندي (كارانجيا) مقابلة صحفية في اواخر عمره (طبعت بالفارسية) يظهر انها كانت آخر تصريحاته حول المسائل العامة العالمية. قال له كارانجيا فيما يتعلق بغاندي: «ان بعض المثقفين يعتقدون ان غاندي بوسائله المعنوية وطرقه الروحية قد زلزل آراءك في الاشتراكية العلمية. فأجاب نهرو قائلا: «ان استثمار الاساليب المعنوية والروحية امر لازم وجيد. وقد كنت أشارك غاندي هذه الآراء وأرى ان الافادة من هذه الاساليب اكثر لزوما هذه الايام من أجل مواجهة الفراغ المعنوي للحضارة الحديثة التي تلقى رواجاً متزايداً».

وعاد كارانجيا يسأله عن الماركسية، فأجابه نهرو بذكر بعض نقائصها وطرح مجددا الاساليب الروحية كحلول لها. وعندها قال له كارانجيا: «وانت تتحدث الآن عن المناهج الاخلاقية والروحية كحلول للمشكلات الا ترى انك تختلف عن جواهر لال نهرو الذي عرفناه بالامس؟ (اي نهرو في سن الشباب)، فان الذي تقوله الآن يظهر لنا ان السيد نهرو في اواخر عمره قد اخذ يبحث عن الله».

فقال نهرو: «نعم، لقد تغيرت، وان تاكيدي على الموازين الاخلاقية والروحية ليس امرا عفويا...» واطاف: «والمطروح الآن هو كيف يمكن ان نسمو بالاخلاق والروحيات الى مستوى أعلى» ويجيب هو نفسه قائلا: «بديهي ان هناك الدين، لكن للأسف فان الدين قد هبط مستواه نتيجة لوجود النظرة الضيقة، والتقييد بقوانين جافة وجامدة، والافتقار على بعض الشكليات لاغير، وقد ذهب مفهومه الحقيقي وروحه ولم يبق الا القشور».

**الاسلام ومقتضيات العصر:** من بين جميع الاديان والمذاهب لا يوجد مذهب او دين تدخل في الشؤون الحياتية للناس كما تدخل الاسلام. ان الاسلام لم يكتف في مقرراته بمجموعة من العبادات والاذكار والاوراد ومجموعة اخلاقيات وانما قام بالاضافة الى بيان علاقات العباد برهم. بتوضيح الخطوط الرئيسة للعلاقات الانسانية وحقوق وواجبات الافراد تجاه بعضهم البعض. لذا فان مسألة الانسجام

مع العصر فيما يتعلق بالاسلام بمواصفاته هذه، مسألة واردة.  
وما يلفت النظر ان الكثير من العلماء والكتاب الاجانب، قد درسوا  
الاسلام من حيث قوانينه الاجتماعية والمدنية واقرأوا ان القوانين الاسلامية مجموعة  
من القوانين الراقية، و اشادوا بميزة هذا الدين لحيويته وقابلية قوانينه للانسجام مع  
التقدم العصري.

قال برنارد شو الكاتب الانكليزي المتحرر المعروف : «لقد كنت دائماً  
اكن غاية الاحترام لدين محمد بسبب حيويته العجيبة، وفي رأيي ان الاسلام  
هو الدين الوحيد الذي يملك الاستعداد للتلاؤم ولتوجيه الحالات المتنوعة والصور  
الحياتية المتغيرة ولمواجهة العصور المختلفة، واني لأتنبأ—وان علامات هذه النبوة  
قد ظهرت منذ الآن— أن دين محمد سيكون محل قبول اوروبا غداً.»

«ان رجال الدين في القرون الوسطى — نتيجة للجهل او التعصب — قد  
رسموا لدين محمد صورة قاتمة، فقد كانوا يعتبرونه عدوا للمسيحية لكنني قد  
اطلعت على امر هذا الرجل فوجدته اعجوبة خارقة، وتوصلت الى أنه لم يكن  
عدوا للمسيحية بل انه يجب ان يسمى منقذ البشرية. وفي رأيي انه لو تولى امر  
العالم اليوم لوفق في حل مشكلتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو اليها.»  
والدكتور شبلي شميل العربي اللبناني، المادي المذهب، قام بترجمة كتاب  
اصل الانواع لداروين الى اللغة العربية لأول مرة مع شرح «بوخنر» الالماني  
وجعله في متناول ايدي الناطقين باللغة العربية. بقصد محاربة العقائد المذهبية.  
انه بالرغم من ماديته الا انه لا يخفي اعجابه بالاسلام وما بناه من عظمة،  
وكان على الدوام يعد الاسلام مدناً قابلاً للتطبيق في كل زمان.

هذا الرجل كتب مقالة تحت عنوان (القرآن وال عمران) في الجزء الثاني  
من كتابه فلسفة النشوء والارتقاء والصادر باللغة العربية. هذه المقالة هي رد على  
احد الاجانب الذين زاروا البلاد الاسلامية وعد الاسلام مسؤولاً عن تأخر  
المسلمين. يسعى شبلي شميل من خلال هذه المقالة الى اثبات ان سبب تأخر  
المسلمين هو الانحراف عن تعاليم الاسلام الاجتماعية لا الاسلام، وان أولئك  
الغربيين الذين يهاجون الاسلام اما انهم لا يعرفونه او انهم سيئون النية يريدون ان  
يشوهوا صورة القوانين والمقررات الاسلامية في انظار الشرقيين و يضعوا طوق  
العبودية في اعناقهم.

وفي عصرنا أصبح التساؤل حول ما اذا كان الاسلام ينسجم مع العصر او لا امرا عاما. وحين اتصلت بمختلف طبقات المجتمع وخصوصا الطبقة المثقفة والمطلعة لم اجد موضوعا يسألون عنه اكثر من هذا الموضوع بالذات.

### اشكالات:

بعض الاحيان، يحاول هؤلاء تغليف اسئلتهم بغلاف فلسفي فيقولون: كل شي ومتغير في العالم ولا يوجد شي ثابت ابدا. والمجتمع البشري ليس استثناء لهذه القاعدة فكيف يمكن لمجموعة من القوانين الاجتماعية ان تبقى ثابتة على الدوام؟ ولو اردنا ان نجيب على هذا السؤال جوابا فلسفيا بحتا، لكانت الاجابة واضحة جدا. ان الاشياء المتغيرة التي تكون جديدة وقديمة. في نمو وضمور. في رقي وتكامل، هي المواد والمركبات المادية في الوجود. أما قوانين الوجود فتأبته فتلا ان الموجودات الحية تكاملت وتكامل طبق قوانين خاصة وقدين العلماء قوانين التكامل هذه. فالموجودات الحية نفسها دائمة التغير والتكامل لكن ما بال قوانين التغير والتكامل؟ بالطبع هي لا تتغير ولا تتكامل وحديثنا الآن حول هذه القوانين وهنا لافرق بين القانون الطبيعي او الوضعي. اذمن الممكن ان يكون القانون الوضعي مستندا الى الفطرة والطبيعة، ومعينا لحظ السير التكاملي للافراد والجماعات.

لكن التساؤل حول انسجام الاسلام او عدم انسجامه مع مقتضيات العصر ليس ذا جانب فلسفي وعام وحسب. فان السؤال الذي يطرح اكثر من غيره هو ان القوانين انما توضع على ضوء الاحتياجات، وان احتياجات الانسان الاجتماعية ليست ثابتة، اذا فلا يمكن ان تكون القوانين الاجتماعية ثابتة.

هذا السؤال جيد وذوقية. اذ ان من معجزات الدين الاسلامي المبين التي يفتخر بها كل مسلم واع وعالم هي ان الاسلام وضع للاحتياجات الثابتة للفرد والمجتمع قوانين ثابتة، وللحاجات المؤقتة والمتغيرة مقررات مرنة. وهذا ما سنبينه ان شاء الله بمقدار ما ينسجم وهذه المجموعة من المقالات.

مع اي شي ينسجم العصر نفسه؟

قبل البدء بهذا البحث يجب أن أوضح أمرين:

**الاوله:** ان اكثر الذين ينادون بالتقدم والتكامل وتغيير الاوضاع العصرية يتصورون أن كل تغير في الاوضاع الاجتماعية خصوصا ذلك الذي يصدره الغرب لا بد ان يعد تكاملا وتقدما، وهذا من أكثر الافكار التي سادت بين الناس هذه الايام ضلالاً.

يخيل لهذه المجموعة أن وسائل المعيشة والرفاه اذ تتغير يوماً بعد يوم ويحل الكامل محل الناقص واذ يكون العلم والصناعة في حالة تقدم مستمر، فن الواجب علينا ان نرحب بأي تغيير يطرأ على حياة الانسان وان نعده نوعاً من الرقي والتقدم. انها الختمية التاريخية ولا بد ان تأخذ طريقها رضينا أم أبينا.

هذا في الوقت الذي لا تكون جميع التغييرات نتيجة مباشرة للعلم والصناعة ولا وجود للحتم ابدأ. ففي الوقت الذي يكون العلم في تقدم، لا تقف الطبيعة المتمردة للبشر مكتوفة اليدين. العلم والعقل يدفعان بالانسان نحو الكمال، والطبيعة الانسانية المتمردة تجره نحو الفساد والانحراف. اذ ان شهوات الانسان الطبيعية تسمى لان تجعل من العلم أداة بيدها لخدمة الشهوة والرغبات الحيوانية. فالعصر في الوقت الذي يستوعب التقدم والتكامل يستوعب الفساد والانحراف أيضاً. لذا يجب ان نتقدم مع تقدم العصر ونكافح فساده وانحرافه. ان المصلح والرجعي كليهما تائثران على العصر، مع فارق ان المصلح تائثر ضد الانحراف والرجعي تائثر ضد التقدم. فاذا اتخذنا العصر وتغييراته مقياساً عاماً للخير والشر، فبأي مقياس سنقيس العصر وتغييراته؟ اذا اردنا ان ينسجم كل شيء مع العصر، فع أي شيء يجب ان ينسجم العصر نفسه؟ واذا اصبح البشر تابعين للعصر وتغييراته فأين إذا دورهم الفعال والخلاق والبناء؟

ان الانسان الذي امتطى مركب العصر وهو في حركة مستمرة يجب ان لا يغفل لحظة عن قيادة هذا المركب. اما الذين يتحدثون عن تغييرات العصر بينما هم غافلون عن قيادته فقد نسوا دور الانسان الفعال في ذلك وهم كالفارس الذي اسلس قياده لفرسه.

### إنسجام ام الغاء؟

والامر الثاني الذي يجب ان أشير اليه هنا هو أن بعض الافراد قد حلوا مشكلة «الاسلام ومقتضيات العصر» بطريقة بسيطة وسهلة. فهم يقولون ان

الاسلام دين خالد يتواءم مع كل عصر وزمان. فاذا سألتناهم كيف يتم هذا التواءم؟ ما طريقته؟ قالوا: اذا رأينا الزمان قد تغير ألغينا— فوراً— القوانين الاولى ووضعنا بدلها قوانين جديدة!!

ان كاتب الاربعين مقترحاً قد حل المشكلة على هذه الصورة. انه يقول ان القوانين الدنيوية التي جاءت بها الاديان لا بد أن تكون مرنة تنسجم وتواءم مع التقدم العلمي والتطور الحضاري فان هذه المرونة والقابلية على التواءم مع مقتضيات الزمان ليست غير مخالفة لتعاليم الاسلام الرفيعة فحسب بل انها تتطابق وروحيته (مجلة «زن روز» أي «امرأة اليوم العدد ٩٠ صفحة ٧٠»).

يقول الكاتب المذكور قبل وبعد الجمل السابقة «مادامت مقتضيات الزمان في تغير، و كل زمان يستوجب سن قوانين جديدة، وكانت قوانين الاسلام المدنية والاجتماعية تتناسب مع الحياة البسيطة لعرب الجاهلية بل كانت غالباً مماثلة لعادات الجاهلية ولا تنسجم والعصر الحاضر، فيجب اذا ان نضع بدلها اليوم قوانين جديدة».

اننا يجب ان نسأل مثل هؤلاء «اذا كان معنى القابلية على التواءم مع العصر هو القابلية على الالغاء، فاي قانون لا يملك مثل هذه المرونة؟ واي قانون لا ينسجم بهذا المعنى مع العصر والزمان؟»

ان هذا التعليل لمرونة وقابلية الاسلام على الانسجام مع الزمان يشبه قول شخص «ان الكتاب و المكتبة احسن وسيلة للتلذذ في الحياة» وحين نسأله عن توضيح ذلك يجيب: «لان الانسان متى اراد ان يلهو عرض الكتب بأسعار مخفضة للبيع وأنفق ثمنها في الانس والطرب».

يقول الكاتب المذكور «ان تعاليم الاسلام ثلاثة انواع»:

**النوع الاول:** اصول العقائد، كالتوحيد والنبوة والمعاد وغيرها.

**النوع الثاني:** العبادات من قبيل المقدمات والمقارنات كالصلاة والصوم والوضوء والطهارة والحج وغير ذلك.

**النوع الثالث:** القوانين المتعلقة بحياة البشر.

النوعان الاول والثاني جزء من الدين وهما يمثلان الشيء الذي يجب ان يحتفظ به الناس دائماً. اما النوع الثالث فليس جزءاً من الدين. اذ ان الدين

لايتدخل في حياة الناس، كما ان النبي(ص) لم يطرح هذه القوانين على أنها جزء من الدين والرسالة، ولكن بما انه(ص) كان حاكما، فقد مارس عمليا هذه الامور، والا فدور الدين ينحصر فقط في دعوة الناس الى الصلاة والصوم ولاشأن له بحياة الناس».

انني لا استطيع أن اتصور ان شخصا يعيش في بلد اسلامي يمكن ان يكون جاهلا بمنطق الاسلام الى هذا الحد.

الم يبين القرآن هدف الانبياء والمرسلين؟ الم يقل بصراحة:

«لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط».

ان القرآن يذكر العدالة الاجتماعية على انها الهدف الاساس لجميع

الانبياء.

اذا اردتم الا تعملوا بالقرآن فلم ترتكبوا اثما كبيرا وتلصقون التهم بالاسلام والقرآن؟ ان اكثر التعاسات التي ابتلي بها البشر اليوم تنبع من اعراضهم عن الدين الذي يمثل السند الوحيد للاخلاق والقانون.

اننا نسمع منذ ما يقرب من نصف قرن نغمة مفادها ان الاسلام جيد لكن بشرط ان يبقى في حدود المساجد ولا ينزل الى المجتمع. هذه النغمة قد جاءت من وراء الحدود الاسلامية، ودعي اليها في جميع البلاد الاسلامية ولأوضح هذه الجملة بلغة أسهل كي يتبين الهدف الاساس لدعاتها.

ان خلاصة الفكرة هي: «ان الاسلام في الحدود التي يقف فيها بوجه الشيوعية يجب ان يبقى. اما حين يمس المصالح الغربية فيجب ان يزول» المقررات الاسلامية العبادية يجب ان تبقى — من وجهة نظر الشعوب الغربية — لكي يمكن عند اللزوم استخدامها لتحريض الناس ضد الشيوعية بعنوان انها نظام الحادي. اما تعاليم الاسلام الاجتماعية والتي تمثل فلسفة حياة الشعوب المسلمة والتي باتباع المسلمين لها والتزامهم بها يعظم شعورهم بالاستقلال والشخصية المتميزة في مقابل شعوب الغرب والتي تمنع الغرب الجشع من احتوائهم واستغلالهم الى اقصى حد ممكن وتذويب شخصيتهم هذه التعاليم يجب ان تمحي من الوجود.

والمؤسف ان مبتدعي هذه الاطروحة قد وقعوا في خطأ جسيم:

اولا: لان القرآن منذ اربعة عشر قرنا قد قضى على مفهوم (نوْمَن ببعض

ونكفر ببعض) وأعلن ان مفاهيم الاسلام وتعاليمه لا تتجزأ.  
ثانياً: اعتقد ان الوقت قد حان لثلا يخدع المسلمون بتل هذه الاساليب  
فان الحاسة الناقدة قد نمت عند الشعوب الى حد ما، وصارت تميز بين مظاهر  
التقدم والرقى الناتجة عن تحرر الطاقات العلمية والفكرية للانسان وبين مظاهر  
الفساد والانحراف حتى لو كانت آتية من الغرب.  
ان شعوب البلاد الاسلامية قد اخذت تدرك - اكثر من ذي قبل - قيمة  
التعاليم الاسلامية، وتفهم ان اساس استقلال حياتها هو الاسلام والتعاليم  
الاسلامية ولن تتخلى عنها بأي ثمن.  
ان الشعوب الاسلامية ادركت ان الدعايات التي تطلق حول القوانين  
الاسلامية ليست في حقيقتها الا خدعة استعمارية.  
ثالثاً: يجب ان يعلم مبتدعو هذه الأطروحة ان الاسلام قادر على ان يقف  
بوجه اي نظام الحادياً كان او غير الحادي بشكل فلسفة حياتية تحكم المجتمع  
ولا تنزوي في المساجد، فالاسلام الذي يحبسونه في المساجد، في الوقت الذي يخلي  
الساحة لسيطرة الافكار الغربية، كذلك سيخليها لسيطرة الافكار ضد الغربية  
والثمن الباهظ الذي يدفعه الغرب اليوم في بعض البلاد الاسلامية هو ثمرة هذا  
الخطأ.

\*\*\*

## الاسلام وتجدد الحياة (٢)

ليس الانسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يحيا حياة اجتماعية، فكثير من الحيوانات وخاصة الحشرات تحيا حياة اجتماعية ايضا، وتتبع مجموعة من المقررات والانظمة الحكيمة، وبحكمها التعاون وتوزيع الاعمال، والانتاج والتوزيع والامر والطاعة.

فللنحل وبعض انواع النمل والارضة<sup>١</sup> حضارات وانظمة وتشكيلات لن يبلغها الانسان الا بعد سنوات بل قرون وهو أشرف المخلوقات.

وحضارة هذه الحيوانات عكس حضارة الانسان فهي لم تمر بمراحل من قبيل عصر الغابة والعصر الحجري وعصر الحديد والصلب، وعصر الذرة. بل انها منذ ان وضعت اقدامها في هذه الدنيا كانت لديها نفس هذه الحضارات والتشكيلات التي لها اليوم ولم يتغير حالها ابدا. اما الانسان فطبقا للآية الكريمة:

«وخلق الانسان ضعيفا» بدأت حياته من الصفر وستستمر الى ما لا نهاية.

ومقتضيات العصر بالنسبة للحيوانات واحدة على الدوام لا تتغير. وليس لحب التجدد وعبادة الحديد معنى لديها. ولا يوجد عندها عالم جديد وآخر قديم والعلم لا يكتشف لها كل يوم اكتشافا جديداً يغير اوضاعها، والمصنوعات الخفيفة والثقيلة لا ترد اسواقها كل يوم باشكال احدث واكمل. لماذا؟ لانها تحيا بالفريزة لا بالعقل.

اما الانسان فحياته الاجتماعية دائما عرضة للتغير والتحول. ففي كل قرن تتغير حياته، وسر كون الانسان أشرف المخلوقات يكمن في أنه ابن الطبيعة البالغ

١- الأترقة بالتحريك: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في ايام الربيع فيها صغار وهي آفة الخشب خاصة، ومنها كبار مثل كبار النمل زوات اجنحة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات، غير أنها لا تعرض للرطب. (لسان العرب، ج ٧، باب المعجمة، فصل الألف).

الرشيدي. وقد بلغ مرحلة استغنى فيها عن قيمومة الطبيعة ورعايتها المباشرة له باسم الغريزة. انه يحيا بالعقل وليس بالغريزة.

ان الطبيعة قد اعترفت ببلوغ الانسان وتركته حرا ورفعت عنه وصايتها. وان ما ينجزه الحيوان بالغريزة والقانون الطبيعي الذي لا يقبل التردد، ينجزه الانسان بوساطة القوى العقلية والعلمية والقوانين الوضعية والتشريعية القابلة للتمرد. وهنا يكن سر الفساد والانحراف الذي يطرأ على مسيرة التقدم والتكامل الانسانية وسر التوقف والانحطاط، وسر السقوط والمهلك .

وكما ان طريق التقدم والرقى مفتوح امام الانسان كذلك فان طريق الفساد والانحراف والسقوط ليس موصدا بوجهه.

ان الانسان قد بلغ المرحلة التي سماها القرآن الكريم مرحلة حمل الامانة التي اشفقت من حملها السماوات والارض والجبال. اي انه قبل الحياة الحرة ومسؤولية التكليف والقانون، وهو لهذا السبب ليس مصوناً من الظلم والجهل، و من الخطأ وعبادة الذات.

والقرآن الكريم بعد أن يبين الاستعداد العجيب للانسان في تحمل أمانة التكليف يصفه مباشرة بصفتي (الظلم) و (الجهول).

ان هذين الاستعدادين لدى الانسان (استعداد التكامل واستعداد الانحراف) لا ينفكان عن بعضهما. فالانسان ليس كالحوان الذي لا يتقدم في حياته الاجتماعية ولا يتأخر ولا يذهب يمينا ولا شمالا، ففي حياة الناس تقدم وتأخر، واذا كانت في حياتهم حركة وسرعة ففيها كذلك توقف وانحطاط، واذا كان فيها تقدم وتكامل، ففيها أيضا فساد وانحراف، واذا كان هناك عدل وخير كذلك يوجد ظلم واعتداء. واذا كانت هناك مظاهر للعلم والعقل فكذلك توجد مظاهر للجهل والعبث.

والتغيرات والظواهر التي تستجد في كل عصر يمكن ان تكون من النوع الثاني.

### الجامدون والجاهلون

الافراط والتفريط من جملة خواص الانسان. فهو اذا اراد ان يقف عند حد الاعتدال. وجب عليه ان يسعى لفصل التغيرات التي هي من النوع الاول

عن التغييرات التي هي من النوع الثاني... ان يسعى لتطوير العصر بقوة العلم و الابتكار والسعي والعمل... ان يسعى للانسجام مع مظاهر الرقي والتقدم في عصره، ويسعى أيضا للحيلولة دون وقوع الانحرافات العصرية واجتناب الاصطباغ بصفتها.

لكن للأسف ليس الامر دائما كذلك، فهناك مرضان خطران يهددان الانسان في هذا المجال هما مرض الجمود ومرض الجهل. عاقبة المرض الاول التوقف والسكون والتخلف وعاقبة المرض الثاني السقوط والانحراف.

فالجامد ينفر من كل جديد ولا يأنس الا بالقديم، والجاهل يبرر كل جديد باسم مقتضيات العصر وباسم التجدد والرقي، والجامد يعد كل جديد فسادا وانحرافا، والجاهل يحسب كل شي على الحضارة والتقدم العلمي.

الجامد لا يفرق بين البذرة والقشرة، ولا بين الوسيلة والهدف، فالدين في نظره ملزم بحفظ الآثار القديمة، والقرآن في نظره انما نزل من اجل أن يوقف حركة التاريخ ويثبت أوضاع العالم في أوضاعها التي هي عليها.

وفي نظره ان قراءة جزء عم، والكتابة بالقصبة، واستعمال محفظة قلم من الورق المقوى، والغسل في حوض الحمام القديم، وتناول الطعام باليد، واستعمال مصباح نفتي والعيش في الجهل والامية... هي شعائر دينية يجب المحافظة عليها. والجاهل على عكس ذلك، انظاره مشدودة الى العالم الغربي يرقب أي موضة جديدة ظهرت واي عادة بدأت ليقوم فوراً بتقليدها واطلاق اسم الحتمية التاريخية عليها.

ان الجامد والجاهل كليهما يفترضان ان كل وضع قديم هو جزء من الشعائر الدينية، مع فارق ان الجامد يرى ان هذه الشعائر يجب حفظها والجاهل يرى ان الدين اساسا يقترن بعبادة القديم وحب السكون والثبات:

في القرون الاخيرة، كانت مسألة تعارض العلم والدين محل جدل وأخذ ورد كبيرين بين شعوب الغرب. وفكرة تعارض الدين والعلم لها جذران.

الاول: ان الكنيسة كانت قد تبنت مجموعة من المسائل العلمية والفلسفية القديمة على انها قضايا دينية يجب الاعتقاد بها، ثم اثبتت تقدم العلوم خلافها.

الثاني: كون العلم قد غير وجه الحياة وطرق العيش.

ان المتدينين الجامدين بنفس الطريقة التي اصفوا بها على بعض المسائل الفلسفية لونا دينيا، حاولوا ان ينسبوا الى الدين الشكل المادي الظاهر للحياة فتصور الجهال أن المسألة هكذا في الواقع وان الدين قد تبني صورة مادية لحياة الناس، ولما كان الشكل المادي للحياة— بفتوى العلم— يجب ان يتغير، اذاً فقد اصدر العلم فتوى الغاء الدين.

وعلى هذا فالجمود بالدرجة الاولى والجهل بالدرجة الثانية جاءا بخراقة تعارض العلم والدين.

امثال القرآن: الاسلام دين متطور ومطور. والقرآن الكريم— من اجل ان يوجه انظار المسلمين الى ان يكونوا دائما في حالة نمو وتكامل على ضوء الاسلام— يورد مثلا واصفا المجتمع المسلم فيقول: (... كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع...)<sup>١</sup>.

هذا مثل للمجتمع الذي يريده القرآن، ونموذج لما يأمله القرآن. انه يخطط للمجتمع ليكون دائما في حالة نمو وتوسع وانبساط.

يقول (ويل ديورانت): «لم يدع دين اتباعه الى القوة كما دعا الاسلام، و تاريخ صدر الاسلام يريك الى اي مدى استطاع الاسلام ان يبني المجتمع من جديد ويدفعه الى أمام».

ان الاسلام يعارض الجمود كما يعارض الجهل، والخطر الذي يهدد الاسلام آت اما من هذه الفرقة او تلك. فالجمود وتحجر الادمغة والتمسك بكل قديم اضافة الى أنها لا تمت الى الاسلام بصلة فهي تعطي المبرر للجهلة من الناس ليتصوروا ان الاسلام يعارض التجدد بمعناه الحقيقي، ومن ناحية اخرى فان التقليد وعبادة الموضة والتأثر بالغرب والاعتقاد بأن سعادة شعوب الشرق تكمن في ان يصبحوا افرنجة جسا وروحا وباطنا وظاهرا وان يقبلوا جميع عاداتهم وآدابهم وسننهم، وينسقوا قوانينهم المدنية والاجتماعية بطريقة عمياء طبق قوانين الغربيين، كل هذا يمنح الجامدين المبرر لان ينظروا بعين الريبة الى كل جديد و يعدونه خطرا على دين واستقلال وشخصية شعوبهم الاجتماعية.

١—الفتح: ٢٩.

وبين هذا وذاك فان الاسلام هو الذي يجب ان يدفع ثمن خطأ  
الفريقين.

فجمود الجامدين يمنح الجاهلين مجالاً للهجوم، وجهل الجاهلين يزيد  
الجامدين اصراراً على البقاء على عقائدهم الجامدة.

العجيب ان هؤلاء الجهال المتظاهرين بالتحضر يظنون الزمان (معصوما)  
وهل تغيرات الزمان و العصر الانتاج جهود الانسان؟ فند متى اصبح البشر  
معصومين عن الخطأ لكي تكون تغيرات العصر معصومة هي الاخرى؟

ان الانسان كما يتأثر بالميول العلمية والاخلاقية والذوقية والدينية و يقوم  
في كل عصر بابتكار ما يصلح حال البشرية، كذلك يتأثر بميول عبادة الذات  
وطلب الجاه، والعبث الجنسي وحب المال والاستغلال. والانسان كما يوفق  
احيانا الى اكتشافات جديدة و يعثر على طرق واساليب علمية جديدة، كذلك يقع  
احيانا اخرى ضحية الخطأ والاشتباه. لكن الجاهل لا يفهم هذا الكلام انما محور  
كلامه ان العالم اليوم كذا و كذا.

والاعجب من هذا انهم يقيسون مبادئ حياتهم على الخذاء والقبعة  
والملابس. فكما ان من الخذاء والقبعة جديداً وقديماً وكما انه حين يكون جديداً  
يكون ذا قيمة فيشتري و يحتذى فاذا قدم رمي بعيداً، فحقائق العالم اذاً من هذا  
القبيل. ليس للجيد والردي ء- في نظر هؤلاء الجاهلين - مفهوم غير مفهوم الجديد  
والقديم، فالقطاعي في نظرهم - وهو الذي نصب نفسه مالكاً ظلماً، وجلس لتقوم  
بالعمل مئات الأيدي والسواعد من أجله - سبى لأنه قد صار قديماً يرفضه العالم  
اليوم، مرحلته انتهت، وقدمت موزنته. اما في اليوم الذي وُجِد فيه وخرج حديثاً  
من القالب، وعرض في اسواق العالم فقد كان جيداً.

في نظر هؤلاء، استغلال المرأة سيئ لان عالم اليوم لم يعد يعجبه ذلك  
ولا يرضى به. اما في الامس حيث لم يكونوا يورثون المرأة، ولا يعترفون لها بحق التملك  
ولا يحترمون ارادتها و رأياها فقد كان ذلك جيداً لانه كان جديداً في وقته.

يعتقد هؤلاء الافراد، ان العصر بما أنه عصر الفضاء فلا يمكن ان نترك  
الطائرة و نركب الحمار، و نترك الكهرباء و نوقد المصباح النفطي، و نترك معامل  
النسيج الضخمة و ننسج باليد، و نترك مكائن الطباعة العملاقة و نكتب باليد،  
وكذلك لا يمكن ان نترك المشاركة في حلقات الرقص، ولا نترك الذهاب الى

حفلات العري (الامن المايو) أو حفلات الطعام الباذخة ولا نترك السكرو  
العريبة، ولا نترك لعب القمار، ولا نترك موضة الملابس القصيرة فكل هذه من  
ظواهر القرن. وان لم نفعل فقد رجعنا الى عصر ركوب الحمير.  
كم ادت كلمة (ظاهرة القرن) الى تحطيم افراد، وكم قضت على عوائل  
تفوق الحصر.

يقولون: عصر العلم، وقرن الذرة، وزمن الاقار الصناعية، ومرحلة  
الصواريخ عابرة القارات. حسنا، ونحن نشكر الله على اننا نعيش في هذا العصر  
والزمان وفي هذا القرن والعهد، ونأمل أن نفيد اكثر فكثر من مزايا العلوم و  
الصناعات. ولكن هل نضبت العيون في هذا العصر الاعين العلم؟ وهل جميع  
ظواهر هذا القرن هي من نتائج التقدم العلمي؟ وهل يدعي العلم ان الطبيعة  
تجعل من شخص العالم شخصا هادئا ومطيعا وانسانيا مئة في المئة.  
ان العلم لا يدعي مثل ذلك بالنسبة لشخص العالم، اذ تجد ان مجموعة من  
العلماء ينهمكون في البحث العلمي بكل صفاء وصدق نية وتأني مجموعات من  
طالبي الجاه وأصحاب الهوى وعباد المال ليستخدموا نتائج جهودهم من اجل نيل  
مقاصدهم الدنيئة. وان العلم ليئن بسبب استغلاله في غير وجوهه الانسانية  
لارضاء الطبيعة المتمردة للانسان، وما منشأ تعاسة هذا القرن ومصائبه الا من  
ذلك.

علم الفيزياء يتقدم ويكتشف قوانين الضوء فتأتي مجموعة من النفعيين  
ليستخدموا ذلك في انتاج الافلام التي تهدم الاسرة. وعلم الكيمياء يتطور  
ليكتشف خواص العناصر المختلفة فيأتي بعض الافراد ليستخدموا هذه الامكانية في  
تهيئة ما يقتل روح الانسان كالمهروئين. وينفذ العلم الى باطن الذرة و يطلق  
طاقتها العجيبة، لكن قبل ان تستخدم أدنى استخدام لصالح الانسانية يهرع طلاب  
الجاه والشهرة ليصنعوا منها القنبلة الذرية العجيبة ويلقوها فوق رؤوس الابرياء.  
حين اقاموا لـ (اينشتاين) عالم القرن العشرين العظيم احتفالا تكريميا،  
قام هو ووقف خلف المنصة وقال: انكم تحتفلون بعالم كان سببا في صناعة القنبلة  
الذرية؟!!

ان اينشتاين لم يستخدم طاقته العلمية من اجل ان تصنع القنبلة الذرية،  
انما طلاب الجاه هم الذين استخدموا علمه في هذا المجال.

ان الميراثين والقنبلة الذرية والافلام المختلفة لا يمكن تبريرها بأنها  
(ظاهرة القرن). فلوان اقوى القنابل صُبَّت على رؤوس الأبرياء بواسطة احدث  
انواع القاذفات نتيجة لاحسن جهود العلماء، فلن يقلل ذلك من وحشية هذا العمل  
مقدار ذرة.

\_\_\_\_\_

## الاسلام وتجدد الحياة

(٣)

ان كل ما يتذرع به الداعون الى اتباع النظم الغربية في الحقوق الاسرية هو ان وضع العصر قد تغير، وان مقتضيات القرن العشرين تتطلب ذلك، فاذا لم نوضح نظرتنا في هذا الباب، فسيكون بحثنا ناقصا. لكن لو اردنا ان نشبعه بحثا وتحقيا فلن تستوعبه هذه المجموعة من المقالات. اذ ان هناك مسائل كثيرة يجب ان تطرح وتبحث؛ بعضها فلسفي وبعضها فقهي وبعضها الآخر اخلاقي واجتماعي. وآمل ان يتم ذلك في الرسالة التي ازمع اعدادها تحت عنوان «الاسلام ومقتضيات العصر» والتي اعددت أوراقها الاساسية. اما الآن فاكتفي بتوضيح أمرين:

**الاول:** ان التواءم مع تغيرات العصر ليس بالبساطة التي يتصورها الادعياء الجهال ويكثرون فيه الحديث. فان في العصر تقدماً كما ان فيه انحرافاً، فيجب المضي قدماً مع تقدم العصر، ومعاربة الانحراف فيه. ومن اجل تشخيص هاتين المسألتين وفصلهما عن بضعهما، يجب ان ينظر الى الظواهر والحوادث العصرية من اين تنبع والى اين تجري؟ كما يجب ان يحدد من اي طبع في الوجود الانساني ومن أي طبقة من طبقات المجتمع تصدر؟ أمن الطباع والرغبات الخيرة والانسانية في الانسان ام من ميوله الحيوانية والذنيئة؟ أهى صادرة عن العلماء ومخونهم النزبة أم عن العيب وطلب الجاه وعبادة المال لدى الطبقات الفاسدة في المجتمع؟ وهذا الامر قد وضح في المقالتين السابقتين.

## الثاني: سر المرونة في القوانين الإسلامية

أما الأمر الثاني الذي يجب توضيحه فهو أن المفكرين الإسلاميين يعتقدون أن في الإسلام سرًا ورمزًا يمنحان هذا الدين القابلية على التكيف مع تطورات العصر. ويعتقدون أن هذا الدين يتماشى مع التقدم العصري والتطور الثقافي والتغيرات الناتجة عنها. ولنعرف الآن ماهو هذا السر؟ وبتعبير آخر ما هذه الروابط والفواصل التي تخللت بناء هذا الدين ومكنته من التكيف مع الأوضاع المتغيرة الناشئة عن تطور العلم والثقافة دون أن يصطدم بها أو أن يتخلى عن أحد قوانينه من أجل الانسجام معها؟ هذا هو ما سنوضحه في هذه المقالة.

لقد فطن بعض القراء وفطنت أنا إلى أن هذه المسألة لها جانب فني وتخصصي ويجب ألا تطرح إلا على أهل الاختصاص.

ولكن نظرًا لأن بين السائلين والمهتمين بهذه المسألة كثيرًا من المتشائمين الذين لا يصدقون أن الإسلام يمتلك مثل هذه الخاصية، لذا فسنبين منها ما يكفي لإقناع المتشائمين وما يصلح نموذجًا جيدًا أمام الآخرين.

ومن أجل أن يعلم القراء المحترمون أن مثل هذه البحوث لم تكن خافية على علماء الإسلام، فليراجعوا الكتاب النفيس المسمى «تنبيه الأمة» تأليف العلامة المرحوم آية الله النائيني «أعلى الله مقامه» والمقالة القيمة «ولايت وزعامت» أي: «الولاية والزعامة» للأستاذ والعلامة الكبير المعاصر السيد الطباطبائي مدظله<sup>١</sup> في كتاب «مرجعيت وروحانيت. أي المرجعية ورجال الدين» وكلا الكتابين باللغة الفارسية.

إن السر في انسجام الدين الإسلامي المقدس - بقوانينه الثابتة التي لا تقبل التغيير - مع التطور الحضاري والثقافي ومواءمته للصور الحياتية المتغيرة يكمن في عدة أمور سنقوم بشرح بعضها فيما يلي:

١- توفي العلامة الطباطبائي عام ١٤٠٢ هـ الموافق لعام ١٩٨١ م.

## ١- الاهتمام بالجواهر والمعنى وإهمال القالب والشكل

ان الاسلام لم يهتم بالشكل الظاهر للحياة والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالميزان العلمي للانسان، بل ان القوانين الاسلامية تتعلق بالروح والمعنى ويهدف الحياة وأفضل السبل التي يجب ان يسلكها الشر لتحقيق ذلك الهدف، اما العلم فلا يغير هدف الحياة وروحها، ولا يهدي الى طرق افضل وأقصر وأسلم للوصول الى هذا الهدف، انما يهيئ أساليب افضل وأكمل للوصول إليه، ويضيء الطرق التي تهدي إليه.

ان الاسلام بتحديد اهداف ضمن منطقة اختصاصه، وتركه الاشكال والصور والآلات لتقع ضمن منطقة اختصاص العلم والفن، لم يتعارض مع أي شكل من اشكال التطور الثقافي والحضاري، بل شجع على تطوير الحضارة بالعلم والعمل والتقوى والارادة والمهمة والاستقامة وقد تبنى دور العامل الاساس في تقدم الحضارة.

ان الاسلام قد نصب معالم في خط سير الانسان. هذه المعالم اشارت من ناحية الى الطريق والغاية، ومن ناحية اخرى اشارت بعلامة الخطر الى الانحرافات والمساقط والمفاسد. فجميع التعاليم الاسلامية هي امامنا معالم النوع الاول او من معالم النوع الثاني.

ان وسائل وآلات المعيشة في كل عصر ترتبط بكيفية المعلومات والاطلاعات العلمية للانسان، فبمقدار ما تنمو المعلومات والاطلاعات، تتكامل الآلات وتأخذ مكان النواقص بحكم حتمية التاريخ. في الاسلام، لا يمكن أن نجد أداة أو تشكيلة مادية ذات (قدسية) لكي يجد حتى فرد واحد نفسه ملزماً بالاحتفاظ بها.

ان الاسلام لم يقل ان الخياطة أو النساجة أو الزراعة أو الحمل والنقل أو الحرب أو أي عمل آخر من هذا القبيل يجب ان يتم بالآلة الفلانية حتى اذا الغيت تلك الآلة نتيجة لتقدم العلم، شب نزاع واختلاف بين العلم وقانون الاسلام. ان الاسلام لم يحدد انماطاً خاصة بالحذاء واللباس، ولا طرازاً معيناً للبناء ولا آلات خاصة للانتاج والتوزيع. لذلك فهو ينسجم مع تطور ورفي العصر.

## ٢- قانون ثابت للحاجة الثابتة وقانون متغير للحاجة المتغيرة

والخاصية الاخرى من خصائص الدين الاسلامي الفائقة الاهمية هي أن قوانين قد وضع لاحتياجات الانسان الثابتة قوانين ثابتة، ولاحتياجاته المتغيرة اوضاعا متغيرة. فان قسا من الحاجات سواء على الصعيد الفردي والشخصي أو على الصعيد العام والاجتماعي ذات وضع ثابت، فهي واحدة في جميع العصور. فالنظام الذي يجب ان يحكم غرائز الانسان، والنظام الذي يجب ان يحكم مجتمع الانسان- من حيث الاصول والضوابط العامة- واحد في جميع الازمان.

انني واع لمسألة (نسبية الاخلاق) ومسألة (نسبية العدالة) اللتين تملكان رصيда من المؤيدين، وسأبين رأيي آخذا بنظر الاعتبار نظريات هؤلاء المؤيدين. وقسم آخر من حاجات الانسان متغيرة وتستوجب قوانين متغيرة وغير ثابتة. و الاسلام بالنسبة لهذا الحاجات المتغيرة قد اخذ بنظر الاعتبار اوضاعا متغيرة وذلك بربط هذه الاوضاع المتغيرة بمبادئ ثابتة وهذه المبادئ تنشئ لكل وضع متغير قانونا فرعيا خاصا.

انني لا استطيع أن أوضح هذه المسألة أكثر من ذلك ضمن هذه المقالة، لكنني سأضرب للقراء المحترمين بعض الامثلة.

في الاسلام مبدأ اجتماعي يتمثل بقوله تعالى:

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»<sup>١</sup>

وفي السنة النبوية مجموعة من التعليمات تعرف في الفقه باسم «السبق

والرماية».

ورد في الحديث مامعناه: تعلموا اولادكم فنون الفروسية والرماية حتى تتقنوها. وكان ركوب الخيل والرماية من الفنون العسكرية في ذلك العصر. و واضح جدا ان جذر ومبدأ قانون (السبق والرماية) هو نفس مبدأ (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة). أي ان الرمح والسيف والسهم والخيل ليست هي الأصل في القوة في نظر الاسلام. انما الاصل للقوة. الاصل ان يصبح المسلمون في كل عصر

١- الانفال: ٦٠.

وزمان اصحاب قوة في النواحي العسكرية والدفاعية امام الاعداء والى اقصى احدثمكن. فلزوم المهارة في الرماية وركوب الخيل اطار لمسألة لزوم القوة. بتعبير آخر هو صورة تنفيذية لهاغير. اذا فشرط القوة امام العدو قانون ثابت ينبع من حاجة ثابتة ودائمة. اما شرط المهارة في الرماية وركوب الخيل فظهر لحاجة مؤقتة ومتغيرة تتغير من عصر الى عصر، وتتغير ظروف الحضارة تحل محلها أمور أخرى من قبيل الاسلحة النارية المتداولة هذه الايام والمهارة والتخصص في استعمالها.

مثال آخر: مبدأ اجتماعي آخر ذكر ايضا في القرآن يتعلق بتبادل الثروة. فالاسلام قبل مبدأ الملكية الفردية. وبالطبع فان ما قبله الاسلام بعنوان الملكية يختلف عما هو موجود في العالم الرأسمالي وليس الآن وقت المقارنة بينها. وشرط الملكية الفردية هو التبادل.

وقد قرر الاسلام «للتبادل» مبادئ من جملتها مبدأ: «ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل»<sup>١</sup>. اي ان المال والثروة المتداولة من يد الى يد والتي تخرج من يد المنتج وصاحب الصلاحية في مقابل فائدة مشروعة تعود على صاحب الثروة. اما انتقال الثروة من يد الى يد بدون ان تعود على صاحبها بفائدة ذات قيمة انسانية فهو امر ممنوع. فالاسلام لايعتبر الملكية مساوية للصلاحية المطلقة.

من ناحية اخرى، ورد في التعاليم الاسلامية منع بيع وشراء بعض الاشياء ومن جملتها الدم وغائط الانسان لماذا؟ لان دم الانسان أو الخروف ليس لها استعمال مفيد يجعلها ذوي قيمة وجزءاً من ثروة الانسان، ومبدأ منع بيع وشراء الدم والغائط يستند الى مبدأ (لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل). فمنع بيع الدم والغائط ليس له أصالة في نظر الاسلام، انما الاصالة لوجوب كون التبادل بين شيئين نافعين للانسان، فمنع بيع امثال دم وغائط الانسان اصطنع بصيغة منع تداول الثروة بالباطل. وبتعبير آخر انها الصورة التنفيذية لمبدأ «لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل» بل لو لم تكن هناك مبادلة اصلا فلا يمكن لاية ثروة ان تمتلك من الغير بالباطل وتصرف.

هذا المبدأ هو مبدأ ثابت لكل عصر وينبع من حاجة اجتماعية ثابتة. اما كون الدم والغائط لايعدان مالا وغير قابلين للتبادل فأمر يرتبط بالعصر والزمان

١- البقرة: ١٨٨.

والمستوى الحضاري، وبتغير الظروف وتقدم العلوم والصناعات وامكان استعمالها لفائدة الانسان يتغير هذا الحكم.

مثال آخر: كان امير المؤمنين علي(ع) في اواخر عمره -لايستعمل الاصباغ بالرغم من بياض شعره. فكانت لحيته وشارباه بيضا. فقال له رجل الم يقل رسول الله(ص): «عظوا الشعر الابيض بالصيغ» فقال(ع): «نعم»، قال الرجل: فلماذا لا تصيغ شعرك؟ قال(ع): «حين أمر رسول الله(ص) بذلك كان عدد المسلمين قليلا وكان بينهم عدد من الشيوخ يشاركون في الحروب، فاذا نظر العدو الى صفوف المسلمين ورأى أولئك الشيبة سكن روعه وقويت معنوياته لانه يقااتل شيوخا فأمر الرسول الاكرم(ص) ان يصبغوا شعرهم كي لايتنبه العدو الى سنهم. فعندها ذكر الامام علي(ع) ان رسول الله(ص) انما امر بذلك حين كان عدد المسلمين قليلا وكان لا بد من ممارسة مثل هذه الاساليب. اما اليوم فقد انتشر الاسلام في اقطار العالم ولم تعد هناك حاجة لهذا العمل، فكل شخص حر في أن يصبغ شعره او لا يصبغه.

في نظر علي(ع) ان امر الرسول الاكرم(ص) ان: «اصبغوا شعوركم» لم تكن له أصالة. فالشكل التنفيذي كان قانونا آخر غلف به القانون الاساسي الذي هو عدم تقوية معنويات العدو.

ان الاسلام يهتم بالشكل والمظهر والخارج كما يهتم بالروح والباطن والجوهر لكنه انما يطلب الشكل والمظهر للروح والباطن. يطلب الغلاف من اجل النواة، و يطلب القشر من اجل اللب، واللباس من اجل الجسد.

### مسألة تغيير الخط

طرحت في بلادنا هذه الايام مسألة «تغيير الخط». هذه المسألة في الوقت الذي يمكن بحثها من ناحية اللغة والادب الفارسي، كذلك يمكن بحثها من وجهة نظر المبادئ الاسلامية. ويمكن طرح هذه المسألة من وجهة نظر الاسلام على صورتين.

الاولى: هل للاسلام الفباء خاصة به وهل يفرق بين الالفبئات؟ وهل يعتبر الاسلام ألفبءنا -المعروفة اليوم باسم الالفبء العربي- خاصة به ويعد الالفبئات الاخرى كالالفبء اللاتينية اجنبية؟ بالطبع لا. فالاسلام الذي هو دين

عالمي يعتبر كل الالفباءات سواء.

الثانية: ما تأثير تغيير الخط والالفباء في اجتذاب وذوبان الامة الاسلامية في الاجانب؟ ما تأثيره في قطع علاقة هذه الامة بثقافتها اذا علمنا ان المعارف الاسلامية والعلمية لها قد كتبت بهذه الالفباء طوال اربعة عشر قرنا؟ ومن الذي اقترح خطة تغيير الخط؟ ومن الذي ينفذها؟ هذا ما يجب ان نبهته الآن.

### التطفل حرام وليس لبس القبعة

يواجه امثالي احيانا بأسئلة تخالطها لهجة احتقار واستهزاء، يسألونني: ما حكم الشرع في تناول الطعام وقوفا؟ وما هو حكم استعمال الشوكة والملعقة؟ وهل اعمار القبعة حرام؟ وهل استعمال لغة اجنبية حرام؟ فاجيب قائلا: ان الاسلام لم يضع لهذه الامور حدودا خاصة. انه لم يقل كل بيديك ولاقال: كل بالملعقة. انما قال حافظ على النظافة على كل حال. ومن ناحية القبعة والحذاء واللباس كذلك لم يأت الاسلام (بموضة) خاصة. وفي نظر الاسلام ان اللغة الانكليزية واليابانية والفارسية شيء واحد. ولكن... ولكن الاسلام قال شيئا آخر. انه قال: ان ذوبان الشخصية حرام. الخوف من الآخرين حرام. التقليد الاعمى حرام. الذوبان والتلاشي في الآخرين حرام. التطفل حرام. الانخداع بالاجانب كانهذاع الأرنب بالحية حرام. تصور الحمار الاجنبي الميت بغلا حرام. قبول المخرافاتهم ومآسيهم باسم (ظاهرة القرن) حرام. اعتقاد ان الايراني يجب ان يصبح افرنجيا جسما وروحا وظاهرا وباطنا حرام. والاقامة اربعة ايام في باريس وتبديل مخرج (الراء) بمخرج (العين) وقول (غحت) بدلا من (رحت) حرام.

### ٣- مسألة الاهم والمهم

وامر آخر من الامور التي مكنت الاسلام من الانسجام مع مقتضيات العصر هو جانب المعقولية في تعاليم هذا الدين. فالاسلام ابلغ اتباعه أن كل تعاليمه ناشئة عن مجموعة مصالح عليا، ومن الناحية الاخرى توضحت في الاسلام درجة اهمية المصالح، هذا الامر يسر عمل خبراء الاسلام الحقيقيين في المجالات التي تتعارض فيها المصالح المختلفة. فقد اجاز الاسلام في مثل هذه الموارد، أن يقوم

الخبراء الاسلاميون بالموازنة بين درجة اهمية المصالح ومن ثم اختيار المصلحة الالهة على اساس من التوجيهات التي وضعها الاسلام نفسه. وسمي الفقهاء هذه القاعدة باسم (الاهم والمهم). ولدي هنا امثلة كثيرة لكنني أعرض عن ذكرها.

#### ٤- القوانين التي تمتلك حق النقض (الفيتو)

و أمر آخر يمنح هذا الدين قابلية المرونة والانسجام ويجعله حيا خالدا هو ان هناك مجموعة من القواعد والقوانين شرعت ضمن هذا الدين عملها الاشراف والسيطرة على القوانين الاخرى. ويسمي الفقهاء هذه القواعد بالقواعد (الحاكمة)، مثل قاعدتي (لا حرج) و (لا ضرر) اللتين تحكمان الفقه كله. عمل هذه المجموعة من القواعد هو السيطرة وتعديل القوانين الاخرى. وفي الحقيقة ان الاسلام جعل لهذه القواعد حق النقض (الفيتو) بالنسبة لسائر القوانين والتعليمات. ولذلك ايضا قضية طويلة ليس هنا محل ذكرها.

#### صلاحيات الحاكم

بالاضافة الى ما ذكره؛ هناك مجموعة (روابط وفواصل) اخرى في بناء دين الاسلام المقدس منحت هذا الدين خاصية الخلود والحتمية. وقد اعتمد المرحوم آية الله النائيني وحضرة العلامة الطباطبائي في هذا المجال كثيرا على الصلاحيات التي اعطاها الاسلام للحكومة الاسلامية الصالحة.

#### مبدأ الاجتهاد

يقول الشاعر الباكستاني اقبال: «الاجتهاد هو القوة المحركة للاسلام» هذا الكلام سليم الا ان الشيء الاساس هو خاصية الاسلام في «استيعاب الاجتهاد». فلو وضعنا بدل الاسلام شيئا آخر. لرأينا ان امر الاجتهاد صعب جدا بل لا سبيل الى وجوده لكن الاساس هو هذه الاسرار التي خالطت بناء هذا الدين السماوي العجيب ومنحته القابلية على الانسجام مع التقدم الحضاري. و يبين ابن سينا في «الشفاء» كذلك ضرورة «الاجتهاد» على نفس هذا المبدأ فيقول: «لما كانت اوضاع الزمان متغيرة وتطرأ على الدوام مسائل جديدة، و من جهة اخرى فان مبادئ الاسلام الكلية ثابتة لا تتغير، لذا أصبح من الضروري

أن يوجد في جميع العصور والازمان افراد ذوو معرفة وخبرة كاملة بالمسائل  
الاسلامية يأخذون بنظر الاعتبار المسائل الجديدة التي تطرأ في كل عصر، و  
يتجاوبون مع احتياجات المسلمين.

وملحق القانون الاساسي لايران قد اخذ بنظر الاعتبار ايضا، ان تكون  
هناك في كل عصر هيئة من المجتهدين لا يقل عددهم عن خمسة اشخاص «لهم  
معرفة بمقتضيات العصر» للاشراف على القوانين. وغرض كتاب هذه المادة وجود  
افراد غير «جامدين» ولا «جاهلين»... غير معارضين للتقدم المعصري ولا مقلدين  
للآخرين، يشرفون على قوانين الدولة.

ويجب ان أؤكد على نقطة مهمة هي ان «الاجتهاد» بالمفهوم الحقيقي للكلمة  
يعني التخصص و المعرفة في المسائل الاسلامية وليس شيئا يمكن ان يدعيه كل  
هارب من المدرسة. لانه حضر لعدة ايام في احدى الحوزات العلمية.

وما لاشك فيه ان التخصص في المسائل الاسلامية وصلاحيه اعطاء  
الآراء فيها يتطلب مجهود عمر، وان لم يكن العمر قصيرا لنيل ذلك فهو ليس كثيرا  
عليه. هذا مع اشتراط ان يكون الشخص المشار اليه ذا قابلية واستعداد كبيرين  
ومن كتب الله له التوفيق لبلوغ هذا الامر.

وبغض النظر عن التخصص والاجتهاد، يمكن لبعض الافراد ان يكونوا  
مراجع لطرح الآراء والنظريات الاسلامية اذا كانوا قد بلغوا الحد الاعلى في التقوى  
ومعرفة الله وخشيته. فان تاريخ الاسلام يرينا افرادا مع ما كانوا يتمتعون به من  
مستويات علمية واخلاقية عالية، الا انهم حين كانوا يهمنون بالافتاء والتوجيه  
يرتجفون كالصفصاف.

واعتذر ثانية من القراء المحترمين لان البحث قد جرننا الى الكلام في مثل  
هذه الامور.

\* \* \*

\_\_\_\_\_

## الفصل الخامس

المكانة الانسانية للمرأة

في نظر القرآن

---

\_\_\_\_\_

## المكانة الانسانية للمرأة

### في نظر القرآن

كيف ينظر الاسلام الى المرأة كمخلوق؟  
هل يعتبرها من حيث الشرف والكرامة الانسانية مساوية للرجل ام يعتبرها  
جنسا أدنى؟ هذا ما سنجيب عنه فيما يلي:

#### فلسفة الاسلام الخاصة بحقوق الاسرة

للاسلام في مجال الحقوق الاسرية للمرأة والرجل فلسفة خاصة تختلف عما  
كان سائدا قبل اربعة عشر قرنا وعما هو سائد في العالم الآن. ان الاسلام لا يرى  
للمرأة والرجل من جميع المجالات نوعا واحدا من الحقوق، ولانوعا واحدا من  
الواجبات، ولانوعا واحدا من العقوبات. انما يرى قسما من الحقوق والواجبات  
والعقوبات أنسب للرجل، وقسما غيرها أنسب للمرأة. وبالنتيجة فقد جعل في  
بعض المجالات وضعا متشابها للمرأة والرجل، وفي مجالات أخرى وضعا مختلفا.  
فلماذا؟ وعلى أي اساس؟ وهل ان الاسلام - ككثير من المدارس  
الفكرية الاخرى - ينظر الى المرأة نظرة احتقار ويعتبرها جنسا أدنى؟ أم أن له في  
ذلك رأيا آخر وفلسفة اخرى؟

لقد سمعتم وقرأتم مرارا وتكرارا احاديث وكلمات وكتابات مقلدي  
النظم الغربية وفيها أن مقررات الاسلام في المهر والنفقة والطلاق وتعدد  
الزوجات وأمثالها ليست الا دليلا على احتقار واهانة المرأة والتزام جانب الرجل

فقط .

يقولون: ان جميع نظم وقوانين العالم قبل القرن العشرين تقضي بان الرجل أشرف جنسا من المرأة، وان المرأة خلقت من أجل استمتاع الرجل، وان الحقوق الاسلامية تدور كذلك حول محور مصالح ومنافع الرجل.

ويقولون: الاسلام دين الرجال، وانه لايعتبر المرأة انسانا كاملا، ولم يضع لها حقوقا كما يجب للانسان، اذلواعتبرها انسانا كاملا لما أجاز تعدد الزوجات، ولما اعطى حق الطلاق للرجل، ولما اعتبر شهادة امرأتين بمثابة شهادة رجل واحد، ولما اسند رئاسة العائلة الى الرجل ولما جعل سهم المرأة من الارث نصف سهم الرجل، ولما جعل للمرأة ثمننا اسمه المهر، ولنحها استقلالها اقتصاديا واجتماعيا، ولما جعلها مرتزقة عند الرجل وجعل نفقتها واجبة عليه. ويتوصلون بكل ذلك الى أن الاسلام ينظر الى المرأة باحتقار، ويعتبرها أداة بيد الرجل.

ويقولون: ان الاسلام مع انه دين المساواة وقد راعى مد المساواة في بعض الامور الا انه لم يراع هذا المبدأ فيما يتعلق بالمرأة والرجل.

ويقولون: ان الاسلام منح الرجل امتيازات وتفضيلا في الحقوق، ولولم يكن كذلك لما وقف من المرأة المواقف السالفة الذكر.

ولو أردنا ان نصوغ اعتراضات هؤلاء السادة صياغة منطقية ارسطوية فانها ستأتي على الشكل التالي.

لو ان الاسلام اعتبر المرأة انسانا كاملا، لمنحها حقوقا مشابهة ومساوية لحقوق الرجل. وبما انه لم يمنحها مثل هذه الحقوق، فهو اذن لايعتبرها انسانا حقيقيا.

### مساواة أم تشابه؟

ان المبدأ الذي استند اليه المعترضون هو تلازم تساوي المرأة والرجل في الانسانية مع وجوب تساويها في الحقوق.

وهنا يجب ان تأخذ بنظر الاعتبار مبدأ فلسفيا آخر هو:

ماذا يستلزم تساوي المرأة مع الرجل في الكرامة الإنسانية؟ هل يستلزم تساويها في الحقوق بشكل ليس فيه تفضيل او تمييز ام انه يستلزم ان تكون المرأة والرجل علاوة على التساوي متشابهين في الحقوق وليس بينها تقسيم في الواجبات

والاعمال؟ فنقول: ان مما لاشك فيه هوان تساوي المرأة والرجل في الكرامة الانسانية يستلزم تساويها في الحقوق الانسانية أما ان يتشابه في الحقوق فذلك شيء آخر.

فاذا اردنا ان نتخلى عن التقليد الاعمى لفلسفة الغرب، واجزنا لانفسنا أن نتأمل في ما وصلنا منهم من افكار وآراء فلسفية، فلننظر هل ان التساوي في الحقوق هونفس التشابه في الحقوق أم لا؟ ان التساوي غير التشابه... التساوي هو المساواة، والتشابه هو المماثلة. فيمكن مثلا ان يقسم أب ثري ثروته بين اولاده بالتساوي ولا يقسمها بشكل متشابه. ففي هذا المثال يمكن ان يكون للاب عدة انواع من الثروات، يكون احدها متجرا، وثانيها أرضا زراعية، وثالثها املاكا مؤجرة ولكن بما انه كان قد اختبر مقدما استعدادات كل من أولاده فوجد أن لاحدهم قابلية في العمل التجاري، ولثاني رغبة في الزراعة، ولثالث قابلية في ادارة الاملاك المؤجرة، فاذا اراد ان يقسم ثروته بين اولاده في حياته فانه - مع الانخذ بنظر الاعتبار مراعاة التساوي في القيمة عند التقسيم - سيمنح أولاده من ثروته كلا حسب ما وجد فيه من الاستعداد لإدراته والنجاح فيه.

فالكم غير الكيف، والتساوي غير التشابه والتماثل. فان من المسلم به ان الاسلام لم يمنح المرأة والرجل حقوقا من نوع واحد ولون واحد لكنه لم يفضل الرجل على المرأة في الحقوق. لقد راعى مبدأ المساواة في الاتسانية بين المرأة والرجل... الاسلام يقر المساواة بين حقوق المرأة والرجل ولكنه لا يقر تشابه هذه الحقوق.

ان كلمات مثل: كلمة التساوي والمساواة - لكونها تتضمن مفهوم عدم التمييز - قد حازت على قدسية خاصة، ولها جاذبية معينة. فهي تجتذب احترام السامع وخاصة اذا اضيفت اليها عبارة «في الحقوق» واقتربت بها.

المساواة في الحقوق! يالها من تركيبة جميلة ومقدسة. من هو الانسان النظيف الفطرة والضمير الذي لا يخضع ولا ينحني اجلالا امام هذه العبارة؟

ولكن لا ادري كيف - ونحن الذين كنا حملة لواء العلم والفلسفة والمنطق في العالم - وصل بنا الحال الى درجة ان الآخرين يحاولون ان يفرضوا علينا نظرياتهم حول «تشابه حقوق المرأة والرجل» تحت هذا العنوان المقدس «المساواة في الحقوق». ان هذا يشبه بالضبط ان شخصا يبيع «البنجرا» و ينادي عليه باسم «كشري».

فن المسلمات ان الاسلام لم يضع للمرأة والرجل في جميع المجالات حقوقا متشابهة، كما انه لم يضع عليهما في جميع المجالات تكاليف وعقوبات متشابهة، ولكن هل معنى ذلك ان مجموع الحقوق التي منحها للمرأة أقل قيمة وأهمية من الحقوق التي منحها للرجل؟ بالطبع، لا. وهذا ما سنبرهن عليه الآن. وهنا يبرز سؤال ثان، هو: لماذا شرع الاسلام حقوقا غير متشابهة للمرأة والرجل في بعض المجالات؟ لماذا لم يجعلها جميعا متشابهة؟ هل من الافضل ان تتساوى وتتشابه حقوق المرأة والرجل ام ان تتساوى ولا تتشابه؟

ولاجل بحث هذه المسألة بشكل كامل، نقسم البحث الى ثلاثة أقسام

هي:

(١) — نظرة الاسلام الى المرأة كإنسانة من ناحية الخلقة.

(٢) — الهدف من وراء الاختلاف بين خلقة المرأة وخلقة الرجل؟ وهل ان هذا الاختلاف يجب أن يؤدي الى اختلاف في الحقوق الطبيعية والفقراطية بينها ام لا؟

(٣) — ماهي فلسفة الفروق التي يضمها النظام الاسلامي بين المرأة والرجل والتي يتعامل مع بعضها على أساس عدم التشابه؟ وهل ان هذه الفلسفة والحكمة من الاختلاف سارية المفعول الى هذا اليوم. ام لا؟

### مقام المرأة

اما في القسم الاول: فالقرآن ليس مجموعة قوانين فحسب، وان محتويات القرآن ليست سلسلة مجردة من الانظمة والقوانين الجافة التي لا معنى لها. وانما في القرآن نجد القانون كما نجد التاريخ، والموعظة، وتبيان حكمة الخالق، وآلاف المسائل الأخرى. فالقرآن في الوقت الذي يشرع القوانين من جهة، نجد في مكان آخر يتحدث عن الخلق والطبيعة من جهة أخرى. فهو يبين خلق الارض والسماء والنبات والحيوان والانسان وسر الموت والحياة، والعزة والذلة، والارتقاء والانحطاط، والغنى والفقر.

القرآن ليس كتاب فلسفة لكنه يعطي رأيا قاطعا حول الكون والانسان والمجتمع بشكل واضح وهذه المسائل الثلاث تشكل المواضيع الاساس للفلسفة. ان القرآن لا يعلم اتباعه قانونا ولا يعظهم وعظا مجردا وانما يوجد لديهم — عن طريق بيان حكمة الخلق — تصورا خاصا للكون والحياة، ويعلمهم منهجا

جديدا للتفكير. وما اساس الانظمة الاسلامية في الامور الاجتماعية كالملكية والحكم وحقوق الاسرة الا نظرتة الى الوجود والموجودات.

ومن جملة المسائل التي بينها القرآن الكريم موضوع خلق المرأة والرجل. فهو في هذا المجال لم يدع الجوخاليا للمتقولين كي يصوروا موقف الاسلام بأنه موقف احتقار للمرأة. وانما بادرهم ببيان موقفه منها بشكل واضح. واذا اردنا ان نعرف نظرة القرآن حول خلق المرأة والرجل وجب علينا ان ننتبه الى مسألة طبيعة وطينة كل من المرأة والرجل والتي اشارت اليها جميع الكتب الدينية، وكذلك القرآن لم يسكت عن هذا الموضوع. فلتنظر هل يتعامل القرآن مع المرأة والرجل على انها من طينة وخلقة واحدة ام من طينتين مختلفتين؟

يذكر القرآن في آيات عديدة بصراحة تامة قول الله تعالى انه خلق النساء من جنس الرجال ومن طينة مشابهة لطينة الرجال، فيذكر عن آدم قوله جل وعلا: «يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء...»

(النساء: ١)

و يعنى بالنفس الواحدة نفس آدم عليه السلام. كما يذكر في سورة النساء وآل عمران آيات تتضمن خلق الزوجة من جنس الزوج ضمن استعراض نعم الله عزوجل على الانسان. ولا تجد في القرآن اثرا لما تجده في كتب الاديان الاخرى من أن المرأة قد خلقت من مادة أدنى من مادة الرجل أو أن المرأة ناقصة الخلقة وأن حواء قد خلقت من احد اعضاء آدم عليه السلام. وعليه، نرى انه لا توجد في الاسلام نظرة احتقار تجاه المرأة في طبيعة خلقها وأصلها.

ونظرية اخرى من النظريات التي تحتقر المرأة والتي كانت سائدة فيما مضى وتركت في أدب الشعوب آثاراً سيئة تلك التي تقول: المرأة هي عنصر الخطيئة ومن وجودها يدب الشر والفساد، وان المرأة شيطان صغير، وان للمرأة: بدا في كل جريمة وخطأ يرتكبه الرجال... فيقولون: ان الرجل في حد ذاته مبرأ من الخطأ، وان المرأة هي التي تجره الى الخطيئة، و يقولون: ان الشيطان لا يجد طريقاً مباشراً الى الرجل. وانما الى المرأة التي تخدع الرجل بدورها، فالشيطان يوسوس للمرأة وهي توسوس للرجل، و يقولون: ان آدم عليه السلام، الذي خدعه الشيطان

وتسبب في اخراجه من جنة النعيم انما كان تخذاعه عن طريق المرأة، فالشيطان خدع حواء وهي أغرت آدم عليه السلام.

هذا بينما نجد القرآن يطرح قصة جنة آدم بدون أن يشير أبدا الى ان الشيطان او الثعبان قد أغوت حواء، وان حواء اغوت آدم، بل انه لا يجعل حواء مسؤولا رئيسا ولا يخرجها من الحساب. فالقرآن يقول: «يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيب شئنا»<sup>١</sup> ثم حين يتطرق الى وسوسة الشيطان نجده يتحول الى التثنية في الحديث فيقول:

«فوسوس لها الشيطان»<sup>٢</sup>

و «فدلاهما بفرور»<sup>٣</sup>

و «وقاسمها اتي لكما من الناصحين»<sup>٤</sup>

فيدخل القرآن حرباً ضد الافكار التي كانت منتشرة في ذلك العصر، و يبرئ المرأة مما كان ينسب اليها من كونها عنصر وسوسة وخطيئة، وشيطانا صغيرا.

ومن النظريات الاخرى التي تحتقر المرأة تلك التي تتعلق باستعداداتها الروحية والمعنوية، فكانوا يقولون ان المرأة لا تدخل الجنة، وانها لا تستطيع ان تسمو في المراتب الروحية والدينية، ولا ان تدرك ما يدركه الرجل في القرب من الخالق جل وعلا. هذا بينما نجد في القرآن آيات كثيرة تصرح بأن الجزء الاخروي والقرب من الله لا يرتبط بجنس الفرد ذكرا أو أنثى. بل بالايان والعمل الصالح، سواء من قبل المرأة او من قبل الرجل. ثم يضع القرآن الى جانب كل رجل عظيم ومقدس امرأة عظيمة ومقدسة، فيذكر بكل تقدير زوجات آدم و ابراهيم، وأمهاات عيسى وموسى. واذا كان قد اشار الى زوجتي نوح ولوط على انها زوجتان غير صالحتين فقد اشار الى زوجة فرعون على أنها امرأة عظيمة ابتليت برجل فاجر، وكأن القرآن قد حفظ في قصصه التوازن بين المرأة والرجل ولم يقصر البطولة على

١- البقرة: ٣٥.

٢- الاعراف: ٢٠.

٣- الاعراف: ٢٢.

٤- الاعراف: ٢١.

الرجال فقط.

يقول القرآن في حديثه عن أم موسى :

«وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه...»<sup>١</sup>

ولا يخفى ما في العبارة من الدلالة على مكانتها إذ يوحي إليها الله العلي

القدير.

ويتحدث عن مريم والدة عيسى عليها السلام كيف كانت الملائكة تحدثها في المحراب، وكيف كان رزقها يأتيها عن طريق الغيب حيث يدل هذا على ما بلغته من رتبة ربانية عالية حتى ان نبي زمانها احتار في امرها وتجاوزته هي في درجتها عند الله وبقي زكريا مبهوتا امامها.

وفي التاريخ الاسلامي ذاته قديسات كثيرات وجليلات اذ لم يبلغ الدرجة التي بلغت خديجة الكبرى (رض) من الرجال الا القليل، كما لم يبلغ درجة الزهراء (سلام الله عليها) رجل غير الرسول (ص) والامام علي (ع) فهي أفضل من أبنائها على أنهم أئمة، وأفضل من كل الانبياء غير رسول الله (ص). والاسلام لا يرى فرقا بين الرجل والمرأة في سيرهما التكاملية نحو الله عز وجل، بل الفرق الوحيد الذي وضعه الاسلام في مسيرة الانسان نحو الحق هو اختياره الرجل لتحمل مسؤولية النبوة والرسالة وهداية الناس الى الحق، اذ نظر الى الرجل على أنه الانسب لهذا الامر. ومن النظريات الاخرى التي كانت تحقّر المرأة تلك التي تتعلق بالرياضة الجنسية وتقدس العزوية اذ ان العلاقة الجنسية-كما نعلم- تعتبر في بعض الشرائع قذرة في حد ذاتها. واتباع هذه الشرائع يعتقدون ان الانسان لا يبلغ الرتب الروحية العالية الا اذا قضى عمره أعزب.

يقول احد زعماء الاديان في العصر الحديث: (اقلعوا شجرة الزواج بمطرقة البكارة). ونفس هؤلاء الزعماء والقادة الدينيين قد يميزون الزواج لبعض أتباعهم من باب اختيار أهون الشرين. فهم يدعون أن الافراد بما انهم غالبا لا يطبقون حياة العزوبة، والصبر عن الزواج فيفقدون من ايديهم زمام أمرهم ويتردون في الفحشاء مما يؤدي الى اتصالهم بعدة نساء، فن الافضل اذن ان يميزوا لهم الزواج كي يضمنوا اتصالهم بامرأة واحدة فقط. واساس فكرة الرياضة الجنسية والعزوبة ما

١- القصص: ٧.

هو الأسوء الظن بالعنصر النسائي واعتبار الميل نحو المرأة من المفاصد الاخلاقية العظمى .

وقد حارب الاسلام هذه الخرافة بشدة واعتبر الزواج أمراً مقدساً والعزوبة انحطاطاً، وجعل حب المرأة من اخلاق الانبياء، فورد: (من اخلاق الانبياء حب النساء) وقال الرسول الاكرم(ص): (حبيب الي من دنياكم الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة).

يقول برتراندرسل: «في جميع الاديان نوع من التشاؤم وسوء الظن تجاه العلاقة الجنسية ما عدا الاسلام، انه قد وضع لهذه العلاقة ضوابط وحدوداً لصالح المجتمع ولم يستقذرها على الاطلاق»  
ومن النظريات التي تحتقر المرأة تلك التي تقول: «ان المرأة خلقت من أجل الرجل وهي لعبة بيده»

اما الاسلام فلم ترد فيه مثل هذه ابداء، بل يوضح بكل صراحة مبدأ العلية، ويقول بوضوح كامل ان الارض والسماء والسحاب والرياح والنبات والحيوان خلقت كلها من أجل الانسان لم يقل مطلقاً ان المرأة خلقت من اجل الرجل، نعم، قال ان المرأة والرجل قد خلق كل منهما للآخر:  
«هن لباس لكم وأنتم لباس لهن»<sup>١</sup>

ولو اعتبر القرآن أن المرأة خلقت من أجل الرجل، لظهر ذلك في القوانين التي شرعها، ولكن لعدم وجود مثل هذه النظرة عند الاسلام في بيان حكمة الخلق، وعدم اعتباره المرأة تابعة لوجود الرجل، لم يظهر أي اثر لذلك في مواقفه الخاصة تجاه المرأة والرجل.

ومن النظريات القديمة التي كانت تحتقر المرأة ايضاً هي: «ان المرأة من وجهة نظر الرجل شر لا بد منه» فكان كثير من الرجال على الرغم مما يجنونه من فوائد من وجود المرأة الى جانهم، الا انهم يحتقرونها وينظرون اليها على انها اساس تعاستهم وبؤسهم، بينما نجد القرآن يناقش هذا المطلب بالذات فيعتبر وجود المرأة باب خير للرجل، واساس سكنه وهدوء باله (...لتسكنوا اليها...)<sup>٢</sup>

١- البقرة: ١٨٧.

٢- الروم: ٢١.

ومن النظريات ما كانت تغفل دور المرأة وأثرها في النسل والاولاد، فقد كان عرب الجاهلية وبعض الامم الاخرى ينظرون الى المرأة على أنها وعاء لنطفة الرجل ولا يعدو دورها الاحتفاظ بهذه النطفة واتماءها. بينما يقول القرآن الكريم: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل...»<sup>١</sup> فيساوي في الخطاب والمنزلة بين المرأة والرجل، وهذا مادلل عليه في كافة خطابهات للمرأة والرجل في كافة المواضيع مما أدى في النهاية الى القضاء على هذه النظرة عند الشعوب التي آمنت بالاسلام.

يتبين مما تقدم ان الاسلام من ناحية النظرة الفلسفية وأسباب الخلق لا يتضمن نظرة احتقار الى المرأة بل انه ردة على النظريات التي تحقر المرأة وفندها. والآن جاء دور معرفة الحكمة من وراء عدم تشابه حقوق المرأة وحقوق الرجل في الاسلام.

#### لا، للتشابه... نعم للمساواة

قلنا ان للاسلام فلسفة خاصة حول علاقات وحقوق المرأة والرجل تختلف عما كان سائدا قبل اربعة عشر قرنا كما تختلف عما هو سائد في العالم هذا اليوم.

وقلنا ان مسألة تساوي المرأة والرجل في الانسانية من وجهة نظر الاسلام مسألة غير قابلة للتقاش، اما هل ان حقوقها الاسرية متساوية ام لا؟ فان المرأة والرجل في نظر الاسلام انسانان كاملا الانسانية، ويتمتعان بنفس الدرجة من حقوق الانسان، لكن الذي يطرحه الاسلام هو أن المرأة بما انها امرأة تختلف عن الرجل لكونه رجلا في جوانب كثيرة، فعالم المرأة غير عالم الرجل، وخلقها وطبيعة المرأة غير خلقها وطبيعة الرجل. وهذا يؤدي بالطبع الى ان كثيرا من الحقوق والواجبات والعقوبات سوف لا تكون واحدة لكليها.

في دنيا الغرب اليوم، سعي حثيث لمساواة المرأة بالرجل في القوانين والانظمة والحقوق والواجبات مع تجاهل الاختلافات الفيزيائية والطبيعية بينها. والاختلاف بين النظرة الاسلامية والنظم الغربية يكن في هذه النقطة. وعليه فان نقطة الاختلاف في بلادنا بين مؤيدي الحقوق الاسلامية من جهة

١- الحجرات: ١٣

واتباع النظم الغربية من الجهة الاخرى هي في مسألة تشابه حقوق المرأة والرجل وليس في مسألة المساواة بينها وما كلمة (المساواة) إلا شعار مزيف يطلقه مقلدو الغرب وعلامة تجارية يلصقونها على هذه البضاعة الغربية.

وقد كنت اتجنب في كل كتاباتي وندواتي واحاديثي استعمال هذه العلامة المزيفة، وكنت أذكر دائما بأنها ليست الأدعوة لتشابه وتمائل حقوق المرأة والرجل تطرح باسم المساواة.

انا لأدعي أن دعوات المساواة بين المرأة والرجل لا معنى لها في اي مكان في العالم، وأن جميع قوانين العالم قديما وحديثا قد وضعت على أساس حق المساواة ولم تفتقد إلا تشابه الحقوق.

كلا، انا لأدعي هذا. واوروبا ما قبل القرن العشرين احسن شاهد على ذلك. ففي اوروبا ما قبل القرن العشرين كانت المرأة فاقدة للحقوق الانسانية قانونا وعمليا. إذ لم تكن لها حقوق مساوية أو مشابهة لحقوق الرجل... بل من خلال النهضة السريعة التي حدثت اخيرا في أقل من قرنٍ باسم المرأة وفن أجل المرأة حصلت على حقوق مشابهة تقريبا لحقوق الرجل. ولكنها لم تحصل على حقوق مساوية لحقوق الرجل لو اخذنا بنظر الاعتبار وضعها الفيزيائي والفيزيولوجي، لان المرأة اذا ارادت ان تحصل على حقوق كحقوق الرجل وعلى سعادة مساوية لسعادة الرجل، فان طريقها الوحيد هو ان تترك تشابه الحقوق وتطلب ان تكون للرجل حقوقه المناسبة له وتكون لها حقوقها المناسبة لها، وهذا هو السبيل الامثل لحصول الوحدة والاخلاص الحقيقي بين الرجل والمرأة، والذي تدرك به المرأة سعادة مساوية بل أكثر من سعادة الرجل ويؤدي الى أن يحرص الرجال بكل اخلاص وبدون خداع للمرأة على اتاحة حقوق لها مساوية لحقوقهم بل اكبر من حقوقهم.

كذلك فاننا لأدعي ان للمرأة في مجتمعا -الاسلامي المظهر- اليوم حقوقا مساوية لحقوق الرجال وقد قلت مرارا وتكرارا ان من الواجب والضروري ان تهتم بوضع المرأة في مجتمعا وأن نعيد اليها الحقوق التي منحها الاسلام لها والتي سُلبت اياها طيلة العهود التاريخية السابقة دون ان نقلد تقليدا اعمى الطراز الغربي الذي جرّ على الغربيين انفسهم آلاف المآسي والتعاسات فنكون قد وضعنا اسما

ه اي في عهد حكم الطاغوت البهلوي وقبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران، (المصحح).

جميلاً لفرضية خاطئة فنضيف مصائب الغرب الى مصائبنا نحن الشرقيين. ولكننا ندعو الى عدم تشابه حقوق المرأة والرجل في المجالات التي تختلف فيها طبيعة كل منهما فننسجم بذلك مع العدل والحق الفطريين، ونؤمن بشكل افضل سعادة الاسرة، وندفع بالمجتمع الى امام.

وأرجو الانتباه جيداً الى ان ما ندعيه الآن هو أن العدالة والحقوق الفطرية والانسانية تستدعي عدم تشابه المرأة والرجل في بعض الحقوق لاغير. فبحثنا الحالي بحث فلسفي مئة بالمئة، مجاله فلسفة الحقوق، وهو يرتبط بمبدأ اسمه (مبدأ العدل) والذي هو أحد اركان الكلام والفقهاء الاسلاميين. ومبدأ العدل هو الذي اوجد قانون التطابق بين العقل والشرع في الاسلام. وهذا يعني في الفقه الاسلامي - او الفقه الشيعي على الاقل - أنه اذا ثبت أن العدل يتطلب أن يكون القانون الفلاني على صورة معينة وليس على صورة أخرى والا فإنه ظلم وخلاف العدل؛ فيجب أن نقر القانون على الصورة التي اقتضاها العدل، لا على الصورة المغايرة.

الفلاني على صورة معينة وليس على صورة أخرى والا فإنه ظلم وخلاف العدل. وعلى هذا فان الشريعة الاسلامية وطبقاً للمبدأ الذي طرحته هي ذاتها، لن تخرج مطلقاً عن محور العدالة والحقوق الفطرية والطبيعية.

وقد وضع علماء الاسلام - ببيان مبدأ العدل - أساس فلسفة الحقوق، ولكنهم - بتأثير العوقاات المختلفة على مر التاريخ - لم يستطيعوا ان يضمنوا تطبيق هذا المبدأ دائماً على الواقع الاجتماعي. وان الاهتمام بحقوق البشر ومبدأ العدالة على انها أمور ذاتية وتكوينية خارجة عن نطاق القوانين الوضعية كان لأول مرة بمبادرة من المسلمين، وهم الذين وضعوا اساس الحقوق الطبيعية والعقلية. ولكن لم يكن من المقدر لهم أن يستمروا في طريقهم الذي بدأوه، فكان ان جاء علماء و فلاسفة اوروبا بعد ما يقارب الثمانية قرون ليقلدوا علماء الاسلام الاوائل، وينسبوا علمهم لانفسهم، فطرحوا لمجتمعهم فلسفات اجتماعية وسياسية واقتصادية من جهة، ومن جهة اخرى وعوا الافراد والجماعات بقيمة الحياة وحقوق الانسان ودفعوا المجتمع الى ان يتحرك بشكل نهضات وثورات وغيروا بذلك وجه العالم.

وفي رأيي ان هناك - عدا الاسباب التاريخية - سبباً نفسياً وموضعياً كان له دخل ايضا في تحلي المشرق الاسلامي عن الاهتمام بمسألة الحقوق العقلية

التي وضع هو اساسها الاولى، وذلك التفاوت النفسي والمعنوي بين الفرد الشرقي والفرد الغربي. فالشرق يميل الى الاخلاق، اما الغرب فيميل الى الحقوق... الشرق يعشق الاخلاق والغرب يعشق الحقوق... الشرقي يحكم طبيعته الشرقية يرى انسانيته بالعطف والعمو وحب أبناء جنسه وبشهامته. لكن الغربي يرى الانسانية في ان يعرف حقوقه ويدافع عنها والا يدع احدا يسلبها منه. ان البشرية بحاجة الى الاخلاق كما هي بحاجة الى الحقوق، فالانسانية ترتبط بالحقوق كما ترتبط بالاخلاق، وليس اي من الحقوق أو الاخلاق معيارا وحيدا للانسانية.

الدين الاسلامي المقدس كان ولا يزال يملك هذه الميزة وهي «الاهتمام بالحقوق والأخلاق معا». فكما ان العفو والاخلاص والخير تعد امورا اخلاقية مقدسة في الاسلام كذلك معرفة الحقوق والدفاع عنها تعد مقدسة وانسانية، ولهذا الموضوع شرح مفصل ليس الآن وقت عرضه.

لكن الروح الشرقية الخاصة قد عملت كذلك، فأخذ الشرقي بادئ الامر من الاسلام حقوقه وأخلاقه، ثم بالتدرج ترك الحقوق واهتم فقط بالاخلاق. الغرض الآن ان المسألة التي نواجهها هي مسألة فلسفية وعقلية، مسألة استدلال وبرهان. وهي ترتبط بحقيقة العدالة وطبيعة الحقوق. فالعدالة والحق كانا موجودين من قبل أن يشرع قانون في الدنيا، ولا يمكن تغيير ماهية العدل والحق بوضع قانون بشري.

يقول منتسكيو: «قبل ان يضع الانسان القوانين، كانت هناك روابط عادلة تحكم بين الموجودات، ثم اصبح وجود هذه الروابط سببا لوضع القوانين. فاذا افترضنا الآن انه لم يكن هناك اي شيء عادلا كان او ظالما عدا القوانين البدائية، فذلك يشبه قول من يفترض ان أقطار دائرة لم يرسمها بعد، غير متساوية».

ويقول هربرت سبنسر: «تمتزج العدالة بشيء آخر غير الاحساسات الا وهو الحقوق الطبيعية للأفراد، ومن اجل ان يكون للعدالة وجود خارجي، يجب على الافراد ان يحترموا الحقوق والامتيازات الطبيعية».

وهكذا نجد ان كثيرا من حكماء اوروبا يتبنون هذه الفكرة، وان حقوق الانسان التي صيغت بعنوان بيانات ومواد انما كان منبعها فرضية الحقوق الطبيعية التي ذكرنا. وبتعبير آخر ان لائحة حقوق الانسان لم تكن تعني - في حقيقتها - غير

فرضية الحقوق الطبيعية والفطرية ليس الا.

وكما وجدنا في علماء ومفكري اوروبا من امثال منتسكيو وسبنسر وغيرهما ممن عرفتم رأيهم في العدل حيث جاء مطابقا لعقيدة المتكلمين المسلمين في الحسن والقيح العقليين ومبدأ العدل، كذلك وجد بين علماء الاسلام أفراد أنكروا مسألة الحقوق الذاتية واعتبروا العدالة أمرا وضعيا. كذلك نجد بين الاوروبيين من اعتقد هذا الاعتقاد الاخير مثل هوبز الانكليزي الذي انكر ان تكون العدالة امرا حقيقيا.

### لائحة حقوق الانسان فلسفة وليست قانونا

من المضحك ما يقال من ان مواد لائحة حقوق الانسان قد صادق عليها المجلسان، ولما كان حق المساواة بين المرأة والرجل ضمن مواد اللائحة، اذ يجب ان يتمتع كل منها بحقوق متساوية بموجب هذا القانون. ولكن متى كانت لائحة حقوق الانسان داخلة ضمن صلاحية المجلسين كي يصادقا عليها أو يرفضها؟

فمحتويات اللائحة ليس عقودا او اتفاقيات كي يمكن للسلطات التشريعية في مختلف البلدان ان تصادق عليها أو لا تصادق.

لائحة حقوق الانسان وضعت موضع البحث والنقاش: الحقوق الذاتية للانسان والتي هي بطبيعتها غير قابلة للسلب والاسقاط، وطرحت - كقانون - حقوقا للانسان ادعت أنها شرط لانسانية الانسان، وان يد القدرة هي التي منحت للانسان هذه الحقوق الاخيرة. أي ان لائحة حقوق الانسان افترضت للانسان حقوقا ادعت أن القوة الخالقة التي منحت الانسان العقل والارادة والشرف الانساني هي التي منحت هذه الحقوق.

وليس من حق الناس ان يضعوا لانفسهم ما وضعته ومنحتهم اياهم لائحة حقوق الانسان ولا أن يسلبوها انفسهم. اذن فاذا تعني مصادقة المجلسين والسلطة التشريعية عليها؟

ان لائحة حقوق الانسان فلسفة وليست قانونا. فيجب ان يقرها

الفلاسفة لا النواب اذ لا يمكن للمجلسين عن طريق التصويت والقيام والقعود أن يضعوا للشعب فلسفة ومنطقاً. ولو كان الامر كذلك لتوجب ان تعرض نظرية انيشتاين الفلسفية (النسبية) على المجلس ليصادق النواب عليها، وكذا الحال بالنسبة لفرضية وجود الحياة على الكواكب الاخرى. ان القانون الطبيعي لا يمكن المصادقة عليه أو رفضه بوساطة القوانين الوضعية ومثل ذلك كمثّل قولنا: ان المجلسين قدصادقا على ان الكشرى اذا طعمت بالفلاح كان الناتج جيدا واذا طعمت بالتوت لم تكن كذلك !

مثل هذه اللائحة حين تصدر من قبل مجموعة من المفكرين والفلاسفة فان الامم يجب ان تضعها بين أيدي فلاسفتها وخصائبي الحقوق لديها. فاذا وافق عليها فلاسفة ومفكروا تلك الامة، كان على أفرادها أن يتعاملوا معها على أنها حقائق فوق القانون. واصبح لزاماً على السلطة التشريعية ان لا تصادق على قانون يعارضها.

اما الامم الاخرى، فما لم يثبت لديها وجود مثل هذه الحقوق في الطبيعة؛ لا تكون ملزمة بمراعاتها. ومن ناحية اخرى. فان هذه المسائل ليست مسائل تجريبية ولا محتبرية لكي تحتاج الى مختبرات و أجهزة لتدقيقها مما يتيسر للاوروبيين ولا يتيسر لسواهم. انها ليست تفجيرا ذريا كي يقتصر انجازها والاحاطة به على افراد معينين دون غيرهم، بل هي الفلسفة والمنطق، وأدواتها العقل وقوة الاستدلال.

ولو افترضنا ان هناك بعض الامم لا تجد في نفسها الكفاية والخبرة في الامور الفلسفية، فتقوم بتقليد غيرها في مسائل الفلسفة، الا اننا نحن الايرانيين— قد اثبتنا جدارة فائقة منذ القدم في البحوث المنطقية والفلسفية، فلم نقلد غيرنا فيها حتى اليوم؟

العجيب ان علماء الاسلام حين كان يعرض اساس مبدأ العدالة والحقوق الذاتية للبشر، كانوا يمتحنونه أهمية كبرى على اساس ان هذا هو حكم الشرع من دون: كيف؟ ولماذا؟ قاعدة تطابق العقل والشرع. اي ان العدالة والحقوق الذاتية للانسان لا تحتاج الى تأييد شرعي. اما اليوم فقد وصل بنا الحال الى ان تحتاج هذه الامور الى مصادقة النواب لكي تحظى بتأييدنا وقبولنا.

## الفلسفة لا تثبت بالقسيمة

والمضحك اكثر هو أننا حين نريد البحث في الحقوق الانسانية للمرأة، يتوجب علينا استطلاع آراء الاولاد والبنات الشابات. فنطبع القسام ونوزعها عليهم وبعد ملئها من قبلهم ودراستها نتعرف على حقوق الانسان. وفيما اذا كانت حقوق المرأة والرجل - كإناس - من نوع واحد أو نوعين. وعلى كل حال، فإنا سنبحث مسألة الحقوق الانسانية للمرأة بشكل علمي وفلسفي، وعلى اساس الحقوق الذاتية للبشر كي نرى ما اذا كانت المبادئ التي اقتضت ان تكون للانسان عموماً حقوق طبيعية من قبل خالقه، توجب أن تكون المرأة والرجل على حال واحدة متشابهة بالنسبة لهذه الحقوق ام لا؟ لذا نرجو من علماء ومفكري وحقوقيين القطر، والذين هم المرجع الوحيد ذو الصلاحية في النظر في هذه الامور ان يحققوا بعين النقد والانتقاد فيما نذكر الآن. وساكون مسروراً اذا اعرّبوا عن رأيهم - في الرفض او القبول - معززا بالادلة.

ولبحث هذا المطلب يجب اولاً ان نبحث في اساس الحقوق الانسانية عموماً ثم في خصوص حقوق المرأة والرجل بعد ذلك. ولا ارى بأساً قبل كل ذلك أن أشير باختصار الى نهضات المطالبين بالحقوق في القرون الاخيرة والتي انتهت بنظرية حق المساواة بين الرجل والمرأة.

## نظرة الى تاريخ حقوق المرأة في اوروبا

بدأت في اوروبا منذ القرن السابع عشر همسات تتناول حقوق الانسان. ثم سعى الكتاب والمفكرون - في القرنين السابع عشر والثامن عشر - لنشر آرائهم حول حقوق الانسان الطبيعية والفطرية غير القابلة للسلب، بين النامس سعياً حثيثاً وعجيباً، وكان من بين هؤلاء المفكرين والكتاب جان جاك روسو، وفولتير ومنتسكيو. وكانت اول نتيجة عملية لسعي هؤلاء الكتاب أن حصل في انكلترا أخذ ورد شديدان بين الحكومة والشعب، وما أن حل عام 1788م حتى حصل الشعب الانكليزي على جزء من حقوقه الاجتماعية والسياسية بعد اعداد بيان بهذه

## الحقوق وموافقة الحكومة عليها.<sup>١</sup>

ومن النتائج العملية البارزة لانتشار هذه الافكار خلال حروب الاستقلال التي شنها الأمريكان ضد انكلترا أن ثلاث عشرة مستعمرة انكليزية في امريكا الشمالية تمردت نتيجة الضغوط عليها من قبل الانكليز وواصلت كفاحها حتى نالت استقلالها.

وفي سنة ١٧٧٦م عقد في فيلادلفيا مؤتمر اعلن حق كل الشعوب في الاستقلال وتقرير المصير ثم نشر بيان في هذا المجال ورد في مقدمته: «ان جميع افراد البشر متساوون في الخلقة وقد منح الخالق كل فرد حقوقا ثابتة لا تتغير مثل حق الحياة وحق الحرية، وان الغاية من تشكيل الحكومات حفظ الحقوق المذكورة وان قوة الحكومات ونفوذ كلمتها منوطان برضا الشعب.»<sup>٢</sup>

اما ما اشتهر في العالم باسم لائحة حقوق الانسان فذلك ما اعلن بعد الثورة الفرنسية الكبرى. وهذه اللائحة عبارة عن مجموعة من المبادئ العامة في بداية القانون الاساسي لفرنسا، وتعتبر جزءاً لا يتجزأ من هذا القانون. وتشتمل على مقدمة وسبع عشرة مادة.

و أول مادة في هذا القانون هي: «ان افراد البشر ولدوا أحرارا و يظلون مدى الحياة أحرارا ومتساوين في الحقوق...».

وفي القرن التاسع عشر ظهرت أفكار جديدة في مجال حقوق الانسان في المجالات الاقتصادية والسياسية، انتهت بظهور الاشتراكية ووجوب حصر العائدات بالطبقات الكادحة، وانتقال الحكم من الرأسمالية الى يد الطبقة العاملة.

وحتى أوائل القرن العشرين، كان كل ما طرح وبحث في مجال حقوق الانسان، هو مما يتعلق بحقوق الشعوب في مقابل الحكومات او حقوق الطبقات الكادحة في مقابل ارباب العمل.

وفي القرن العشرين ظهرت لأول مرة مسألة (حقوق المرأة) في مقابل حقوق الرجل، واعترفت انكلترا لأول مرة في اوائل القرن العشرين بتساوي حقوق المرأة والرجل علما بأنها تعد أقدم دولة ديمقراطية. اما الولايات المتحدة الامريكية

١- ترجمة تاريخ آلبرماله، ج ٤، ص ٣٦٦.

٢- ترجمة تاريخ آلبرماله، ج ٥، ص ٢٣٤.

التي اعترفت بالحقوق الانسانية عند اعلان استقلالها في القرن الثامن عشر فقد صادقت عام ١٩٢٠م على قانون المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق السياسية، وفي القرن العشرين أقرت فرنسا بهذا الامر.

وعلى كل حال، ففي القرن العشرين، ظهرت في جميع انحاء العالم مجاميع كثيرة تدعو الى اجراء تحول عميق في العلاقات بين الرجل والمرأة من ناحية الحقوق والواجبات. وفي نظر هؤلاء، ان جميع التحولات التي حصلت في علاقة الشعوب بالحكومات وعلاقة الكادحين بأرباب العمل، لا تضمن تأمين العدالة الاجتماعية مادامت لم تتناول العلاقات الحقيقية بين الرجل والمرأة.

ولهذا - ولأول مرة في العالم - جاء في مقدمة البيان العالمي لحقوق الانسان الذي اصدرته الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٨م مايلي: -

«لما كانت شعوب الامم المتحدة قد اعترفت بحقوق الانسان وقيمة الفرد الانساني وتساوي حقوق الرجل والمرأة...».

ولما ظهرت الثورة الصناعية في القرنين التاسع عشر والعشرين ومارافقتها من تحولات ووقع الحيف على العمال - وخصوصا النساء - اصبح موضوع حقوق المرأة اكثر الحاحا، فقد كتب «ألبرماله» في كتابه التاريخي المعروف<sup>١</sup> قائلا:

«حين كانت الحكومات لا تهتم بأحوال العمال ولا تلتقي بالا الى ما كانوا يلقونه من معاملة سيئة من قبل ارباب العمل، كان اصحاب المعامل يستخدمون النساء والاطفال القاصرين بأجور زهيدة، ولما كانت ساعات العمل كثيرة، فقد كان هؤلاء يقعون فريسة الامراض المختلفة ويموتون وهم في سن الشباب». كان هذا استعراضا سريعا لنهضة حقوق الانسان في اوروبا.

وكما نعلم فان جميع مواد لائحة حقوق الانسان التي كانت جديدة على الاوروبيين، كان الاسلام قد طرحها قبل اربعة عشر قرنا وقد كتب عن ذلك بعض علماء العرب والايرائيين مقارنين بين الاثنتين في كتب خاصة. وبالطبع، فهناك اختلافات بين بعض ماورد في اللائحة، وما طرحه الاسلام. وهي بمحد ذاتها مجال بحث ممتع. ومن ضمن هذه الاختلافات مسألة حقوق المرأة والرجل التي يطرح فيها الاسلام مبدأ المساواة ويرفض مبدأ التشابه.

١- «تاريخ البرماله» ج ٦، ص ٣٢٨.

## الكرامة والحقوق الانسانية

«لما كان الاقرار بالكرامة الذاتية لكافة اعضاء الاسرة الانسانية والحقوق المتساوية غير القابلة للانتقال، يشكل اساس الحرية والعدالة والسلام. ولما كان عدم الاعتراف بحقوق الانسان واحتقارها يؤدي الى ارتكاب الاعمال الوحشية نتيجة الضغوط النفسية للافراد، فان ظهور عالم يتمتع فيه افراد البشر بحرية الجهر بالعقيدة و يتخلص فيه الناس من الخوف والفقر، يكون هو المثل الاعلى للبشرية.

ولما كانت حماية حقوق الانسان يجب ان تتم بوساطة القانون لكي لا يضطر الناس الى الثورة ضد الظلم والطغيان كعلاج اخير. ولما كان من اللازم اساسا تشجيع تعميق العلاقات الودية بين الشعوب. ولما كانت شعوب الامم المتحدة قد أعلنت ضمن بيان ايمانها بالحقوق الاساسية للانسان وقيمة الفرد الانساني وتساوي حقوق الرجل والمرأة، وصممت بعزم راسخ على المساعدة في التقدم الاجتماعي والعمل على تحقيق حياة أفضل في محط أكثر حرية .

لكل ما تقدم وغيره:

فان الجمعية العامة تعلن عن اعتبار لائحة حقوق الانسان شعارا مشتركا لجميع الشعوب والأمم لكي يضعها جميع الافراد وشخصيات المجتمع أمام انظارهم ويجهدوا عن طريق التربية والتعليم في تعميق احترام هذه الحقوق والحرريات وتوسيعها ويتخذوا التدابير التدريجية بين شعوبهم وبقية شعوب العالم من اجل ادراكها ادراكا واقعيا وتطبيقها على واقعهم وحياتهم سواء كان ذلك بين الدول الاعضاء او بين الشعوب التي تقطن ضمن حدودها الاقليمية...».

العبارات الذهبية اعلاه كانت مقدمة اللائحة العالمية لحقوق الانسان، المقدمة التي قيل بصدها: «انها اعظم انجاز توصل اليه البشر لحد الآن على طريق تأييد حقوق الانسان.»

وقد حسب حساب كل كلمة وجملة فيها، وكما ذكرنا فيما مرّ انها نتيجة

أفكار فلاسفة الحرية والحقوقيين لعدة قرون.

### ملاحظات مهمة حول مقدمة لائحة حقوق الانسان

نظمت هذه اللائحة في ثلاثين مادة. وبغض النظر عن أن بعض الامور قد تكررت في بعض المواد، او على الاقل ان ذكر احدي المسائل في مادة من المواد مغن عن ذكر محتويات مواد أخرى أو ان بعض مواد اللائحة يمكن تجزئتها الى مواد متعددة، فهناك ملاحظات مهمة على مقدمة اللائحة نراها جديدة بالعرض:

١ - يتمتع جميع الناس بمستوى واحد من الكرامة والاحترام والحقوق الذاتية غير القابلة للانتقال.

٢ - الكرامة والاحترام والحقوق الذاتية للانسان عامة لجميع افراد النوع الانساني بدون فرق، يتساوى في ذلك الابيض والاسود، والطويل والقصير، والمرأة والرجل، فكما ان بين اعضاء الاسرة الواحدة لا يمكن ان يدعي أحدهم ان جوهره أشرف واكثر أصالة من باقي الاعضاء، فكذلك جميع أفراد البشر الذين هم أعضاء أسرة اكبر وأعضاء جنس واحد متساوون من حيث الشرف، ولا يستطيع أي فرد منهم ان يدعي أنه اشرف من اي فرد آخر.

٣ - أساس الحرية والسلام والعدالة ان يؤمن جميع الافراد في قرارة انفسهم بكرامة واحترام جميع الناس.

ان هذه اللائحة تود ان تقول: (انها اكتشفت علة جميع المشكلات التي تقع بين افراد البشر، وان سبب نشوب الحروب ووقوع الظلم والاعتداء والجرائم بين الافراد والاقوام انما هو عدم الاعتراف بالكرامة والاحترام الذاتي للانسان. فان عدم اعتراف طرف بكرامة الطرف الآخر يضطر الاخير الى الثورة والتمرد، وهذا ما يعرض الامن والسلام الى الخطر.

٤ - المثل الاعلى الذي يجب ان يسعى الجميع لبلوغه هو بناء عالم تسوده حرية الاعتقاد والامن والرفاه المادي بشكل كامل، و ينعلم فيه الخوف والفقر والارهاب. وقد نظمت مواد اللائحة الثلاثون من اجل تحقيق المثل الاعلى.

٥ - يجب ان يترنى جميع الافراد على الايمان بالكرامة الذاتية للانسان واحترام حقوقه غير القابلة للسلب والانتقال.

## مكانة الانسان واحترامه

لما كانت لائحة حقوق الانسان قد وضعت على اساس من احترام الانسانية والحرية والمساواة من اجل احياء حقوق الانسان فهي محل احترام وتقدير كل انسان شريف، ونحن شعوب الشرق قد كنا ننادي منذ قديم الزمان بضرورة احترام الانسان وقيمه ومكانته، وفي الدين الاسلامي - كما ذكرنا سابقا - يتمتع الانسان وحقوق الانسان والحرية والمساواة بأقصى درجات الاحترام. وان كتاب ومنظمي هذه اللائحة وكذلك الفلاسفة الذين كانوا هم الملهمين الحقيقيين لهذه اللائحة هم محل احترامنا وتقديرنا. ولكن بما ان هذه اللائحة هي متن فلسفي كتب بيد انسان لا بيد ملائكة، وهي من استنباط مجموعة من افراد بني الانسان، فمن حق اي فيلسوف اذا ان ينقدها، واذا وجد في بعض موادها احيانا شيئا من الضعف، ان يشير اليه.

هذه اللائحة ليست خالية من نقاط الضعف ولكننا لانريد الآن ان نشير الى نقاط الضعف بل الى نقاط القوة فيها.

تستند اللائحة الى (مكانة الانسان الذاتية)، والشرف والكرامة الذاتية للانسان، الانسان - في نظر اللائحة - يمتلك مجموعة من الحقوق والحريات نتيجة لامتلاكه لنوع خاص من الكرامة والشرف، مما تفتقده باقي الاحياء وتفقد معه هذه الحقوق والحريات. وهذه هي نقطة القوة في اللائحة.

## هبوط الانسان في الفلسفات الغربية

هنا نقف وجها لوجه - مرة ثانية - مع مسألة فلسفية قديمة هي قيمة الانسان ومكانته وشرفه بالنسبة الى باقي المخلوقات، وشخصيته اللائقة بالاحترام. ويجب الآن ان نتساءل عن ماهية الكرامة الذاتية للانسان والتي كانت منشأ حقوق له ميزته عن الحصان والبقرة والخروف والحمامة.

وهنا بالذات يبرز تناقض واضح بين اساس لائحة حقوق الانسان من جهة وبين قيمة الانسان في فلسفة الغرب من جهة اخرى.

في فلسفة الغرب كان الانسان - لسنوات - فاقد القيمة والاعتبار.

وما كان يذكر في السابق في بلاد الشرق عن الانسان ومكانته الممتازة، هو اليوم محل سخريه واحتقار اغلب الفلاسفات الغربية.

فالانسان في النظرة الغربية قد هبط الى مستوى الماكنة اما روحه وأصالته فهي محل انكار هناك . والاعتقاد بـ (العللة الغائية) والهدف من وجود الطبيعة يعد اعتقادا رجعيا.

في الغرب لا يمكن الحديث عن كون الانسان أشرف المخلوقات لانه في نظر الغربيين صار الاعتقاد بهذه الفكرة وبأن باقي المخلوقات متفلة على الانسان ومسخرة له ليس الا امرا ناشئا عن العقيدة البطليموسية القديمة التي ضمنت فيما ضمنت فكرة مركزية الارض ودوران الكواكب الاخرى حول الارض وتضمنت شرحا عن شكل الارض والكواكب الاخرى، وبزوال هذه العقيدة، زالت كذلك فكرة كون الانسان اشرف المخلوقات. ففي نظر الغرب لم تكن هذه الفكرة النتيجة اعجاب الانسان بنفسه في الماضي، اما اليوم فقد اصبح متواضعا لا يرى نفسه اكثر من قبضة من التراب - كبقية المخلوقات - بدأ من الارض ويعود اليها وينتهي فيها.

والغربي اليوم - وبكل تواضع - لا يرى الروح جانبا من جوانب الانسان ولا يعتقد ببقائها، ولا يرى في ذلك فرقا بين الانسان والنبات والحيوان. الغربي لا يرى فرقا بين الفكر والنشاط الروحي من جهة وبين حرارة الفحم الحجري من جهة اخرى من ناحية الماهية والجوهر، فكلمها في نظره مظاهر للمادة والطاقة وفي نظر الغرب ان الحياة ماهي الاميدان دام يضم جميع الاحياء ومن جعلتها الانسان حيث تجري معارك لا تنتهي يحكم الوجود خلالها مبدأ تنازع البقاء بين الاحياء ومن جعلتها الانسان. والانسان في هذا الوجود يكافح بجد من اجل استمرار بقائه. وما العدالة والعمل الصالح والتعاون وحب الخير وسائر المفاهيم الاخلاقية الانسانية الا افرزات مبدأ تنازع البقاء ابتكرها الانسان لحفظ وجوده وبقائه.

والانسان في نظر بعض الفلاسفات الغربية ماكنة لا تحركها الا المصالح الاقتصادية، اما الدين والاخلاق والفلسفة والعلم والادب والفن فليست الا واجهات بناء أساسه وسائل الانتاج وتوزيع الثروة، وكل ذلك مظاهر للجانب الاقتصادي من حياة الانسان.

لا، بل ان هذه القيمة التي حددوها للانسان اكثر من قدره في نظر القسم

الأخر من الفلاسفة، فإن المحرك والدافع الاساسي لنشاط الانسان — في نظرهم — هو العامل الجنسي، وما الاخلاق والفلسفة والعلم والدين والفن الا مظاهر لطيفة للعامل الجنسي في وجود الانسان.

ولكن لا ادري فيما لو انكرنا وجود الغاية والحكمة من الخلق، واعتقدنا ان الطبيعة تعمل بشكل اعمى، وفيما لو كان القانون الوحيد الذي يحكم حياة الاحياء هو تنازع البقاء وانتخاب الاصلح، وان كل متغيرات الطبيعة تحكمها المصادفة، وان وجود وبقاء الانسان ما هو الا نتيجة تغيرات صدفية وغير هادفة قد استمرت بضع ملايين من السنين حيث كان اجداد الانسان الحالي اليق بالحياة من باقي الانواع مما ادى الى ظهور انسان اليوم، واذا اعتقدنا ان الانسان نفسه ليس الا نموذجاً من الماكينات التي تصنعها يدها، واذا كان الاعتقاد بالروح والاصالة وبقاء الانسان نوعاً من الاعجاب بالنفس والمبالغة في تعظيم الانسان نفسه، واذا كان الدافع الرئيس للبشر في جميع النشاطات هو الامور الاقتصادية أو الجنس أو حب الظهور، واذا كان الخير والشر عموماً مفاهيم نسبية، والالهامات الفطرية والوجدانية حديث هذيان. واذا كان النوع الانساني عبداً للشهوات والاهواء ولا يذعن الا للقوة، واذا واذا...

فكيف اذاً نستطيع ان نتحدث عن كرامة وشرف الانسان وحقوقه غير القابلة للسلب وشخصيته المحترمة ونعتبرها أساس جميع نشاطاته؟!؟

### الغرب يقع في تناقض حول الانسان

في الفلسفة الغربية، أهينت الى اقصى حد ممكن، الكرامة الذاتية للانسان وتدننت مكانته الى الحضيض. فالعالم الغربي — في مسألة خلق الانسان وعوامل وجوده، والغاية من خلقه، ونسيج تركيبه ودوافعه وحوافره ووجدانه وضميره — هبط الى الدرجة التي وصفنا.

هذا من ناحية، وفي الوقت ذاته يصدر من ناحية اخرى لائحة مطولة ومفصلة حول قيمة الانسان وكرامته ومكانته وشرفه الذاتي وحقوقه المقدسة غير القابلة للانتقال، ويدعو جميع افراد البشر الى الايمان بها.

وكان على الغرب ان يعيد النظر في تقييمه للانسان اولاً، ثم يصدر آنذاك لوائحه المفصلة على أساس من الحقوق المقدسة والفطرية للانسان.

ولا اعتقد ان جميع فلاسفة الغرب ينظرون الى الانسان نفس النظرة. فان كثيرا منهم لاختلف نظرهم الى الانسان في قليل او كثير عن النظرة الشرقية. واعتقد ان اتجاه الفكر الذي ساد اكثر الاوساط الغربية قد ترك أثره على شعوب العالم.

ان لائحة حقوق الانسان يجب ان يصدرها من يرى في الانسان شيئا اكبر من تركيب مادي ميكانيكي، ولا يرى دوافع الانسان محصورة في الامور الحيوانية، ومن يعتقد أن للانسان شيئا اسمه الوجدان.

لائحة حقوق الانسان يجب ان يصدرها الشرق الذي يؤمن بمبدأ «إني جاعل في الارض خليفة»<sup>١</sup> و يرى في الانسان مظهرا من مظاهر الالهية، والذي ينادي بحقوق الناس يجب ان يعتقد بالغاية من وجود الانسان: «يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقه»<sup>٢</sup>.

ولائحة حقوق الانسان اللائقة بالبشرتك التي تستند الى فلسفة تؤمن بوجود حب الخير في طبيعة الانسان على اساس: «ونفس وما سواها فألمها فجورها وتقواها»<sup>٣</sup>.

لائحة حقوق الانسان يجب ان يصدرها من يحسن الظن بطبيعة الانسان ويراها أكمل واحسن الطبائع على اساس «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم»<sup>٤</sup>.

وأما ما يلائم نظرة الغرب الى الانسان فليس لائحة حقوق الانسان، بل يلائمها وينسجم معها ما يقوم به الغرب فعلا من تصرفات ومواقف تجاه الانسان من اغتيال الغواطف الانسانية والاستخفاف بامتيازات البشر، وتفضيل رأس المال على الانسان، وتقديم المال على الفرد الانساني، وعبادة الآلة، وتأليه الثروة، واستغلال الانسان، والتحكم اللامحدود للرأسمالية الى الحد الذي حين يوصي مليونير بثروته من بعده الى كلبه المحبوب يجد هذا الكلب من الاحترام فوق ما يجد الانسان، ويتسابق الناس هناك الى العمل في خدمة الكلب الثري بصفة خادم

١- البقرة: ٣٠.

٢- الانشقاق: ٦.

٣- الشمس: ٧-٨.

٤- التين: ٤.

وسكرتير، ومدير مكتب، و ينحنون امامه تعظيماً واحتراماً!

### الغرب ينسى نفسه وربه

ان اساس مشكلة المجتمع الانساني اليوم هو ان الانسان -بتعبير القرآن- قد نسي نفسه، ونسي ربه، والنقطة المهمة في ذلك أنه احتقر (ذاته)، فأهمل تربية باطنه، وأغفل التوجه الى ضميره، وحبّتم وجوده كلياً بعالم الحس والمادة، فلم يعد يرى من غاية لوجوده سوى تذوق الماديات ولم يعد يرى وجوده الا عبثاً في عبث. فأنكر ذاته وفقد روحه. واكثر مشاكل البشرية اليوم ناشئة من هذا النوع من التفكير الذي يكاد تقريبا -وللاسف- يسيطر على العالم ويقضي فجأة على وجوده قضاء تاماً.

هذا اللون من التفكير أدى الى ان المدنية كلها اتسعت وتعمقت، ازداد احساس المتمدن بالحقارة وصار الانسان الحقيقي أثراً تاريخياً يبحث عنه في الماضي ولا وجود له في الحاضر. وتستطيع عجلة الحضارة العظيمة اليوم أن تصنع كل عظيم من الآلات الا الانسان فانها لا تقدر على صنعه وصياغته.

يقول غاندي: «استحق الانسان الغربي لقب ملك الارض لانه يسيطر على جميع الامكانيات والمواهب الارضية. انه يستطيع ان يقوم باعمال على الارض تراها الشعوب الاخرى من اختصاص الله وحده. لكن الانسان الغربي عاجز عن شيء واحد ذلك هو التأمل في باطنه، وهذا الموضوع وحده كاف لاثبات زيف انوار التمدن الجديد.

فالتمدن الغربي يدعو الغربيين الى الخمر والانغماس في الاعمال الجنسية من أجل أن ينسى الانسان الغربي ذاته بدلا من البحث عنها.

والقدرة العلمية للانسان الغربي في مجال اكتشاف واختراع الاسلحة والمعدات الحربية ماهي الا مظهر للهروب من الذات وليست مظهراً من مظاهر السيطرة على الذات نفسها. ان مظهر الخوف من الوحدة والصمت، واستخدام المال قد أعجز الانسان الغربي عن سماع نداء ضميره وهذا هو الهدف من نشاطاته المستمرة. ان الذي دفعه الى السيطرة على انحاء العالم هو عجزه عن حكم ذاته، وهذا ما يدفعه الى نشر الفساد والاضطراب في كل ارجاء الدنيا.. وماذا ينفع الانسان فتح العالم وهو قد خسر روحه... والغربيون الذين أمرهم الانجيل ان

يكونوا مبشرين بالحق والحب والسلام في العالم، توجهوا الى كل صوب يبحثون فيه عن الذهب والعبيد والمنافع الشخصية، وبدلا من ان يسبحوا طلبا للعدل والتسامح في بلاد الله طبقا لتعاليم الانجيل، نجدهم يستخدمون—للتحرر من خطاياهم—الدين سلاحاً، وبدلا من نشر كلام الله، نجدهم يصبون القنابل على رؤوس الشعوب».

ولهذا السبب، نجد ان أول من ينقض لائحة حقوق الانسان واكثر من ينقضها هو الغرب نفسه، فالفلسفة التي يتبناها الغرب في واقعه العملي اليوم لا تسمح بغير نقض هذه اللائحة.

---

## الفصل السادس

الاسس الطبيعية لحقوق الاسرة

---

---

## الأسس الطبيعية لحقوق الأسرة

- ١ -

قلنا ان اساس وروح لائحة حقوق الانسان هو ان للانسان كرامة وشخصية ذاتية قابلة للاحترام، وانه قد منح في اصل خلقته مجموعة من الحقوق والحريات غير القابلة للسلب والانتقال بأي حال من الاحوال.

وقلنا ان هذا الاساس والروح قد حظي بتأييد الاسلام والفلسفات الشرقية وان الذي لا ينسجم مع روح وأساس هذه اللائحة ويعتبرها واهية لا تستند الى أساس، هي التفسيرات التي تطرحها المدارس الفلسفية في الغرب حول الانسان ونسب خلقه.

وبديهي ان المصدر الوحيد المخول في تعريف حقوق الانسان الواقعية هو كتاب الخلق الثمين، فبالرجوع الى صفحات وسطور هذا الكتاب العظيم، نطلع على حقوق الانسان الحقيقية وعلى حقوق المرأة والرجل تجاه بعضها البعض.

والعجيب ان بعضا من البسطاء، غير مستعدين اطلاقا للاعتراف بهذا المصدر العظيم. وفي نظر هؤلاء ان المصدر الوحيد المخول هو مجموعة من افراد البشر الذين كانت لهم يد في تنظيم لائحة حقوق الانسان وهم اليوم يحكمون العالم كله. وهم لا يلتزمون عمليا ببنود هذه اللائحة، ولا يجروا الآخرون على الاعتراض عليهم. اما نحن فباسم حقوق الانسان نفهمنا نعطي لأنفسنا حق الاعتراض ونعتبر جهاز الحلقة العظيم (العالم) - هذا الكتاب الإلهي المعبر - مرجعا صالحا لنا في البين.

انني اعتذر مجددا للقراء المحترمين من ورود بعض الامور في هذه السلسلة من المقالات حيث ظهر فيها لون فلسفي جاف قد يسبب لهم الملل، وقد حاولت قدر الامكان عند طرح هذه المسائل ان أجتنب ذلك، الا ان ارتباط قضايا حقوق المرأة ببعض المسائل الفلسفية الجافة كانت من القوة بحيث لا يمكن تجنبها.

### ترابط الحقوق الطبيعية وهادفية الطبيعة

ان الحقوق الطبيعية والقطرية —من وجهة نظرنا— ترجع الى الاستعدادات التي أوجدتها القوة الخالقة في الموجودات والتي تستثمرها في توجيه هذه الموجودات بهادفية وقصد نحو التكامل الذي تريده لها.

ففي مقابل كل استعداد طبيعي يوجد «حق طبيعي» وبحسب له سنداً طبيعياً فالإنسان —مثلاً— يملك حق التعليم والذهاب الى المدرسة، أما الخروف فلا يملك هذا الحق لماذا؟ لان الاستعدادات لتحصيل العلم وبلوغ المراتب العلمية موجودة في بني الانسان ومفقودة في الخروف.

والقدرة الخالقة قد اودعت سند هذا الحق في وجود الانسان ولم تودعه في وجود الخروف. وهذا يصدق على حق التفكير والتصويت وحرية الارادة، ويحيل الى البعض ان فرضية «الحقوق الطبيعية» وتميز الانسان —خلقة— بحقوق خاصة؛ ادعاء أجوف وأنا في يجب ان يطرد من الازهان فلا فرق بين الانسان وغير الانسان في الحقوق.

كلا، ليس الامر كذلك. فان الاستعدادات الطبيعية تختلف، وان القوة الخالقة قد وضعت كل نوع من انواع الموجودات في مدار خاص بها وحضرت سعادة كل ذلك النوع في حركته ضمن مداره الطبيعي، وهذه القوة لها هدف من وراء هذا العمل فهي لم تسلم هذه السندات بيد المخلوقات عبثاً ومصادفة.

ان أساس وجذر حقوق الاسرة التي هي مجال بحثنا الآن —مثل باقي الحقوق الطبيعية— يجب ان يخضع للتدقيق. ومن الاستعدادات الطبيعية —للرأة والرجل— التي اودعها الخالق فيها نستطيع أن نفهم ما اذا كانت المرأة والرجل يملكان حقوقاً وواجبات متشابهة أولاً. ولا تنسوا ان مجال بحثنا الآن — كما قلنا في المقالات السابقة هو «تشابه حقوق» المرأة والرجل في الاسرة وليس «تساوي حقوقها».

### الحقوق الاجتماعية

يتمتع افراد بني الانسان في مجال الحقوق الاجتماعية غير الاسرية— اي

في المجتمع الكبير خارج محيط الأسرة - بوضع متساو ومتشابه. أي ان لكل منهم حقوقا اولية طبيعية يتساوى فيها الجميع تماما. فلجميع حق الاستفادة من مواهبهم الطبيعية، وللجميع حق العمل وللجميع ان يشتركوا في سباق الحياة، وللجميع الحق في ترشيح انفسهم لاي مقام اجتماعي شاءوا ولكل منهم ان يسلك للحصول على ذلك كل طريق مشروع، وللجميع الحق في اظهار استعداداتهم العلمية والعملية.

وبالطبع فان نفس هذا التساوي في الحقوق الاولية الطبيعية سيجرهم بالتدرج الى وضع غير متساو في الحقوق المكتسبة، فهم جميعا يملكون حقا على درجة واحدة في العمل والاشتراك في سباق الحياة، ولكن حين يصل الامرال الى كيفية انجاز الاعمال والاجتهاد في السباق، فان الجميع لا يخرجون من المسابقة بدرجة واحدة من الاجادة والانجاز، ففهم من هو اكثر استعدادا، وفهم من هو اقل استعدادا، ومنهم النشيط الفعال، ومنهم الكسول المتعاس. والخلاصة أن بعضهم أعلم وأكمل وأكثر تفننا وأكثر انتاجا وأليق من البعض الآخر، وهذا مما يؤدي الى حصولهم على حقوق مكتسبة غير متساوية، وإذا أردنا أن نساوي بينهم في الحقوق المكتسبة كما تساوا في الحقوق الطبيعية الاولية فلن يوسم تصرفنا هذا بغير الظلم والعدوان.

ولننظر الآن لماذا كان جميع الافراد يتمتعون بقدر متساو ومتشابه من الحقوق الطبيعية الاولية في المجتمع؟

الجواب: قد ثبت من خلال مطالعة احوال البشر، أن الافراد لم يولد اي منهم رئيسا او مرؤوسا بالطبع، ولم يولد أحد منهم عاملا او صانعا أو استاذا أو معلما أو ضابطا أو جنديا أو وزيرا، فليست هذه المهارات الامزايا وخصوصيات تعد جزءا من الحقوق المكتسبة اي ان الافراد يكتسبونها من المجتمع بفعل لياقتهم واستعدادهم ونشاطهم ومثابرتهم، ويقوم المجتمع بمنح هذه المناصب على اساس من قانون وضعي. ولا تختلف حياة الانسان الاجتماعية عن حياة الحيوان الاجتماعية كالنحلة مثلا الا في هذا الجانب، فان التشكيلات الحياتية لهذه الحيوانات طبيعية مثة في المثة، فقد وزعت الطبيعة أعمالها ومراتبها وليس للحيوانات اي دخل في ذلك. فرئيسها رئيس بالطبع و مرؤوسها مرؤوس بالطبع، وفيها العامل وفيها المهندس وفيها المراقب وكلها قد خلقت لتكون كذلك. اما الحياة الاجتماعية

للإنسان فليست كذلك.

ولذا فإن بعض العلماء انكر -بالمرة- النظرية الفلسفية القديمة التي تقول: «الإنسان اجتماعي بالطبع» وافترض ان يكون المجتمع الإنساني تعاقديا مئة في المئة.

### حقوق الأسرة

كان هذا في المجتمع غير الاسري. فما هي الحال في المجتمع الاسري؟ هل ان افراد الاسرة الواحدة متشابهون كذلك في الحقوق الطبيعية ومختلفون في الحقوق المكتسبة؟ أم أن المجتمع الاسري «أي المجتمع المكون من الزوجة والزوج، والاب والام والاولاد، والاخوان والاخوات» يختلف عن المجتمع غير الاسري في الحقوق الطبيعية حيث يخضع أفراد الاسرة لقانون طبيعي حقوقي خاص بهم؟ وهنا توجد فرضيتان:

**الاولى:** ان تكون العلاقة بين الزوجين او بين الاب وابنه، أو بين الام ولدها؛ مثل باقي العلاقات الاجتماعية التي تحكم المؤسسات الوطنية والحكومية فلا تكون هذه العلاقة سبباً في اكتساب حقوق معينة وانما الخصائص المكتسبة هي التي تحدد الرئيس والمرؤوس... المطيع والمطاع... الذي يكسب راتباً أكثر من يكسب راتباً اقل. فلا تكون للزوجة باعتبارها زوجة وللزوج باعتباره زوجاً وللاب كأب وللأم كأم وللولد كولد ميزة خاصة، وانما الخصائص المكتسبة هي التي تحدد مركز كل منهم بالنسبة الى الآخر.

ان فرضية «تشابه حقوق الزوجة والزوج في حقوق الاسرة» والتي سميت خطأ بـ«المساواة في الحقوق» مبنية على اساس هذا الفرض. واستناداً الى هذه الفرضية، فان الزوجة والزوج بما يتمتعان به من استعدادات واحتياجات متشابهة ووثائق حقوقية متشابهة منحتهما اياها الطبيعة فيجب ايضاً ان تنظم حقوقهما الاسرية على اساس التشابه والمماثلة.

**الثانية:** ان الحقوق الطبيعية الاولية لهؤلاء متباينة، فكون الزوج زوجاً يمنحه حقوقاً ويفرض عليه واجبات معينة والزوجة كزوجة لها حقوق وعليها واجبات اخرى، وهذا لا يصدق على الابوة والامومة والبنوة. وعلى أي حال فان المجتمع الاسري يختلف عن سائر الشركات والتعاونيات الاجتماعية

الآخري. وفرضية «عدم تشابه الحقوق الاسرية بين المرأة والرجل» التي يقبلها  
الاسلام مبنية على هذا المبدأ.  
والآن اي هاتين الفرضيتين اللتين ذكرنا صحيح؟ وعن اي طريق يمكن  
لنا ان نشت صحتها؟

---

## الاسس الطبيعية لحقوق الاسرة

(٢)

من أجل ان يتوصل القراء المحترمون الى استنتاج واضح لا بد ان يضعوا نصب أعينهم النقاط التي مرت في الفصل السابق قلنا:

- ١ - الحقوق الطبيعية مصدرها، ان للطبيعة أهدافا، ولتحقيق هذه الاهداف أودعت في الموجودات استعدادات معينة ومنحتها على اساسها حقوقا معينة.
- ٢ - الانسان - بحكم كونه انسانا - يتمتع بمجموعة من الحقوق الخاصة التي أطلق عليها اسم حقوق الانسان، بينما لا تتمتع الحيوانات بمثل هذه الحقوق.
- ٣ - كيفية تحديد الحقوق الطبيعية وشكلها مرتبط بمسألة الخلق. فكل استعداد طبيعي هو سند طبيعي لحياة حق طبيعي.
- ٤ - افراد النوع الانساني في المجتمع المدني يتمتعون بحقوق طبيعية متساوية ومتشابهة، وما اختلافهم الا في الحقوق المكتسبة التي تعتمد على العمل وانجاز الواجب والمشاركة في سباق أداء الواجبات الاجتماعية.
- ٥ - ان السبب في تمتع أفراد النوع الانساني في المجتمع المدني بحقوق طبيعية متساوية ومتشابهة هو ان المطالعة في طبيعة الانسان توضح أن أفراد الانسان - بخلاف الحيوانات الاجتماعية كالنحل - ليس بينهم من ولد ليكون رئيسا أو مرؤوسا بالطبع... أمرا أو مأمورا بالطبع... عاملا أو رب عمل بالطبع.. ضابطا أو جنديا بالطبع. فتشكيلات حياة الانسان ليست طبيعية، اي ان الاعمال والمناصب والواجبات لم توزع من قبل الطبيعة.

٦ - فرضية تشابه الحقوق الاسرية للمرأة والرجل مبنية على أساس أن مجتمع الاسرة يشبه المجتمع العام. فيكون لافراد الاسرة حقوق واحدة متشابهة والمرأة والرجل يشاركان في حياة الاسرة باستعدادات واحتياجات متشابهة ويمتلكان سندات طبيعية متشابهة. وان قانون الحلقة لم يضع لها تنظيمات طبيعية ولم يوزع بينها الاعمال والمواقع.

أما فرضية عدم تشابه حقوق الاسرة فتبنى على أساس أن مجتمع الاسرة هو غير المجتمع العام، والمرأة والرجل لا يشاركان في حياة الاسرة باستعدادات واحتياجات متشابهة ولا يمتلكان سندات طبيعية متشابهة، وان قانون الحلقة قد عين لها مواقع وادوارا مختلفة ووضع كلا منها في مدار غير مدار الثاني. والآن لننظر أي الفرضيتين صحيحة، وكيف نثبت صحتها وسلامتها.

وبالمقياس الذي حددناه فيما سبق، ليس صعبا أن نحدد أي الفرضيتين هي الصائبة. فان ذلك يتعين باعادة النظر في الاستعدادات والاحتياجات الطبيعية لكل من المرأة والرجل أو ما يدعى بالسندات الطبيعية التي منحها قانون الحلقة للمرأة والرجل.

### هل الحياة الاسرية طبيعية ام وضعية؟

ذكرنا في المقالة السابقة أن هناك نظرتين حول «الحياة الاجتماعية

للانسان»

الاولى: أنها طبيعية، واصطلحوا على الانسان انه «مدني بالطبع».

الثانية- على العكس من ذلك ترى ان الحياة الاجتماعية للانسان وضعية اختارها الانسان بنفسه نتيجة ضغط عوامل خارجية «لامن داخل الانسان».

ولكن ماذا بالنسبة الى الحياة الاسرية؟ هل هنا ايضا نظرتان؟ كلا، هنا لا توجد الانظرة واحدة. فالحياة الاسرية للانسان طبيعية مئة في المئة، اي ان الانسان خلق بطبعه «منزليا». ولو ترددنا فرضا في طبيعة الحياة «المدنية» للانسان، فلن نتردد في طبيعية الحياة «المنزلية» اي الحياة الاسرية. كذلك فهناك كثير من الحيوانات بالرغم من افتقادها الحياة الاجتماعية الطبيعية بل الحياة الاجتماعية كليا، فانها تعيش حياة زوجية طبيعية كالحمام وبعض الحشرات التي تعيش

أزواجاً.

ان الحياة الاسرية تختلف عن الحياة الاجتماعية، فان في الطبيعة تدابير مهيأة من اجل دفع الانسان وبعض الحيوانات بشكل طبيعي باتجاه الحياة العائلية وتشكيل المؤسسة العائلية وانجاب الاطفال.

ولم يشهد حتى الآن، وجود عصر من عصور التاريخ لم يعيش فيه الانسان الحياة العائلية اي ان تعيش المرأة والرجل فيه منفصلين أو تكون فيه العلاقة الجنسية عامة مشتركة بين الافراد. وحتى حياة القبائل المتوحشة الموجودة في العصر الحاضر- والتي هي نموذج حياة الانسان القديم- لم تكن كذلك. وقد اتخذت حياة الانسان القديم في بعض الاحيان شكل «حكومة الام» وفي أحيان أخرى شكل «حكومة الاب».

#### فرضية المراحل الاربع

في مسألة الملكية نالت هذه الحقيقة قبول الجميع في أنها ابتدأت بشكل مشترك ثم اختلفت بالافراد بعد ذلك. ولكن في الناحية الجنسية لم يحصل مثل هذا ابداً. والسبب في الملكية المشتركة في حياة البشر الاولى هو كون المجتمع آنذاك قبلياً، وتلعب العواطف والعلاقات الاسرية دورها في حياة القبيلة مما يؤدي الى بقاء الملكية مشاعة بينهم. ولنفرض انه لم تكن في مراحل البشرية الاولى قوانين تحدد مسؤولية المرأة والرجل تجاه بعضهما البعض، انما الاحساسات الطبيعية هي التي كانت تحدد لها واجبات وحقوقاً، ولم تكن الحياة الجنسية بدون قيد أو شرط. كذلك الحال بالنسبة للحيوانات التي تعيش بشكل زوجي، صحيح ان قانوناً اجتماعياً أو وضعياً لم يكن يحكم علاقاتها ولكنها كانت تراعي حقوقاً واجبات بحكم قانون طبيعي، كما ان حياتها الجنسية لم تكن بدون قيد او شرط.

تقول السيدة منوجهریان في مقدمة كتاب «انتقاد برقوانين اساسي ومدني ايران» اي نقد لقوانين ايران الاساسية والمدنية: «من وجهة نظر علم الاجتماع، تقسم حياة المرأة والرجل في مختلف بقاع المعمورة الى اربع مراحل تاريخية:

١- المرحلة الطبيعية.

٢- مرحلة سلطة الرجل.

٣- مرحلة اعتراض المرأة.

٤- مرحلة تساوي حقوق المرأة والرجل.

في المرحلة الاولى، كانت المرأة والرجل يعيشان حياة جنسية مختلطة بدون قيد أو شرط».

ان علم الاجتماع يرفض هذا القول واقصى ما يقبله هو أن بعض القبائل المتوحشة كان يحصل فيها أحيانا أن يتزوج عدد من الاخوة من عدد من الاخوات، ولكن جميع الاخوة يكونون ازواجا لجميع الاخوات ويكون الاولاد أولادا للجميع. وأن الابناء والبنات لا يتقيدون بحدود قبل الزواج وانما بعد الزواج. وإذا حصل أحيانا في بعض القبائل المتوحشة وضع جنسي أعم من هذا، او ما يصطلح عليه بوضع «المرأة المشتركة»، فانما يعد ذلك حالة استثنائية و انحراف عن الوضع الطبيعي العام.

يقول ويل ديورانت في الجزء الاول من تاريخ الحضارة صفحة ٥٧:

«الزواج هو أحد اختراعات اجدادنا الحيوانات، ففي بعض الطيور يكتفي كل طائر بزوجه فقط، وفي الغوريلا والاورانغوتان - من القروذ- تستمر العلاقة الزوجية بين الذكر والانثى الى نهاية مرحلة تربية طفلها، وهذه العلاقة شبيهة من نواح كثيرة بعلاقة المرأة والرجل وكلما حاولت الانثى الاقتراب من ذكر آخر، تعرضت لتأنيب شديد من قبل الذكر الاول. ويتحدث دوكر سبيني عن قروذ اورانغوتان بورنيو قائلا:

«انها تعيش بشكل اسر تتكون من الذكر والانثى والاولاد» ويكتب الدكتور سافاج عن الغوريلا: «عادتهم ان يجلس الاب والام تحت احدى الاشجار وينهماكان في تناول الفاكهة وفي الثرثرة، بينما اولادهما من حولها منتشرون فوق الاشجار. ان الزواج ظهر على صفحات التاريخ قبل ظهور الانسان. وما أقبل المجتمعات التي لم تمارس مسألة الزواج ولكن الباحث كان يمكن ان يلتقي بعدة مجتمعات على النحو الاخير».

المقصود ان المشاعر العائلية عند الانسان امر طبيعي وغريزي، وليست نتيجة السعادة والتقدم، كما ان كثيرا من الحيوانات تمتلك - بصورة طبيعية وغريزية - المشاعر العائلية.

وعلى هذا، فلم تمر بالبشرية أبدا مرحلة كان الجنسان يتعايشان فيها بشكل تام دون أي قيد ولا شرط ولا التزام ولو كان التزاما طبيعيا. ومثل هذه

المرحلة المفترضة تماثل الاشتراك الجنسي الذي لا يدعيه حتى مدعو الاشتراكية المالية في المراحل الاولى.

فرضية المراحل الاربع في علاقات المرأة والرجل ليست الا تقليدا لفرضية المراحل الاربع التي يؤمن بها الاشتراكيون حول الملكية اذ يقولون: «ان البشرية فيما يخص الملكية قد مرت بأربع مراحل: مرحلة الاشتراكية البدائية، ومرحلة الاقطاع، ومرحلة الرأسمالية و مرحلة الاشتراكية والشيوعية التي تعد عودة الى الاشتراكية البدائية ولكن على مستوى اعلى».

والطريف ان السيدة منجهرين أطلقت اسم المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل على المرحلة الرابعة من علاقة المرأة بالرجل وبذلك تكون قد عرضت عن تقليد الاشتراكيين اذ لم تطلق عليها اسم العودة الى الاشتراكية البدائية. ولكنها مع ذلك تدرك التشابه بين المرحلة الرابعة والمرحلة الاولى فتقول صراحة: «وفي المرحلة الرابعة- التي تشبه كثيرا المرحلة الاولى- تعيش المرأة والرجل سوية دون ان يكون لاي منها أية سلطة على الآخر».

ولم استطع لحد الآن ان افهم غرضها من عبارة «تشبه كثيرا» فاذا كان قصدها فقط عدم تسلط الرجل وتساوي التزامات وظروف الطرفين في مقابل كل منها، فهذا ليس شها بين المرحلة الرابعة والمرحلة الاولى والتي تقول هي انها لم يكن فيها اي التزام او قيد او شرط وان حياة المرأة والرجل كانت فاقدة للصورة الاسرية. اما اذا كان ما تقصده بالتشابه هو ان القيود والالتزامات تخف تدريجيا في المرحلة الرابعة مما يؤدي الى اختفاء الاسرة في النهاية وشيوع الاشتراكية الجنسية، فيصبح واضحا ان ما تعنيه بـ«تساوي الحقوق»- الذي تتبناه هي بشكل جدي- شيء غير ما يعنيه باقى انصار تساوي الحقوق والذي يروونه في بعض الاحيان شيئا مخفيا.

والآن لنتجه الى البحث في طبيعية الحقوق الاسرية للمرأة والرجل، وفي هذا المجال لا بد ان نتناول شيئين:

الاول: هل يختلف الرجل عن المرأة من الناحية الطبيعية ام لا؟ وبعبير آخر هل ان الاختلاف بينها هو فقط من حيث طبيعة الجهاز التناسلي؟ ام ان بينها فروقا اعمق؟

الثاني: انه اذا كانت هناك اختلافات وفروق بينها فهل انها من قبيل

الفروق التي تؤثر في تحديد الحقوق والواجبات أم انها من نوع فروق اللون والعنصر التي ليست لها علاقة بطبيعة حقوق الانسان؟

### المرأة في الطبيعة

في الجانب الاول لا أظن ان هناك خلافا بين اثنين، فكل من له أدنى اطلاع في هذا الجانب، يعلم ان الفروق بين المرأة والرجل لا تقتصر على الجهاز التناسلي فقط، انما الخلاف في ان هذه الفروق هل تتدخل في تحديد الحقوق والواجبات لكل منها ام لا؟

وقد بين علماء ومحققو أوروبا هذه الفروق بصورة وافية، والتدقيق في البحوث الحياتية والنفسية والاجتماعية التي قدمها هؤلاء العلماء لا يدع أدنى مجال للشك في هذا الامر. انما الشيء الذي لم يحز الا على قليل من اهتمام هؤلاء العلماء هو كون هذه الفروق مؤثرة في تحديد الحقوق والواجبات الاسرية وانها تضع المرأة والرجل في مواقع متباينة.

ويعترف الكسيس كارل - الفيزيولوجي والجراح وعالم الحياة الفرنسي المعروف والذي حاز على شهرة عالمية - في كتابه القيم «الانسان ذلك المجهول»<sup>١</sup> بكلا القسمين. أي انه يقول ان المرأة والرجل مختلفان من حيث الحلقة، وان هذه الاختلافات الخلقية تقتضي ان يتفاوتا في الواجبات والحقوق. انه يذكر في فصل تحت عنوان «النشاطات الجنسية ونتاج المثل»<sup>٢</sup>

مايلي:

«للخصيتين والمبيضين اعمال متشعبة، اذ انها تقوم بانتاج الخلايا الذكرية أو الانثوية اولاً والتي بتزاوجها يتكون انسان جديد، وفي نفس الوقت تقوم بافراز مواد داخل الدم تعين الخصائص الجنسية للرجل والمرأة في الانسجة والاعضاء والمشاعر، كما تقوي سائر الفعاليات البدنية. فافراز الخصيتين يوجد الشجاعة والغضب والنشاط والحشونة في الرجل، وهي ذاتها الخصائص التي تميز الثور المصارع عن ثور الحراثة، وأما المبيض فيترك آثاره الانثوية الخاصة كذلك على المرأة».

١ - بالفارسية: (انسان موجود ناشناخته)

٢ - نفس المصدر السابق، ط ٣، ص ١٠٠.

«... ان الاختلاف بين المرأة والرجل لا يرتبط فقط بشكل الاجهزة التناسلية ووجود الرحم عند المرأة والحمل والولادة ونمط التعليم الخاص، وانما هو نتيجة لسبب اعمق ناشئ من أثر المواد الكيميائية التي تفرزها الغدد التناسلية في الدم».

«وبسبب عدم استيعاب مؤيدي النهضة النسائية لهذه النقطة الرئيسة والمهمة، فقد تصوروا ان كلا الجنسين يمكن ان يتلقيا تعليما وتربية واحدة ويأخذا على عاتقها مسؤوليات وصلاحيات واعمال واحدة. فالمرأة تختلف في الحقيقة عن الرجل في جوانب كثيرة. فكل خلية من خلايا جسمها — وكذلك اجهزتها وخصوصا الجهاز العصبي — تفرض عليها خصائص جنسها. والقوانين الفيسيولوجية تماما مثل القوانين الفلكية ثابتة وغير قابلة للتغيير. فليس بالامكان ان نخضعها لاهواء ورغبات الانسان، بل نحن مضطرون الى ان نقبلها كما هي، والنساء يجب ان يجتهدن في اظهار مواهبهن الطبيعية بالطريقة التي تفرضها طبيعتهم بدون تقليد أعمى للرجال. فان دورهن في التكامل الانساني أكبر بكثير من دور الرجال ولا ينبغي ان يتخلين عنه ويهملنه».

وبعد ان يشرح (كارل) كيفية تكون جين الرجل وبويضة المرأة واتحادهما ويشير الى أن وجود الانثى ضروري لاستمرار النسل على خلاف وجود الذكر، وان الحمل يكمل جسم وروح المرأة، يقول في الفصل الاخير: «يجب ان لانربي الشابات على نفس الطراز الفكري والحياتي ونفس الهدف والمثال الذي نربي عليه الشبان، ويجب على المتخصصين في مجال التربية والتعليم، ان يأخذوا الاختلافات العضوية والروحية بين الرجل والمرأة والواجبات الطبيعية لكل منها بنظر الاعتبار، فان التنبه الى هذه النقطة الاساسية مهم جدا في بناء مستقبل حضارتنا.»

وكما تلاحظون فان هذا العالم الكبير يشرح الفروق الطبيعية الكثيرة بين المرأة والرجل ويعتقد ايضا أن هذه الفروق تضع المرأة والرجل من ناحية الواجبات والحقوق في مواقع متباينة. وفي الفصل التالي سنعرض ايضا نظريات العلماء حول الفرق بين المرأة والرجل ثم نستنتج في اي الجوانب تتشابه استعداداتها واحتياجاتها وتتشابه — تبعاً لذلك — حقوقها، وفي اي الجوانب تتفاوت الاستعدادات، وتتفاوت — تبعاً لها — الحقوق والواجبات. وهذا القسم هو أكثر

---

الاقسام حساسية عند بحث وتحديد الحقوق والتكاليف الاسرية للمرأة والرجل .

\* \* \*

## الفصل السابع

الفروق  
بين المرأة والرجل

---

---

## الفروق بين المرأة والرجل

(١)

«الفروق بين المرأة والرجل! ياله من كلام منمق، يظهر أنه يوجد لحد الآن — ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين — أشخاص يحملون أفكار القرون الوسطى ويتابعون فكرة الفرق بين المرأة والرجل القديمة البالية، ويتصورون ان المرأة تختلف عن الرجل، ولا بد انهم — كأهل القرون الوسطى — يريدون ان يتوصلوا الى ان المرأة جنس ادنى، انسان ناقص، نقلة بين الحيوان والانسان، وليست لائقة لان نمحا حياة مستقلة وحررة، بل يجب ان تعيش تحت قيومية وولاية الرجل، بينما أصبحت هذه الافكار قديمة وبالية وقد ثبت اليوم ان كل هذا الكلام كان كلام غش ألفه الرجل ظلما في مرحلة التسلط على المرأة وثبت عكسه الآن، فالمرأة هي الجنس الافضل والرجل هو الجنس الادنى والاقبل».

كلا، ايها السيد، ففي القرن العشرين وفي ضوء التقدم العلمي المحير، أصبحت الفوارق بين المرأة والرجل أكثر وضوحا وتحديدا وليست غشا وافتراء، بل حقائق علمية تجريبية. لكن هذه الفوارق لاعلاقة لها بكون المرأة أو الرجل جنسا افضل والثاني جنسا أدنى واحقر وأنقص. فان لقانون الحلقة قصدا آخر في ذلك، فهو قد اوجد هذه الفوارق من أجل توثيق العلاقات العائلية بين المرأة والرجل وتقوية اساس الوحدة بينهما. اوجد هذه الفوارق من أجل ان يوزع المسؤوليات بين المرأة والرجل ويحدد لها الحقوق والواجبات الاسرية. وان الهدف من ايجاده لهذه الفوارق شبيه بالهدف الذي من اجله اوجد الفوارق بين اعضاء الجسد الواحد. فهو حين عين مواقع العين والاذن واليد والرجل والعمود الفقري، لم يكن يفضل عضوا

على آخر أو يحب عضوا و يكره آخر.

### تناسب أم نقص وكمال

من المواضيع التي تثير عجبي اصرار البعض على أن الفوارق بين المرأة والرجل من حيث الجسم والعقل نقصا في المرأة وكمالا للرجل، و يدعون ان قانون الخلقة قد خلق المرأة ناقصة لحكمة ما. واعتبار المرأة ناقصة كان مشتهرا في الغرب قبل ظهوره بين شعوب الشرق. فالغربيون كثيرا ما ظلموا المرأة بالظن فيها واعتبارها ناقصة. اذ قالوا على لسان الكنيسة والدين: «ان المرأة يجب ان تخجل من كونها امرأة». وقالوا: «المرأة هي الموجود ذو الشعر الطويل والعقل القصير». و«المرأة آخر موجود وحشي دجنه الرجل» و «المرأة نقله بين الحيوان والانسان» و امثال ذلك.

وأعجب من هذا ان يستدير بعض الغربيين مئة وثمانين درجة و يريدون ان يثبتوا الآن بألف دليل و دليل ان الرجل موجود ناقص الخلقة، وضيع وحقير، والمرأة موجود كامل وافضل من الرجل. ولوقرأتم كتاب «المرأة الجنس الافضل»<sup>١</sup> لأشلي مونتاغو والذي ينشر في مجلة (أمرأة اليوم)<sup>١</sup> لرأيتم كيف يريد هذا الرجل بمختلف التليفقات واقوال الزور ان يثبت ان المرأة اكمل من الرجل. هذا الكتاب من حيث المعلومات الطبية والنفسية، والاحصاءات الاجتماعية التي يعرضها مباشرة؛ قيم جدا، ولكن حين يقوم الكاتب نفسه بالاستنتاج من ذلك ما يريد ان يثبت به عنوان كتابه؛ تصل التليفقات غايتها القصوى. لماذا يعتبرون المرأة يوما بهذه الحقارة والدناءة لكي يضطروا في يوم آخر الى ان يرفعوا عنها كل هذه النقائص و يلصقونها بالرجل؟ وما الداعي لاعتبار الفوارق بين المرأة والرجل نقصا في أحدهما وكمالا في الآخر لنكون مضطرين الى ان نحيف مرة على الرجل و مرة على المرأة؟

يصر أشلي مونتاغو على ان يقدم المرأة على أنها افضل من الرجل من جهة، و يقوم من الجهة الاخرى بتعليل مميزات الرجل على انها نتيجة العوامل التاريخية والاجتماعية لا العوامل الطبيعية.

١ - بالفارسية كتاب «زن جنس برتر».

١ - بالفارسية (زن روز)

وعلى كل حال، فإن الفوارق بين الرجل والمرأة تناسب وليست نقصا  
وكمالات. وقد شاء قانون الخلقة ان يوجد - بهذه الفوارق - تناسبا اكبر بين المرأة  
والرجل اللذين خلقا - قطعا - لحياة مشتركة وما حياة العزوبة إلا انحراف عن  
هذا القانون وسيبضح هذا الامر عند عرض الفروق بين الجنسين.

### نظرية افلاطون

ان هذه الفكرة ليست حدثا جديدا ظهر في قرننا هذا، انما ترجع في قدمها  
الى الفين واربع مئة عام خلت. اذاتها قد طرحت على نفس هذه الصورة في كتاب  
«جمهورية افلاطون» حيث يدعي افلاطون بصراحة تامة ان للنساء والرجال  
استعدادات متشابهة ويمكن لنساء ان يلتزمن بنفس واجبات الرجال ويتمتعن  
بنفس حقوقهم.

وعلى هذا فان نواة جميع الافكار الجديدة التي طرحت في القرن العشرين  
بخصوص المرأة وحتى تلك التي اعتبرت في نظر شعوب القرن العشرين متطرفة وغير  
مقبولة، تجدها في افكار افلاطون وهذا ما جعله محل اعجاب المراقبين وهو المسمى  
أبا الفلسفة. وقد بحث افلاطون في الفصل الخامس من كتاب «الجمهورية»  
ضمن ما بحث؛ اشتراكية المرأة والطفل واصلاح العنصر وتحسين النسل، وحرمان  
بعض النساء والرجال من التناسل وحصره بالافراد الذين يتمتعون بميزات جيدة،  
وتربية الاولاد خارج محيط الاسرة، وحصر التناسل في سنوات معينة من عمر  
المرأة والرجل هي سنوات القوة والحيوية.

يعتقد افلاطون انه كما يدرب الرجال على فنون الحرب كذلك يجب ان  
تعال النساء نفس التدريب، وكما يشارك الرجال في المباريات الرياضية، كذلك  
النساء.

الا ان هناك ملاحظتين على اقوال افلاطون:

الاولى: انه يعترف ان النساء اضعف من الرجال سواء في القوى البدنية  
او القوى الروحية او العقلية، أي انه يرى الفرق بين المرأة والرجل فرقا «كميا»  
ويرفض كونها مختلفين من ناحية الاستعدادات.

فهو يعتقد أن استعدادات المرأة والرجل واحدة. الا أن النساء اضعف  
من الرجال في جميع الجوانب، وهذا ما لا يدعو الى أن تعمل النساء في مجالات غير

## مجالات عمل الرجال.

وافلاطون بسبب اعتقاده أن المرأة أضعف من الرجل، يشكر الله على أن خلقه رجلا لا امرأة. فيقول «اشكر الله لأنني خلقت يونانيا لا غير يوناني، وأنني ولدت حرا لا عبدا، وأنني خلقت رجلا لا امرأة».

**الثانية:** ان افلاطون فوض الى الطبقة الحاكمة «الفلاسفة الحكام» مسائل تحسين النسل، والتنمية المتماثلة لاستعدادات المرأة والرجل، واشتراكية المرأة والطفل وغير ذلك، باعتباره يرى الحكام الفلاسفة أجدر الناس بتولي الحكم. وبما اننا نعلم ان افلاطون في المجال السياسي يرفض الديمقراطية و يؤيد الارستقراطية فان ما قاله فيما يرتعلق بالطبقة الارستقراطية واما بالنسبة لغير هذه الطبقة فله رأي آخر.

## ارسطو في مواجهة افلاطون

وقد آلت آراء افلاطون في العالم القديم من بعده الى تلميذه ارسطو. ففي كتابه «السياسة» عرض ارسطو آراءه في الفوارق بين المرأة والرجل والتي يخالف فيها استاذة افلاطون مخالفة شديدة. فهو يؤمن ان الفرق بين المرأة والرجل ليس كميا فقط وانما كيفيا أيضا. انه يقول ان استعدادات المرأة تختلف نوعا عن استعدادات الرجل، وان الواجبات التي القاها على عاتقها قانون الخلق، والحقوق التي ارادها لها تختلف من جوانب كثيرة. وفي نظر ارسطو، ان الفضائل الاخلاقية للرجل والمرأة تتفاوت كذلك في كثير من المجالات، فما يمكن ان يعد فضيلة للرجل قد يعد خلاف ذلك عند المرأة، وما يعتبر فضيلة عند المرأة قد لا يعتبر كذلك عند الرجل.

وقد نسخت نظريات ارسطو نظريات افلاطون في العالم القديم ورجح العلماء الذين جاءوا بعدهما نظريات ارسطو على نظريات افلاطون.

## نظرة عالم اليوم

كان هذا ما يتعلق بآراء العالم القديم، فلننظر ماذا يقول عالم اليوم؟ العالم الجديد لا يكتبني بالحدس والتخمين، انما اعتماده على المشاهدة والاختبار، والإحصاءات والارقام، وما تراه العين. وفي العالم الجديد، وعلى ضوء الدراسات المعمقة في الطب والنفس والمجتمع تم اكتشاف فوارق أكثر واكبر بين المرأة والرجل

لم يكن يعرفها العالم القديم.

فشعوب العالم القديم انما كانت تقيم المرأة والرجل على اساس ان احدهما اضعف والآخر اصغر، هذا اخشن وهذا انعم، هذا اطول وهذا اقصر، صوت الرجل اخشن وصوت المرأة أنعم، شعر الرجل اكنف وشعر المرأة أقل كثافة، وكانوا على كل حال لا يتجاوزون في المقارنة اكثر من التفريق في سن اللوغ بين المرأة والرجل أو الفروق بين عقل ومشاعر كل منها، فيجعلون الرجل مظهر العقل والاتزان والمرأة مظهر العاطفة والحب.

اما اليوم فقد تم اكتشاف فوارق كثيرة علاوة على الفروق التي كانت معروفة من قبل. وسنذكر فيما يلي مجموع الفوارق التي حصلنا عليها من كتابات المحققين، ثم نقوم بشرح فلسفتها وتقسيمها الى ما هو طبيعي وما هو نتيجة للعوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية.

والحقيقة ان قسما من هذه الفروق يمكن ادراكه بقليل من التجربة والاطلاع والقسم الآخر يديهي لا يمكن انكاره بحال من الاحوال.

#### نوعان متباينان من الناحية الجسمية

الرجل - بشكل عام - اضعف جسديا، والمرأة اصغر جسديا.. الرجل اطول والمرأة أقصر.. الرجل خشن اللمس والمرأة ناعمة، صوت الرجل خشن وصوت المرأة رقيق، نمو جسم المرأة سريع، ونمو جسم الرجل بطيء، حتى ليقال ان الجنين الانثى أسرع نموا من الجنين الذكر، نمو عضلات الرجل وقواه البدنية أكثر من المرأة، مقاومة المرأة لكثير من الامراض أكثر من مقاومة الرجل. المرأة تبلغ رشدها أسرع من الرجل كما تبلغ سن اليأس على العكس من الرجل، كذلك البنت تبدأ بالكلام أسرع من الولد، معدل حجم دماغ الرجل اكبر من معدل حجم دماغ المرأة، ولكن لو أخذنا بنظر الاعتبار نسبة حجم الدماغ الى حجم الجسم، لكان دماغ المرأة اكبر من دماغ الرجل... استيعاب رئة الرجل للهواء أكثر من استيعاب رئة المرأة، ضربات قلب المرأة أسرع من ضربات قلب الرجل.

### من الناحية النفسية

يميل الرجل الى الرياضة والصيد والاعمال الحركية اكثر من المرأة، الرجل يميل الى المبارزة والقتال، والمرأة تميل الى السلم والمؤانسة، الرجل اكثر تعديا واثارة للصخب والمرأة اكثر هدوءاً وسكوناً. المرأة تتجنب استعمال الخشونة مع نفسها أو مع الآخرين ولذا نرى ان نسبة انتحار النساء اقل منها لدى الرجال. والرجال في كيفية الانتحار كذلك أقسى من المرأة. فهم يستعملون المسدس، المشنقة، يلقون بأنفسهم من مرتفع، اما النساء فيستعملن الاقراص المنومة والترياك<sup>١</sup> وأمثال ذلك.

مشاعر المرأة اسرع تبيجا من مشاعر الرجل، اي ان المرأة في مجال الحب او الخوف سريعة التأثر والانفعال، والرجل ابطأ تأثراً بهذه المشاعر، والمرأة بطبيعتها تتم بزينتها وجمالها وبالموضات المختلفة بخلاف الرجل، مشاعر المرأة اقل ثباتاً من مشاعر الرجل، المرأة اكثر احتياطاً من الرجل وتدينا وثرثرة، وخوفاً ومجاملة. مشاعر المرأة امومية وتظهر فيها منذ الطفولة، وحبها للأسرة وادراكها الطبيعي لاهمية المؤسسة العائلية أكثر من الرجل. المرأة في علوم الاستدلال والمسائل العقلية الجافة لا تنصل الى مستوى الرجل لكنها لا تنقل عنه مهارة في الآداب والرسم وسائر المجالات التي ترتبط بالذوق والمشاعر، الرجل اقدر من المرأة على كتمان الاسرار—وحتى الاسرار التي تعد مشكلة بالنسبة له—ولذا نجد الرجل اكثر من المرأة ابتلاءً بالامراض الناتجة عن هذا الكتمان، المرأة أرق قلباً من الرجل واسرع منه الى البكاء وحياناً الى الحيلة.

### من ناحية المشاعر تجاه بعضها

الرجل عبد شهوته والمرأة أسيرة حبها للرجل، الرجل يحب المرأة التي تعجبه ويختارها، والمرأة تحب الرجل الذي يوليها اهتمامه ويظهر لها حبه مسبقاً،

١ — هو سائل يستخرج من حيز نبات الخشخاش فيجفف وهو مخدر يستعمله كثير من المدمنين على المخدرات، كما يدخل في تركيب كثير من الادوية، المصحح.

الرجل يريد المرأة التي تتبعه و يسيطر عليها والمرأة تريد الاستيلاء على قلب الرجل والسيطرة عليه عن طريق قلبه، الرجل يريد ان يسيطر على المرأة عنوة والمرأة تريد ان تسيطر على الرجل بالنفوذ الى قلبه، الرجل يريد ان يأخذ المرأة والمرأة تريد ان تجذب الرجل، المرأة يعجبها في الرجل الشجاعة والاقدام والرجل يعجبه فيها الجمال والدلال، المرأة تعتبر حماية الرجل لها أعلى شيء لديها، وهي اقدر من الرجل على امتلاك شهوتها. وشهوة الرجل بادئة مهاجمة وشهوة المرأة تبرز بالاثارة.

---

## الفروق بين المرأة والرجل

(٢)

نشرت مجلة «امرأة اليوم»<sup>١</sup> نظرية بروفيسور وعالم نفس امريكي مشهور يدعى «بروفيسور ريك» قضى سنوات طويلة في البحث في عادات المرأة والرجل وحصل على نتائج جيدة، وقد نشر في كتاب ضخيم — الفروق التي لا تعد بين المرأة والرجل.

يقول البروفيسور: «عالم الرجل يختلف عن عالم المرأة فاذا كانت المرأة لا تستطيع ان تفكر أو تتصرف كالرجل، فان هذا يدل على أن لكل منها عالما مختلفا عن الآخر».

ويقول: «جاء في التوراة «خلق الرجل والمرأة من لحم واحد» نعم، بالرغم من انها خلقتا من لحم واحد، فان لهما جسدين مختلفين ومتفاوتين كلياً من حيث التركيب. وبالإضافة الى ذلك، فان أحاسيس ومشاعر هذين الموجودين لن تتشابه في أي وقت من الاوقات، ولن يحدث مطلقاً أن يكون لهما رد فعل واحد تجاه الاحداث، والمرأة والرجل — بحكم الاختلاف الطبيعي في الجنس — يتصرفان بنحوين مختلفين، ويتحركان كنجمتين في مدارين متباينين، انها يفهمان بعضهما ويكملان بعضهما ولكنها لن يكونا شيئاً واحداً أبداً، لذا فهما يتمكنان من العيش سوياً، ويعشق احدهما الآخر ولا يمل أو ينزعج من صفاته واخلاقه».

وقد أجرى البروفيسور ريك مقارنة بين مشاعر كل من المرأة والرجل وسجل الفروق بين الاثنين. ومن هذه الفروق قوله:

«يميل الرجل البقاء مدة طويلة بجوار المرأة التي يجها. اما المرأة فليس

١ — «زن روز» باللغة الفارسية العدد/٩٠.

شيء ألد عندها من ان تكون دائما على مقربة ممن تحبه .  
• يجب الرجل ان يكون في كل ايامه على حال واحدة. اما المرأة فتسعى  
لان تصنع من نفسها انسانا جديدا كل يوم وان تنهض من فراشها كل يوم بوجه  
جديد.

• أحلى جملة يمكن ان يقولها رجل لامرأة هي عبارة «عزيزتي، انني  
احبك».

• واجمل عبارة تقولها المرأة للرجل الذي تحبه هي عبارة «أنا فخورة  
بك».

• الرجل الذي كانت في حياته اكثر من امرأة يصبح محل اعجاب النساء  
الاخريات بينما لا يرتاح الرجال للمرأة التي كان لها في حياتها اكثر من رجل  
واحد.

• حين يهرم الرجال، يشعرون بالتعاسة لانهم قد فقدوا مصدر قوتهم وهو  
القدرة على العمل، اما النساء المسنات فيشعرون بالرضا لان احسن شيء في  
نظرهن: بيت وعدد من الاحفاد.

• النجاح في نظر الرجال هو الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة  
وشخصية موضع احترام كل اصناف المجتمع.

• والنجاح بالنسبة للمرأة امتلاك قلب رجل والاحتفاظ به طول العمر.  
• ويسعى الرجل لان يكسب المرأة التي يحب الى دينه وجنسه.  
• وكما يسهل على المرأة تغيير لقبها بعد الزواج طبقا للقب زوجها كذلك  
يسهل عليها تغيير دينها وجنسيتها من اجل الرجل الذي تحب».

### آية الخلق

بغض النظر عن كون الفروق بين المرأة والرجل تستوجب التفاوت في  
الحقوق والواجبات الاسرية ام لا، فان هذه المسألة هي اساسا من عجائب آيات  
الخلق، بل هي درس في التوحيد ومعرفة الله، ودليل على التنظيم الحكيم والدقيق  
للعالم، ونموذج واضح على غياب الصدفة في سير الخلق، وان الطبيعة لا تجري  
احداثها بصورة عشوائية، ودليل نير على ان موجودات الكون لا يمكن تفسير وجودها  
بدون اللجوء الى قانون «العلية».

ولقد انشأت القدرة - من اجل تحقيق هدفها وحفظ النوع - جهازا عظيما  
لادامة النسل ينتج دائما في معمله جنس الذكر و جنس الانثى، وحين يستدعي  
بقاء النسل تعاون جنسين - خصوصا في الانسان - فانه من اجل ان يتعاون  
الجنسان على انجاز هذا العمل؛ طرح فكرة وحدتهما واتحادهما، واستطاع ان  
يستبدل الانانية وحب الذات - اللازمين لكل حي - بالخدمة والتعاون والتسامح  
والايتثار، ودفعها الى ان يسعيا الى الحياة المشتركة. ومن اجل ان يحقق الخطة  
كاملة في الواقع ويوثق عرى العلاقة بينها جسما وروحا؛ باين بين جسميهما  
روحيهما وهذا التباين هو الذي يجذب كلا منهما نحو الآخر ويجعل منها عاشقين  
لبعضهما. ولو كان للمرأة جسم وروح واخلاق ورغبات الرجال لتعذر عليها ان  
تجتذب الرجل نحوها وتحوله الى عاشق محب لها، ولو كان للرجل نفس مواصفات  
المرأة الجسمية والروحية، لما امكن المرأة ان تعده فارس احلامها وتظهر من فنونها  
ما تصطاد به قلبه. خلق الرجل ليسخر العالم و خلقت المرأة لتسخر الرجل. ان  
قانون الخلق جعل المرأة والرجل متعلقين ببعضهما واطالين لكل منهما، لكن هذا  
التعلق ليس من نوع التعلق بالاشياء. فالتعلق بالاشياء ناتج عن الانانية، اي ان  
الانسان يريد الاشياء لذاته ويتعامل معها على انها وسائل يريد ان يستخدمها من  
اجل توفير الرفاه لنفسه، اما الحب الزوجي فانه قد صنع بالصورة التي تجعل كلا  
من الزوجين يسعى من اجل سعادة ورفاه وزوجه، ويتلذذ بالايتثار والتضحية في  
سبيله.

### علاقة أسمى من الشهوة

العجيب ان بعض الافراد لا يستطيعون ان يفرقوا بين الشهوة والرأفة،  
فيتصورون ان الذي يربط الزوجين ببعضهما يقتصر على الطمع والشهوة والرغبة في  
الاستخدام والاستغلال. تماما كالشيء الذي يشد الانسان الى المأكولات  
والمشروبات والملبوسات ووسائل النقل. انهم لا يدركون ان في الخلق والطبيعة  
دوافع اخرى اضافة الى الانانية وطلب المنفعة، وتلك الدوافع لم تنتج عن الانانية  
بل عن العلاقة المباشرة بالغير وهي السبب في نشوء التضحية والايتثار وتحمل  
المشاق في سبيل راحة الغير، وانها هي التي تجسد انسانية الانسان بل ان طرفا منها  
- يعني ذلك الذي يرتبط بالزوج والولد - يشاهد ايضا لدى الحيوانات، هؤلاء

الافراد يظنون ان الرجل ينظر الى المرأة دائما بتلك العين التي ينظر بها شاب أعزب الى أية فتاة يراها في الشارع، اي انها - فقط - الشهوة التي تربط بين الاثنين وتشدهما الى بعضهما، في الوقت الذي يوجد هناك رباط اسمى من الشهوة وهو الاساس في وحدة الزوجين، وهذا الشيء هو ما عناه القرآن الكريم بكلمة «مودة ورحمة» اذ يقول: «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة».

ما اكبره من خطأ ان نفس تاريخ علاقات المرأة والرجل فقط على اساس حس الاستخدام والاستغلال وتنازع البقاء، وما اكثر التفاهات التي تحاك في هذا المجال، والحقيقة انني اعجب وآسف لجهل البعض حين أقرأ بعض ما كتب في تفسير تاريخ العلاقة بين المرأة والرجل وأجد ان المبدأ الذي استندوا اليه اساسا هو مبدأ الصراع، فيفترضون ان المرأة والرجل مثل طبقتين اجتماعيتين دائمتي الصراع والتجاذب. فاذا استطعنا ان نفس تاريخ علاقة الآباء بالابناء على اساس حس الاستخدام والاستغلال، عند ذلك لا يمكن ان نفس العلاقة التاريخية بين الزوجات والازواج على نفس الاساس. صحيح ان الرجل كان دائما اقوى من المرأة الا ان قانون الخلق قد صاغ غرائز الرجل بشكل لا يستسيغ ممارسة الظلم تجاه المرأة بالشكل الذي يمارسه مع غلمانته وعبده وخدمه وجيرانه، كما انه لا يستسيغ ذلك الظلم لاولاده.

انا لا انكر ظلم الرجال للنساء، انما انكر التفسير المطروح حول هذا الظلم. لقد مارس الرجال ضد النساء على طول التاريخ ظلما كثيرا لكن دوافع هذا الظلم هي نفس الدوافع التي تحدو الرجل الى ممارسة الظلم ضد اولاده الذين يحرص كل الحرص على سعادتهم ومستقبلهم، هي نفس الدوافع التي تحدوه الى ظلم نفسه. ان سببها الجهل والتعصب والعادة وليس طلب المنفعة. ارجو ان تسنح لي فرصة في وقت مناسب أطرح فيها بحثا مفصلا عن تفسير تاريخ العلاقة بين المرأة والرجل.

### تفاوت مشاعر الرجل والمرأة تجاه بعضهما

ان العلاقة الاسرية بين المرأة والرجل لا تختلف فقط عن علاقتها بالاشياء بل ان علاقة احدهما بالآخر هي الاخرى غير متشابهة، اي ان علاقة الرجل بالمرأة

للمرأة، قد تمت بعجلة شديدة لكونها جاءت متأخرة. ولم تمهل الاحساسات العلم ليقول كلمته ويهتدى بهداه. لذا فقد احترقت هذه النهضة الاخضر واليابس تختلف عن علاقة المرأة بالرجل نوعا. صحيح انها علاقة تجاذب بين طرفين، ولكنها على عكس الجمادات، حيث يجذب الجسم الاصفر باتجاهه الجسم الاكبر. فان الخالق قد جعل الرجل مظهراً للطرف المحب العاشق الطالب، والمرأة مظهراً للطرف المحبوب المعشوق المطلوب. احساسات الرجل تمثل الحاجة واحساسات المرأة تمثل الدلال، احساسات الرجل طالبة واحساسات المرأة مطلوبة.

قبل فترة نشرت احدى الصحف صورة شابة روسية كانت قد انتحرت. وقد كتبت في قصاصة ورق كانت قد تركتها مايلى:

«لحد الآن لم يقبلني رجل، لذا فان هذه الحياة لم تعد تحتمل».

ان عدم حصول البنات على من يحبها ويقبلها يعتبر بالنسبة لها فشلا ذريعا. ولكن متى يبأس الشاب من الحياة؟ هل حين لا تقبله فتاة ايضا؟ كلا، بل حين لا يستطيع هو ان يقبل فتاة. يقول ويل ديورانت في مجوئه المفصلة والجامعة.

«لو امتازت الفتاة بالعلم والتفكير ولم تحظ الا بالقليل من الجاذبية وفنون الفنج والدلال فسوف لا توفق كثيراً في الحصول على الزوج».

ثم يقول: «ان ستين بالمئة من فتيات الجامعة يبقين بلا أزواج، فهذه السيدة مونيا كوالوسكي — وهي عالمة بارزة — كانت تشكو من ان احدا لم يتزوجها، وتتساءل: «لم لا يحبني احد؟ اني أستطيع ان اكون افضل من كثير من النساء، ومع ذلك فان النساء اللواتي هن أقل أهمية مني يتجه اليهن الرجال بالحب واترك أنا».

أرجو ان تلاحظوا ان نوع الاحساس بالفشل عند هذه السيدة يختلف عن نوع الاحساس بالفشل عند الرجل. انها تقول: «لماذا لا يحبني أحد؟» أما الرجل فانه لا يحس بالفشل في امر الزواج الا حين لا يجد المرأة التي ترضيه، أو انه اذا وجدها لم يستطع ان يخضعها لسلطانه.

ولكل ذلك فلسفة، هي تمتين وتعميق الصلة الواحدة، ولم هذه الصلة؟ هل هي من اجل ان تتلذذ المرأة والرجل اكثر في الحياة؟ كلا، ليس هذا فحسب بل ان اساس المجتمع الانساني وتربية الجيل القادم قد بني على ذلك.

## نظريّة عالمة نفسانية

نقلت مجلة «المرأة اليوم»<sup>١</sup> بحثاً نفسياً كتبته عالمة نفسانية تدعى كليف دالسون تقول فيه:

«باعتباري متخصصة نفسانية فإن أكبر رغبة لدي هي الاطلاع على نفسيات الرجال. وقبل فترة كلفت بعمل تحقيقات حول العوامل النفسية عند الرجل والمرأة، وقد توصلت الى هذه النتائج.

١ - ترغب جميع النساء بالعمل بامرأة شخص آخر. وبتعبير آخر انهن يفضلن ان يصبحن مسؤولات باشراف رئيس.

٢ - تحب جميع النساء ان يشعرن ان وجودهن ذو اثر ومحل احتياج».

ثم تصوغ هذه السيدة رأياً كمايلي:

«في نظري ان هذين الاحتياجين الروحيين للمرأة ينبعان من ان النساء يجبرين وراء المشاعر والرجال يجرون وراء العقل. وكثيراً ما لوحظ ان السيدات في مجال الذكاء لا يوازنين الرجال فحسب، بل يفضلنهم أحياناً. ونقطة ضعف السيدات تكن فقط في إحساساتهن المرهفة. الرجال يفكرون دائماً بشكل عملي أكثر، كما انهم يحكمون أحسن، وينظمون أحسن و يوجهون بشكل افضل، اذاً ففضل الرجال روحياً على النساء امر خطته الطبيعة. ومهما حاولت السيدات أن يدفعن هذه الحقيقة فلن يجديهن ذلك نفعاً، وبما انهن أكثر حساسية من الرجال، فقد وجب عليهن اذاً ان يتقبلن حقيقة حاجتهن الى اشراف الرجل عليهن في الحياة.. والهدف الاعلى للسيدات في الحياة هو «الامن». فاذا نلن هذا الهدف، تركن العمل والنشاط... والمرأة من أجل الوصول الى هذا الهدف تخشى مواجهة الاخطار. والاعمال التي تحتاج الى التفكير الدائم تتعب المرأة وتضجرها».

## النهضة العاجلة

ان النهضة التي قامت في اوروبا من اجل احقاق الحقوق المهتزمة

١ - «زن روز» بالفارسية. العدد / ١٠١

اذ ازاحت عن المرأة مجموعة تعاسات ومنحتها كثيرا من الحقوق وفتحت بوجهها الابواب المغلقة، ولكنها في المقابل جاءت بتعاسات ومشاكل جديدة للمرأة وللمجتمع الانساني كله. ومن المسلم به أن احقاق حقوق المرأة لولم يتم بهذه العجلة لاتخذ صورة أفضل، ولما ارتفعت صحاح الحكماء الى السماء من سوء اوضاع الحاضر ومخاطر المستقبل، ولكن الامل ما يزال باقيا في ان يجد العلم طريقه في النهضة النسائية، وتعود هذه النهضة لتنهل من العلم بدلا من التأثر بالمشاعر كالسابق. وآراء علماء اوروبا في هذا المجال تشر بان الامور تسير في هذا الاتجاه والذي يظهر ان الامور التي تبهز اليوم مقلدي الغرب في باب علاقة المرأة والرجل، قد تحظاها الغربيون أنفسهم.

### نظرة ويل ديورانت

ويل ديورانت في القسم الرابع من كتاب «لذات الفلسفة» يورد بجوئا مفصلة وجامعة حول المسائل الجنسية والاسرية. وقد انتخبنا اجزاء مختصرة من هذا الكتاب لعرضها على القراء كي يطلعوا على التيارات الفكرية الموجودة بين علماء الغرب ولا يتعجلوا باصدار الاحكام.

يقول ويل ديورانت في القسم الرابع من الفصل السابع من هذا الكتاب تحت عنوان «الحب» مايلي:

«اول نغمات الحب تبدأ مع اقتراب البلوغ، وكلمة البلوغ تقابلها كلمة «بيوبرتي» باللاتينية التي تعني «سن الشعر» وهي السن التي يبدأ فيها شعر الشبان بالظهور وخصوصا شعر الصدر الذي يتباهون به، وشعر الوجه الذي يخلقونه بصبر كصبر «سي سي فوس»<sup>١</sup>. ان كيفية الشعر «في حالة سلامة الجوانب الاخرى» لها صلة — على ما يظهر — بالقوة التناسلية، أحسن وضع له هو عندما يبلغ النشاط الحيوي أوجه. هذا النمو المفاجئ للشعر يشكل مع خشونة الصوت جزءاً من الصفات الجنسية الثانوية التي تظهر عند الشاب لدى البلوغ. اما الشابات فتمنحهن الطبيعة في هذه السن نعومة الاطراف والحركات التي تحير الناظرين، وسعة الحوض لتسهيل عمل الامومة، وامتلاء الصدور وبروزها من

١ — بالانكليزية رجل اسطوري يمثل قوة الصبر ويقابله في الاسلام «صبرايوب» ويقصد الكاتب بهذا انهم كانوا يتألون اثناء حلافهم له لعدم توفر وسائل الخلاقة المريحة آنذاك.

اجل ارضاع الاطفال. ولكن ما هو سبب ظهور هذه الصفات الثانوية؟ لا أحد يعلم، ولكن نظرية البروفيسور «ستارلينغ» في هذا الخصوص قد نالت مؤيدين. بموجب هذه النظرية، تقوم الخلايا التناسلية ليس فقط بتوليد البويضة والحيمين بل تولد ايضا نوعا من الهرمونات التي تفرز في الدم وتؤدي الى حدوث تغييرات جسمية و نفسية، وفي هذه السن، لا يتمتع الجسم وحده بمجوية جديدة بل تظهر هناك الآف التأثيرات المتنوعة على النفس والطبيعة.

يقول رومن رولاند: خلال سنّي الحياة، يأتي زمان تظهر على جسم الرجل تغييرات بطيئة.. وعند المرأة يكون ما ذكرنا هو أهم هذه التغييرات.. وتؤدي القوة والشجاعة الى زيادة دقات القلب، وتثير النعومة واللفظ ميلا ورغبة جامحة..

و يقول دموسيه: «كل الرجال كذابون، ماكرون، ثرثارون، وذوو وجهين ومخاصمون، وكل النساء متكبرات و يعشقن المظاهر وخائنات، وليس في العالم الاشيء واحد مقدس وسام، وذلك هو اجتماع هذين الموجودين الناقصين...».

«آداب الزواج عند الكبار عبارة عن هجوم الرجال للاستيلاء، وتراجع النساء من اجل اجتذاب القلوب والمخادعة — وهناك بالطبع استثناءات في بعض الاحيان—. ولان الرجل مقاتل وحيوان مفترس بطبعه، فعمله ايجابي وهجومي، والمرأة بالنسبة له كجائزة يريد ان يستولي عليها ويمتلكها. فالبحث عن القرنين حرب وكفاح، والزواج امتلاك واقتدار».

«العفة الكافية لدى المرأة تخدم قضية التناسل، لان امتناعها عن مهاجمة الرجال للحصول على القرنين — بسبب الحياء والحجل — سيساعدها في اختيار الزوج المناسب. والعفة تقوي مكانة المرأة حيث يختارها الراغب بعد بحث كثير كي يفوز بمقام الابوة لاولادها. ان مصلحة النوع والجماعة تظهر على لسان المرأة، كما ان مصلحة الفرد تظهر على لسان الرجل.. وفي ممارسة الحب تكون المرأة أمهر من الرجل لان ميلها ليس من القوة بحيث يجلب تأثير عقلا».

• وقد لاحظ داروين في اكثر الانواع ان الانثى لا رغبة لها في ممارسة الجنس.

و يقول لمبرزو، وكيش، وكرافت أبنغ: «اكثر ما تتغيه النساء الرفاه

والمدبح المطلق والمبهم، وأكثر ما يرغب فيه اهتمام الرجل برغباتهن، وهذا الامر أقوى لديهن من الميل الجنسي».

ويقول لمبرزو: «ان الاساس الطبيعي للجانب الجنسي عند المرأة ليس إلاصفة ثانوية متفرعة من الامومة، كما ان جميع الاحساسات والعواطف التي تبديها للرجل لا تنبع من رغبات جسدية بل من غريزة الانقياد والتسليم للرجل وقد جاءت هذه الغريزة من أجل ملاءمة الاوضاع».

ويقول ويل ديورانت في فصل تحت عنوان الرجال والنساء:

«دور المرأة الخاص هو الابقاء على النوع، ودور الرجل الخاص خدمة المرأة والطفل. ومن الممكن ان يكون لكل منهما ادوار اخرى ولكن كل ما يقومان به من اعمال تابع لهذين الدورين الاساسيين على سبيل الحكمة والتدبير، وكل هذه مقاصد أساسية لكنها غير متكاملة الوعي، يكمن فيها معنى الانسان والسعادة، وطبيعة المرأة تفتقد الغريزة القتالية أصلاً، فاذا قاتلت الاثني فن أجل اطفالها».

«المرأة أكثر من الرجل، ومهما كانت شجاعة الرجل في الامور الخطيرة وفي مواجهة مصاعب الحياة عظيمة، الا ان التحمل المستمر واليومي لدى المرأة في قبال المشاكل الصغيرة المتعددة اعظم... أما كفاح المرأة فيتمثل بمظهر آخر فالمرأة تحب الجنود وتعجب بالرجل القوي، ويشيرها عند مشاهدة مظاهر القوة عامل عجيب - يدعي «ماسوشستيك» Masochistic<sup>١</sup> حتى لو كانت تلك القوة سبباً في القضاء عليها».

«... هذا السرور القديم والتلذذ بالقوة والرجولة يغلب احياناً على المشاعر الاقتصادية للمرأة اذ انها ترجح في بعض الاحيان الزواج من مجنون شجاع، والمرأة تستسلم بكل سرور للرجل ذي الارادة القوية. واذا كانت المرأة في هذه الايام اقل طاعة من ذي قبل، فلان القوة والاخلاق عند الرجال أضعف اليوم من ذي قبل... ان اهتمام المرأة موجه الى الامور العائلية، ومحيطها عادة البيت، انها كالتبيعة عميقة الا انها كبيتها محدودة بمحدود، وتشدها الغريزة الى العادات القديمة، انها ليست في الذهن والعادة من أهل التجربة والاختيار» ويجب ان نستثني من ذلك بعض نساء المدن الكبرى»، وحتى اذا التحمت الى التحرر الجنسي

١ - Masochistic كلمة لاتينية تعني تحمل العذاب من اجل التلذذ به. المصحح.

فليس ذلك لأنها تستسيغه، وإنما لأنها يُست من الحصول على الرجل المؤهل لتحمل هذه المسؤولية فتتزوج، وإذا افتتنت أحيانا في سن الشباب بالعبارات والمصطلحات السياسية وامتد اهتمامها الى كافة الجوانب الانسانية، فبعد العثور على الزوج الوفي تسدل - وكذلك زوجها - الستار على كل النشاطات السابقة، وتعلمه كيف يجب أن يكون وفاؤه مقصوداً على البيت فقط. والمرأة - من غير حاجة الى مزيد من التفكير - تؤمن بأن الاصلاحات تبدأ من البيت. وهي في الوقت الذي تتمكن فيه من ان تحول رجلاً شاردا الذهن حائراً الى رجل مضج ومُنشد الى البيت والاطفال تكون عامل حفظ وبقاء للنوع، اذ ان الطبيعة لا تهتم بالقوانين والحكومات إنما تعشق البيت والطفل، فاذا وقفت في المحافظة عليها، فلا ارتباط ولا علاقة لها بالحكومات، وهي تسخر من الذين شغلوا أنفسهم في تغيير هذه القوانين الاساسية. واذا عجزت الطبيعة - اليوم - عن حفظ البيت والطفل، فذلك لان المرأة قد نسيتها لمدة من الزمن، لكن هزيمة الطبيعة ليست دائمة، بل تستطيع في أي وقت شاءت أن تؤمن مصالحها من ذخائرها، فهناك اقوام وعناصر أخرى أوسع وأكثر منا تستطيع الطبيعة أن تؤمن دوامها الاكيد واللا محدود من خلالها».

\* \* \*

كان هذا بيانا قصيرا للفوارق بين المرأة والرجل ونظريات العلماء في هذا

الباب.

كان بودي أن ابحت تحت عنوان «سرافوارق» الى أي حد تمكنت فيها العوامل التاريخية والاجتماعية أن تؤثر في هذه الفوارق، ولكنني أصرف النظر عن بحث ذلك الى وقت آخر كي لا أطيل أمد البحث، ولكن الموضوع سيتضح كاملا في البحوث القادمة.

## الفصل الثامن

المهر والنفقة

---

---

- 1 - 2

## المهر والنفقة



من السنن القديمة جدا في العلاقات العائلية الانسانية ان الرجل لدى الزواج يمنح المرأة «مهرًا». يهب شيئًا من ماله للمرأة او لوالدها، وبالإضافة الى ذلك يتعهد بمصارف المرأة والاولاد طيلة الحياة الزوجية.

فما هي جذور هذه السنة؟ ولماذا وكيف ظهرت؟ واي صيغة يمثل هذا المهر؟ ولماذا الانفاق على المرأة؟ وهل — اذا نال كل من المرأة والرجل حقوقهما الطبيعية والانسانية وحكمتها العلاقات العادلة والانسانية وعملت المرأة كإنسان — يبقى موجب للمهر والنفقة؟ ام ان المهر والنفقة يمثلان ذكرى عصور تملك الرجل للمرأة، وان مقتضى العدالة ومساواة حقوق الانسان — خصوصا في القرن العشرين — أن يلغى المهر والنفقة، فتعقد الزيجات بدون مهر، وتتعهد المرأة بمسؤولية حياتها المالية، وتشارك الرجل بالتساوي في النفقة على الاولاد ايضا.

نبدأ حديثنا الآن عن المهر لنرى كيف وجد؟ وما هي فلسفته؟ وكيف يفسر علماء الاجتماع وجوده؟

### تأريخ المهر

يقال انه في زمان ما قبل التاريخ كان البشر يعيشون بطريقة وحشية، وكانت هناك طريقة تجمعهم تأخذ شكل القبيلة، ولاسباب مجهولة، كان الزواج بالاقارب غير جائز فكان شباب القبيلة الذين يرغبون الزواج يضطرون الى ان يقصدوا القبائل الاخرى لاختيار زوجة او حسيه، وفي ذلك الزمان لم يكن الرجل يدرك دوره في انجاب الاولاد. اي انه لم يكن يعلم أن لقاءه بالزوجة هو الذي

يؤدي الى الانجاب فكان يعتبر الاولاد اولاداً لزوجته لا له، وكان يعجز عن تفسير شبه اولاده به ولا يدرك دلالتة. وبالنتيجة فان الاولاد انفسهم كانوا يعدون انفسهم اولادامهم لا اولاد زوجها، وكان النسب يحدد عن طريق الامهات لا الآباء. فكان الرجال يعدون موجودات عقيمة، وبعد الزواج يعيش الرجل بين قبيلة زوجته بوصفه انسانا طفيليا تحتاجه المرأة رفيقا وتحتاج الى وجود قوته البدنية. هذه المرحلة هي مرحلة سلطة الام.

ولم يمض طويل وقت حتى شعر الرجل بدوره في انجاب الاطفال، وعد نفسه المالك الرئيس لهم، ومنذ ذلك الوقت اصبحت الزوجة تابعة له، وتسلم هو رئاسة الاسرة وبدأت ما تسمى مرحلة «سلطة الاب». وفي هذه المرحلة بقي الزواج من الاقارب ممنوعاً أيضاً، وكان الرجل مضطراً الى اختيار زوجته من قبيلة اخرى ليأتي بها الى قبيلته. وبما ان حالة الحرب والصدام هي التي كانت سائدة بين القبائل فقد اتخذ اختيار الزوجة صورة اختطاف الفتاة. اي ان الشاب يجب ان يختطف الفتاة التي تعجبه من قبيلة اخرى.

وبالتدريج حل الصلح محل الحرب وبدأت القبائل المختلفة تتعايش سلمياً فيما بينها. وفي هذه المرحلة، نسخ عرف اختطاف الفتاة وصار الرجل الذي يرغب في الاقتران بفتاة، يذهب الى قبيلتها ليصبح اجير والدها ويعمل لديه لمدة من الوقت فيزوجه ذلك ابنته مقابل خدماته ثم يعود بالفتاة الى قبيلته.

وبعد ان ازدادت الثروة لدى الناس، ارتأى الرجل تقديم هدية مناسبة لوالد الفتاة مقابل الزواج منها بدل ان يعمل لديه اجيراً لعدة سنين. لقد نفذت هذه الفكرة ومن هنا كان «المهر»، وعلى ذلك، ففي المراحل البدائية عاش الرجل طفيلياً على المرأة ونخادما لها، وكانت المرأة تحكمه. وفي المرحلة الثانية حيث صار الحكم بيد الرجل اصبح الرجل يختطف المرأة من القبيلة الاخرى. وفي المرحلة الثالثة؛ صار الرجل - من اجل الفوز بالفتاة - يذهب الى بيت والدها ويعمل لديه اجيراً لعدة سنوات، وفي المرحلة الرابعة أصبح الرجل يقدم مبلغاً بصفة «هدية» الى والد الفتاة ومن هنا نشأت عادة المهر.

يقولون ان الرجل منذ ان قضى على نظام «سلطة الام» واسس نظام سلطة الاب أصبح يعامل المرأة كأمة أو - في احسن الاحوال - كأجيرة له، وينظر اليها كسلعة تنفعه أحياناً في تسكين شهوته. ولم يمنحها اي استقلال

اجتماعي او اقتصادي. كما ان ناتج عملها وجهدها ملك لغيرها أبا كان او زوجها. ولم يكن للمرأة حق في اختيار زوجها، ولا في أن تعمل طبقاً لرغبتها أو يكون لها ناتج نشاطها الاقتصادي والمالي، وفي الحقيقة ان المال الذي كان يدفعه الرجل مهراً، والنفقات التي يبذلها بوصفها نفقة، كان يقضها فائدة اقتصادية تؤذيها المرأة خلال فترة زواجها.

### المهر في النظام الحقوقي الاسلامي

وهناك مرحلة خامسة سكت عنها علماء الاجتماع والمتحدثون. في هذه المرحلة يقدم الرجل لدى الزواج «هدية» الى زوجته لا يحق لوالديها التصرف بها، وفي نفس الوقت الذي تتسلم فيه المرأة هدية الرجل، تحفظ أيضاً استقلالها الاجتماعي والاقتصادي كمايلي:

أولاً: تختار زوجها بارادتها لا بارادة الاب او الاخ.

ثانياً: في الفترة التي تقضيها في دار أبيها وكذلك في الفترة التي تقضيها في دار زوجها لا يحق لاحد ان يستخدمها أو يستغلها، وعائد عملها وجهدها يكون لها لا لغيرها، ولا تحتاج الى قيمومة الرجل عليها في معاملاتها الحقوقية. والرجل من حيث استفادته من المرأة ليس له الحق في ان يتصل بها الا في فترة الزواج، وهو ملزم - مادام زوجها وعلى صلة بها - ان يؤمن معيشتها في حدود امكاناته.

هذه المرحلة هي التي ارتضاها الاسلام وبنى بنيانه عليها. ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تذكر ان مهر المرأة ملك لها لا لغيرها. والرجل خلال فترة الزواج ملزم بتأمين احتياجات المرأة، وفي نفس الوقت يكون عائد عمل المرأة لها لا لغيرها - أباً كان أو زوجها -.

وهنا تتخذ مسألة المهر والنفقة شكل اللغز، فاذا كان المهر يدفع لوالد الفتاة وتحمل هي الى بيت زوجها - كالأمة - حيث يقوم الزوج باستغلالها، تصبح فلسفة المهر ثمن شراء الفتاة من والدها، وفلسفة النفقة ماينفقه كل مالك على مملوكه. فاذا تقرر الا يدفع لوالد الفتاة شيء ولم يكن للزوج حق استغلال زوجته والانتفاع بمواردها الاقتصادية، وصار للمرأة استقلال اقتصادي كامل ولم تكن هناك حاجة - من الناحية الحقوقية - لوجود قيم ووصي على المرأة، فلماذا اذاً يدفع

### نظرة في التاريخ

إذا اردنا ان نتابع فلسفة المهر والنفقة في المرحلة الخامسة، يجب ان نعود قليلا الى المراحل الاربع السابقة. الحقيقة أن كل ما قبل في هذه المراحل ليس الا سلسلة افتراضات وتخمينات وليست حقائق تاريخية أو علمية أو تجريبية. ومنشأ هذه الافتراضات والتخمينات - عن حياة الانسان لفترة ما قبل التاريخ - وجود بعض القرائن من جهة وبعض الفرضيات الفلسفية حول الانسان والعالم من جهة اخرى. وما قبل عن مرحلة ما يسمى بـ «سلطة الأم» ليس مما يمكن تصديقه بسهولة، كذلك ما قبل عن بيع الآباء لفتياتهم واستغلال الزوجات من قبل أزواجهن.

وفي هذه الافتراضات والتخمينات يلفت انظارنا شيان.

**الاول:** انهم حرصوا على تصوير تأريخ الانسان الاول بالقسوة المتناهية، والحشونة ومجانبة العواطف الانسانية.

**الثاني:** انهم تجاهلوا دور الطبيعة من حيث التدابير المحيرة التي وضعتها من اجل الوصول الى اهدافها الكلية.

مثل هذه التصورات والآراء حول الانسان والطبيعة، مقبولة عند الانسان الغربي. اما بالنسبة للانسان الشرقي - اذا لم يكن مقلدا للغرب - فغير مقبولة. ذلك ان الغربي بعيد عن العواطف الانسانية لاسباب خاصة، فليس بإمكانه ان يرى للعاطفة والحرارة الانسانية دورا اساسيا في التاريخ. فاذا انطلق الغربي من ناحية الاقتصاد لم ير الا الخبز، فالتاريخ - في نظره - ماكنة لا تعمل الا اذا اطعمتها الخبز. واذا انطلق من المسائل الجنسية عد الانسانية وتاريخ الانسانية - مع كل صور الثقافة والفن والاخلاق والدين ومع كل التوجهات الروحية السامية - مجرد الاعيب تعبر عن حالات متطورة للميول الجنسية. واذا انطلق من حب الظهور والسيادة كان تاريخ البشرية في نظره سلسلة متصلة من نزف الدم والقساوة.

عانى الانسان الغربي في القرون الوسطى من الدين وباسم الدين من التعذيب والالام، وشاهد حالات القاء أحياء من البشر في النار، ولهذا صار يفرغ من اسم الله والدين وكل ما تشتم منه رائحة ذلك. وبالرغم من جميع الآثار والادلة

العلمية المتعددة على وجود الهادفية في الطبيعة وعدم ترك العالم بدون هدف الا انه لايجد في نفسه الجرأة الكافية للاعتراف بمبدأ «العلية».

اننا لانريد من مفسري التاريخ ان يعترفوا بوجود الانبياء الذين ظهوروا على مدار التاريخ، ونادوا بالعدل والانسانية، وحاربوا الانحرافات وحصلوا على نتائج مثمرة من مجاهداتهم، انما نريد منهم الاينسوا — على الاقل — الدور الواعي للطبيعة.

في تاريخ العلاقة بين المرأة والرجل وقعت مظالم كثيرة وقسوة لا تتصور، وقد تحدث القرآن عن أشد هذه المظالم قسوة الا انه لايمكن القول ان هذه القسوة والخشونة قد وجدت على طول التاريخ.

### الفلسفة الحقيقية للمهر

ان المهر — في رأينا — قد وجد نتيجة تدبير ذكي في اصل الحلقة من أجل تمتين علاقة المرأة بالرجل وتماسكها.

وجد المهر لان دور كل من المرأة والرجل في مسألة الحب مختلف في اصل الحلقة، وهذا القانون يسري — عرفا — على الوجود بأجمعه اذ يقال ان قانون الحب والجاذب والمجذوب يسري على جميع الموجودات والمخلوقات، مع خاصية مفادها ان الموجودات والمخلوقات متفاوتة باعتبار ان لكل موجود دوراً خاصاً يجب اداؤه، فطبق عليها جميعاً قاعدة «الاحتراق بنار العذاب من جهة والصبر عليه وعدم الشكوى منه من جهة أخرى».

يقول الشاعر المعروف ما ترجمته:

وترُّ الطربِ لا يعرفه غير العاشق أي وتر هو؟

ذاك الذي من ألم جرحه ضجعت الافلاك التسعة

اذا عرفت السر الذي خلف هذه الستارة

لعلمت لماذا قيدت الحقيقة بقيد المجاز

العشيق هو الذي يبدو كل لحظة بلون

فهو دلال في مكان واحتياج في آخر

كل ما يظهر على وجه العاشق تحرق

وكل ما يبدو على المعشوق تحمل وصبر

لقد ذكرنا في احدى مقالات هذه السلسلة — حيث بينا الفوارق بين المرأة والرجل — ان مشاعر المرأة والرجل تجاه كل منهما ليست متشابهة. فقانون الحلقة قد منح المرأة الجمال والغرور والاستغناء، ومنح الرجل الاحتياج والطلب والعشق والتغزل فعاذل ضعف المرأة في مقابل قوة الرجل بهذه الطريقة وهكذا نجد الرجل هو الذي يذهب لخطبة المرأة، وكما رأينا من قبل طبقا لاقوال علماء الاجتماع في مرحلة سلطة الام كما في مرحلة سلطة الاب ان الرجل هو الذي يبحث عن المرأة.

يقول العلماء: الرجل اكثر شهوة من المرأة، وقد ورد في الروايات الاسلامية ان الرجل ليس اكثر شهوة من المرأة بل على العكس من ذلك، الا ان المرأة خلقت اكثر من الرجل قابلية على مقاومة شهوتها، ونتيجة الكلامين واحدة، ففي كلتا الحالتين يكون الرجل تجاه غريزته اضعف من المرأة، وهذه الخاصية اضفت على المرأة مزية هي الا تذهب في طلب الرجل ولا تستسلم له بسهولة، بل على العكس من ذلك اضطر الرجل الى اظهار حاجته الى المرأة والمبادرة الى جلب رضاها، وكان من هذه المبادرات — من اجل جلب رضاها واحترام رغبتها — ان يقدم لها هدية.

لماذا يتنافس الذكور دائما من اجل الفوز بصحبة الانثى وتقع بينهم الحروب والمنازعات لذلك، اما في الاناث فلا يحدث ابدا ان يظهر الحرص والولع لاصطحاب الذكر؟ السبب هو ان دور الذكر غير دور الانثى. فجنس الذكر اقترن بدور الطالب وجنس الانثى لم يطلب جنس الذكر بحرص وولع مطلقا، بل يظهر نوعا من الاستغناء وعدم الحاجة.

وللمهر جذر مشترك مع حياء وعفة المرأة، فقد ادركت المرأة بالهام فطري أن عزتها واحترامها يقضيان بأن لا تسلم نفسها للرجل مجانا: أي — كما يصطلح عليه — أن تعرض سلعتها بثمن غان.

وقد أدى ذلك كله الى أن تستطيع المرأة — مع ضعفها الجسمي — جرّ الرجل الى ساحتها خاطباً، وتدفع الرجال الى التنافس من أجلها، كما انها — باخراج نفسها من متناول يد الرجل — صنعت الحب الرومانتيكي فصار كل مجنون يعدو خلف ليلاه، وحين ترضى بالزواج من الرجل تتسلم منه هدية دليلا على الصداقة.

يقولون انه في بعض القبائل المتوحشة، حين تواجه الفتاة بعدد من الطلاب والعشاق الموهين، تدعوهم الى منزلة بعضهم، فأيهم غلب الآخر او قتله، فقد أثبت لياقته للزواج منها.

وقد كتبت صحف طهران قبل مدة، ان فتاة دفعت بشابين الى «البراز» في طهران حين تنافسا في خطبتها، وقد اشتبك الاثنان بالسلاح الابيض وهي حاضرة.

وفي نظر الاشخاص الذين يرون القدرة فقط في قوة الساعد، ويرون تاريخ علاقة المرأة بالرجل حلقات متصلة من الظلم والاستغلال من قبل الرجل لا يصدقون أن المرأة — هذا المخلوق الضعيف والظريف — تستطيع ان تدفع افراد الجنس الخشن الى التنازع فيما بينهم. ولكن الشخص الذي له ادنى اطلاع على التدابير الماهرة للمخالف والقدرة العجيبة والذكية التي عبأها في وجود المرأة يعلم ان هذا الشيء ليس بعجيب أبدا.

ان للمرأة على الرجل تأثيرا كبيرا، وتأثيرها فيه اكبر من تأثيره فيها، فالرجل في كثير من فنونه وشجاعته واقداماته ونبوغه وشخصيته مدين للمرأة، وان التمتع الظريف للمرأة مدين لحياتها وعفافها أي مدين الى «العرض العالي» للمرأة. المرأة دائما تصنع الرجل، والرجل دائما يصنع المجتمع، وفي الوقت الذي يذهب حياء المرأة وعفافها وامتناعها وتبادر الى ممارسة دور الرجل، ينتفي دورها، وينسى الرجل رجولته، فيهدم المجتمع في النهاية.

هذه القدرة — التي حفظت للمرأة شخصيتها طوال التاريخ، وصانتها من الركض وراء الرجل، وجعلت الرجل يقصد ساحتها كخاطب، ودفعت الرجال الى التنافس والتخاصم من اجلها الى حد القتل، وجعلت شعارها الحياء والعفاف وسترت جسدها عن عيني الرجل... وجعلت منها شخصية محفوفة بالاسرار، ملهمة الرجل وخلاقة عشقه و منبع فنه وشجاعته، ونبوغه... أوجدت في ذاته حس «التغزل» والمدح ودفعتته الى التواضع ونكران ذاته أمامها — هي التي جعلت الرجل يقدم للمرأة عند الزواج هدية باسم المهر.

المهر مادة في قانون عام صُبَّت في اساس الحلقة وهيئت بيد الفطرة.

## المهر في القرآن

القرآن الكريم لم يخترع المهر بالصورة التي ذكرناها في المرحلة الخامسة. لان المهر بهذه الصورة هو ابداع الخلق ودور القرآن انما هو اعادة المهر الى حالته الفطرية.

يقول القرآن الكريم بلطف وظرف منطقي النظير: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة»<sup>١</sup>، أي أعطوا النساء مهورهن - التي هي ملك لهن - بأيديهن لا بأيدي الآباء او الاخوة. انها هداياكم اليهن.

والقرآن الكريم في هذه الجملة القصيرة اشار الى ثلاث نقاط:

أولاً: سمي المهر «صدقة» بضم الدال والصدقة مشتقة من مادة «صدق» ولذا يسمى المهر صداقا او صدقة لدلالته على صدق العلاقة مع الرجل، وقد اشار الى هذه التقطة بعض المفسرين كصاحب الكشاف. وكذلك اورد الراغب الاصفهاني في مفردات غريب القرآن ان الصدقة «بفتح الدال» سميت كذلك لانها دليل على صدق الايمان.

ثانياً: بالحاق ضمير «هن» بالصدقات أراد عزوجل ان يشير الى تعلق المهر بنفس المرأة لا بالاب والام، لان المهر ليس اجرة التربية والارضاع والاطعام وغيرها من الخدمات التي قدمها لها.

ثالثاً: انه باستعمال كلمة «نحلة» يصرح بوضوح ان المهر ليس له عنوان غير الهدية والمنحة فحسب.

## تفاوت المشاعر لدى الحيوانات

في جميع الاحياء - وليس الانسان وحده - وحيثما كان قانون الجنسين حاكماً، وكان الجنسان محتاجين الى بعضها خلق جنس الذكر اكثر احتياجاً الى جنس الانثى، أي ان مشاعره ذاتها اكثر احتياجاً الى الانثى. وهذا بدوره أدى الى ان يخطو الذكر خطوات على طريق جلب رضاها وكان سبباً في اصلاح علاقة

١ - النساء: ٤.

الجنسين، فلا يستغل الذكر قوته ضد الانثى بل يلتزم جانب التواضع والخضوع امامها.

### الهدية في العلاقات اللاشعرية

ولا يقتصر ذلك على الزواج والرباط الشرعي لعلاقات الجنسين، بل كلما أراد «المرأة والرجل» ان يتلذذا ببعضها او يمارسا ما اصطلح عليه باسم الحب الحر، كان الرجل هو الذي يقدم للمرأة هدية. واذا ما تناولا معا القهوة او الشاي او وجبة غداء أحيانا نجد الرجل يدرك واجبه في ان يكون هو الذي يدفع ثمن ذلك. وترى المرأة ان من الالهانة لها ان تبذل مالا من أجل الرجل. ان عبث ومجون الشاب يتطلب ان يكون لديه مال. وعبث الفتاة وسيلة للحصول على الاموال. هذه العادات التي تجري حتى في العلاقات غير المشروعة وغير القانونية منشؤها اختلاف نوع المشاعر التي تكنها المرأة والرجل لبعضهما.

### العشق عند الغربيين اكثر طبيعية من الزواج

في العالم الغربي، غيروا الوجه الطبيعي لمسألة المساواة في الحقوق الاسرية بعنوان المساواة في حقوق الانسان وهم يسعون خلافا لقانون الطبيعة الى ان يضعوا المرأة والرجل في مواقع متشابهة ويعهدوا اليها بأدوار متشابهة في الحياة العائلية ولكننا نرى ان المسألة حين تتصل بما يسمى بالحب الحر و يكون تصرف الرجل خارجا عن سلطة القوانين الوضعية، يقوم الاخير بواجبه الطبيعي تجاه المرأة متمثلا بالاحتياج والطلب وتقديم المال وبذل المصاريف، ويقدم الهدية الى المرأة ويتحمل نفقاتها بينما في الزواج الغربي لا وجود للمهر، كما يعهد الى المرأة بمسؤولية ثقيلة من ناحية نفقاتها. أي ان الحب العربي اكثر انسجاما مع الطبيعة من الزواج الغربي.

المهر وسيلة من الوسائل التي تجسد لنا ان المرأة والرجل قد خلقا باستعدادات غير متشابهة، وان قانون الخلق قد منح كلا منهما سندات متفاوتة من حيث الحقوق الفطرية والطبيعية.

## المهر والنفقة

(٢)

ذكرنا في الفصل السابق الفلسفة والعلة الرئيسة لظهور المهر. ووضح أن المهر انما وجد لان قانون الخلفة في علاقات الجنسين قد عهد لكل منها بدور متميز. كما ظهر ان المهر نشأ عن المشاعر الرقيقة والعاطفية لدى الرجل وليس عن مشاعر الخشونة والتملك. اما فيما يتعلق — من هذا الجانب — بالمرأة، فهو مشاعر التمتع لديها لا الضعف ولا فقدان الارادة. وما المهر الا تدبير وضعه قانون الخلفة من اجل رفع قيمة المرأة ووضعها في مستوى أرفع. ان المهر يمنح المرأة شخصيتها، وان قيمته المعنوية بالنسبة للمرأة اكبر من قيمته المادية.

### العادات الجاهلية التي نسخها الاسلام

نسخ القرآن الكريم عادات الجاهلية حول مسألة المهر واعادها الى حالتها الطبيعية الاولى.

في الجاهلية كان الآباء والامهات يعتبرون المهر ثمن ارضاع الفتاة وثمر الاتعاب والجهود التي بذلوها لها منذ الطفولة حتى الزواج. وقد ورد في تفسير الكشاف وغيره، أنه حين كان يولد لاحدهم فتاة ويريد آخر ان يهنئه يقول له: «هنيتا لك النافجة» أي الزيادة في الثروة، يقصد انها ستجلب له مالا حين تشب وتتزوج ويدفع له مهرها.

وفي الجاهلية كان الآباء — وعند عدم وجودهم فالاخوة من بعدهم — يتبادلون الفتيات مع الآباء او الاخوة الآخرين باعتبارهم أولياء الفتاة والقيمين عليها وهم الذين يزوجونها حسب رغبتهم لا رغبتها، هذا من جهة ومن جهة

أخسرى فانهم يعتبرون مهر الفتاة ملكاً لهم لا لها، فكان الرجل يقول للآخر: زوجتك من ابنتي او اختي في مقابل تزويجك لي من ابنتك او اختك، ويقبل الآخر قوله، وبذلك تصح كل فتاة مهراً للآخرى وتلحق بأبي او أخي صاحبها. هذا النوع من النكاح كان يسمى نكاح «الشغار». وقد نسخ الاسلام هذه العادة، يقول الرسول الاكرم (ص): «لا شغار في الاسلام».

وجاء في الروايات الاسلامية ان الاب ليس فاقداً للحق في مهر ابنته فحسب ولكن حتى لو اشترط للاب في عقد الزواج شيء منفصل عن مهر الفتاة واعطى المهر لنفس الفتاة، صح العقد وبطل الشرط، اي ان الاب لا حق له في ان يستفيد شيئاً لنفسه من تزويج ابنته، حتى لو كانت هذه الفائدة منفصلة عن المهر.

والغنى الاسلام ايضا عادة عمل العريس عند والد الفتاة التي يذكر علماء الاجتماع انها كانت موجودة في المراحل التي لم تكن الثروة قابلة للمبادلة. لكن عمل العريس عند والد فتاته لم يكن فقط بسبب ان الاب كان يرغب في الافادة من بناته، وانما كانت هناك جذور اخرى للمسألة ترتبط أحياناً بتلك المرحلة من التقدم، ولم يكن هذا الامر - بجد ذاته - ظلماً. وعلى كل حال فمثل هذه العادة كانت موجودة قطعاً في العالم القديم.

وقصة موسى وشعيب التي وردت في القرآن الكريم تشير الى وجود مثل هذه العادة. فموسى في اثناء فراره من مصر، وحين وصل الى بئر «مدين» اشفق على ابنتي شعيب اللتين كانتا تنتظران الى جانب اغنامهما حين لم يرجعهما أحد، فسقى موسى لهما. وحين عادت الفتاتان الى ابيهما، وقصتا عليه أحداث اليوم، بعث احدهما في أثره فدعته الى البيت، وبعد ان تعارف موسى وشعيب، قال شعيب لموسى ذات يوم اني اريد ان ازوجك احدي ابنتي هاتين على ان تعمل عندي مدة ثماني سنوات، واذا رغبت ان تضيف من عندك سنتين، فيصبح عملك عندي عشر سنوات. فقبل موسى وأصبح صهر شعيب. كانت هذه العادة موجودة في ذلك الزمان وتعود اسبابها الى امرين:

الاول: عدم وجود النقود آنذاك، فكانت الخدمة التي يمكن ان يؤديها العريس - للمرأة اولادها - محصورة غالباً في العمل لها.

الثاني: عادة تجهيز الفتاة، يعتقد علماء الاجتماع ان عادة تجهيز الفتاة من

قبل الاب هي من العادات والسنن القديمة. فلكي يتمكن والد الفتاة من توفير جهازها يتخذ من العريس أجيرا عنده أو يتسلم منه مقدارا من النقود، ويكون ما يأخذه الاب من العريس لمصلحة الفتاة ولها.

على كل حال، فقد الغيت هذه القاعدة في الاسلام، ولم يعد لوالد الفتاة أن يعد مهرها مالا له، حتى ولو كان هدفه صرفه من اجل ابنته. انما الفتاة نفسها هي التي تملك حق التصرف في المال فتصرفه على أي نحو تشاء. وتصرح الروايات الاسلامية ان مثل هذا المهر غير جائز في المرحلة الاسلامية.

وفي الجاهلية، كانت هناك عادات اخرى تؤدي عمليا الى حرمان المرأة من مهرها، من هذه العادات توارث الزوجية، فاذا مات الرجل كان وارثه من قبيل الابناء، والاخوة يرثون الزواج من أرملته بعد موته كما يرثون ثروته، فيتصور ابن أو اخو الميت ان له حق الزوجية الذي كان للميت، ويرى نفسه مخيرا بين ان يزوج ارملة المتوفى من آخر ويقبض قيمة مهرها أو يتخذها زوجة له بدون مهر جديد بل بموجب نفس المهر الذي كان الميت قد دفعه لها من قبل.

وقد الغى القرآن الكريم ارث الزوجية بقوله: «يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها»<sup>١</sup>.

والقرآن الكريم في آية ثانية يحرم بشكل عام زواج الابن من زوجة أبيه حتى لو لم تكن ارثا وأرادا الزواج من بعضهما طوعا حيث يقول:

«ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء»<sup>١</sup>.

والغى القرآن الكريم كل عادة تستوجب تضييع مهر النساء، ومن جملتها ان الرجل كان حين يفقد مياله الى زوجته فانه يضايقها ويؤذيها قاصدا بأذيتها ان ترضى بالطلاق وتعيد اليه كلا أو قسما مما كان قد وهبها من المهر. يقول القرآن الكريم: «ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن»<sup>٣</sup>

ومن هذه العادات ايضا ان رجلا مثلاً يتزوج من امرأة ويجعل لها مهرها غاليا، وحين يملها ويشتاق الى الزواج من اخرى، يتم الاولى بالفحشاء ويلوث سمعتها ويدعي - لذلك - ان هذه المرأة لم تكن لائقة بالزواج منه أصلا ويجب

١- النساء: ١٩

٢- النساء: ٢٢

٣- النساء: ١٩

فسخ عقد الزواج، و يطالب باستعادة قيمة المهر الذي وهب لها عند الزواج، وقد الفى القرآن الكريم هذه العادة ومنعها.

### نظام المهر الاسلامي مختص بالاسلام

من مسلمات الدين الاسلامي ان الرجل لاحق له في مال المرأة ولا عملها. فلا يمكن ان يأمرها بالقيام بعمل ما، واذا ما اشتغلت المرأة وحصلت على مال نتيجة شغلها فليس للرجل حق التصرف فيه بدون رضاها، ومن هذه الناحية يتساوى وضع المرأة والرجل. وعلى خلاف العادة المتبعة في اوروبا المسيحية حتى اوائل القرن العشرين، فالمرأة المتزوجة في نظر الاسلام ليست تحت قيومة الرجل في معاملاتها وعلاقتها الحقوقية، بل لها استقلال وحرية كاملة في انجاز معاملاتها. والاسلام في الوقت الذي منح الزوجة مثل هذا الاستقلال الاقتصادي في مقابل الزوج ولم يجعل للزوج حقاً في مالها ولا عملها ولا معاملاتها، لم يبلغ نظام المهر. وهذا نفسه يدل على ان المهر في نظر الاسلام لم يكن من اجل ان يفيد الرجل بعد ذلك من وجود الزوجة اقتصادياً ويستغل امكاناتها البدنية، اذاً فللاسلام نظام خاص بالمهر. وهذا النظام المهري وفلسفته يجب الايقرنا بنظم المهر الاخرى، وان الاعتراضات الواردة على نظم المهر الاخرى ليست واردة على النظام الاسلامي.

### قانون الفطرة

كما قلنا في المقالة السابقة، يصرح القرآن الكريم أن المهر «نحلة» وعطية، والقرآن يعتبر هذه العطية أو الهدية شرطاً، لانه يراعي بدقة كاملة رموز الفطرة الانسانية؛ ولأن كلاً من المرأة والرجل قد عهد اليه بدور خاص في الطبيعة من حيث علاقات الصداقة، لذلك لم ينس ان يؤكد شرط المهر. دور المرأة ان تستجيب لحب الرجل، وحب المرأة سليم حين يكون رد فعل لحب الرجل لا مبادرة منها، اما العشق الذي يبدأ من المرأة - اي الذي تبادر به فتعشق الرجل قبل ان يكون هو الذي بدأ بذلك - فسواجه فشل الحب وفشل شخصية المرأة ذاتها، على خلاف الحب الذي يأتي جواباً من المرأة على حب آخر، فثل هذا الحب لا يفشل ولا يسيء لشخصية المرأة.

هل حقاً ان المرأة عديمة الوفاء؟ وأن عهد حباواها؟ وأن حباها لا يركن

اليه؟

هذا الرأي صادق وكاذب في آن واحد. هو صادق حين يبدأ الحب من المرأة فانها اذا بادرت الرجل بالحب والعشق وتعلق قلبها به، فسرعان ماتخبونان هذا العشق، فلا يمكن الركون الى مثل هذا الحب. وهو كاذب حين يكون الحب المتأجج للمرأة رد فعل للحب الصادق من قبل الرجل وجوابا للحب الحقيقي لديه. مثل هذا الحب يستبعد ان يفسخ، الا اذا برد حب الرجل نفسه، فحينها ينتهي حب المرأة، والحب الفطري للمرأة هو هذا النوع من الحب.

واشتهار المرأة بعدم الوفاء انما يحدث في النوع الاول من الحب. والامتنان الذي حصل نتيجة وفاء المرأة مرتبط بالنوع الثاني منه، والمجتمع اذا اراد لروابط الزوجية ان تستحکم، فلا مفر من ان يسلك نفس سبيل القرآن وذلك مراعاة لقوانين الفطرة ومن جملتها: ان يأخذ بنظر الاعتبار الدور الخاص لكل من المرأة والرجل في مسألة الحب، فقانون المهر انسجام مع الطبيعة من حيث أنه دليل على ابتداء الحب من جانب الرجل وما المرأة الا مستجيبة لحيه. والرجل لا يقدم لها هذه الهدية والمهر الا بدافع الاحترام وعلى هذا الاساس يجب ان لا نلغي مادة في هذا القانون العام— الذي دونته يد مقنن الطبيعة— باسم المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل.

وكما لا حظتم فان القرآن في باب المهر قد غير العادات والقوانين الجاهلية بالرغم من ميل الرجال آنذاك اليها. فما أقره القرآن في باب المهر لم يكن هو العادة التي كانت سائدة في الجاهلية لكي نقول ان القرآن لم يهتم بوجود المهر أو عدمه، فالقرآن كان يمكن ان يلغي المهر كلياً ويريح الرجال من هذا الناحية لكنه لم يفعل.

### انتقادات

والآن وقد اطلعت على وجهة نظر الاسلام حول المهر، ووضحت فلسفته فيه، فيستحسن ان تسمعوا اقوال الذين ينتقدون هذا القانون الإلهي .  
كتبت السيدة منوچهریان في كتابها: «انتقاد قوانين ايران الاساسية والمدنية»<sup>١</sup> في فصل بعنوان «المهر» ما ترجمته:

١— بالفارسية «انتقاد بقوانين اساسي ومدني ايران».

«كما يدفع الرجل مبلغا من المال ليحوز بستانا أو دارا أو حصانا أو بغلا، كذلك يجب ان يخرج من جيبه نقودا لاجل شراء الزوجة، وكما يتفاوت سعر الدار والبستان والبغل حسب الكبر والصغر والقبح والجمال والمنفعة والاستعمال، كذلك يتفاوت سعر الزوجة حسب القبح والجمال والغنى والفقير.

وقد كتب مشرعونا ذوو الشهامة والشفقة ما يقرب من اثنتي عشرة مادة حول سعر الزوجة، وفلسفتهم في ذلك ان النقود اذا لم تدخل في الموضوع فان حبل الزواج المتين سرعان ما يرتخي ثم ينقطع».

لوان قانون المهر قد جاء به الاجنبي، أكان سيرد أيضا هذا المقدار من التهم والافتراءات والنظرة المتحيزة؟ وهل النقود التي يهبها احدهما للآخر تعني انه يريد أنه يشتريه؟ فعلى هذا يجب ان تلغى عادة الهدية والهبة والعطية. ان مصدر قانون المهر الذي جاء في القانون المدني هو القرآن. والقرآن يصرح ان المهر لا عنوان له سوى الهدية والهبة. اضافة الى الاسلام قد صاغ قوانينه الاقتصادية بصورة لا تعطي للرجل الحق في ان يستثمر المرأة اقتصاديا. يوصف المهر حينئذ بأنه سعر للزوجة. يمكن ان تقولوا ان رجال ايران يفيدون — فعلا — من المرأة اقتصاديا وانا ايضا اعترف ان كثيرا من الرجال الايرانيين على هذه الصورة، ولكن ماعلاقة ذلك بالمهر، فالرجال لا يقولون لمادفعناه من مهر، يجب ان نتحكم في نساتنا، فتتحكم الرجل الايراني بالمرأة الايرانية له جذور أخرى. فلماذا تريدون تخريب قانون الفطرة وتزيدون في المفاسد بدلا من اصلاح المجتمع؟ وان لكم في كل هذه الاموال قصدا آخر — غير خاف على احد — هو ان الايراني والشرقي يجب ان ينسى نفسه وفلسفة حياته ومعايره الانسانية، و يتخذ لنفسه لونا وشكلا اجنبيين كي يسهل ابتلاعه.

تقول السيدة منوچهریان: «اذا كانت المرأة كالرجل اقتصاديا، فما الحاجة اذا لان تنفق عليها ونكسوها ونجعل لها مهرا. فكما ان مثل هذه الاحتياجات والضمانات لا ترد بخصوص الرجل، كذلك عندها لن ترد بخصوص المرأة».

لو اردنا ان نعم النظر جيدا في هذا الحديث لا تضح المعنى الحقيقي له كما

يلي:

في المراحل التي لم يكونوا يقرون فيها بحق التملك والاستقلال الاقتصادي

للمرأة يمكن تعليل وجود المهر والنفقة، ولكن اذا منحت المرأة، استقلالا اقتصاديا  
— كما حصل في الاسلام — فلا موجب حينئذ لوجود النفقة والمهر. انها تتصور ان  
فلسفة المهر منحصرة في اوصول النفود الى المرأة مقابل سلب حقوقها الاقتصادية.  
الم يكن من الافضل لها ان تراجع باختصار آيات القرآن الكريم وتتأمل قليلا في  
التعبيرات التي استعمالها للمهر فتدرك فلسفته الرئيسة وعندها ستفخر بما يتضمنه  
كتاب امها السماوي من منطق رفيع؟.

وكاتب الاربعين اقتراحا في العدد ٨٩ من مجلة «امرأة اليوم» صفحة  
٧١ بعد الاشارة الى الوضع البائس للمرأة في الجاهلية وخدمات الاسلام في هذا  
الباب، يكتب: «لما كانت المرأة والرجل قد خلقا متساويين فان بذل ثمن او  
اجرة من احدهما للآخر ليس له سبب معقول. فكما ان الرجل محتاج الى المرأة،  
كذلك المرأة محتاجة الى وجود الرجل وقد خلقها الرب محتاجين الى بعضهما، وهما  
في هذا الاحتياج متساويان مع بعضهما، وعليه فان الزام احدهما بدفع مال الى  
الآخر يفتقر الى التعليل. ولكن لما كان الطلاق بيد الرجل، وليس للمرأة ضمانته  
في حياتها المشتركة معه، فقد اعطي للمرأة — علاوة على مسألة الثقة بالزواج —  
حق المطالبة بوثيقة مالية من الرجل».

وفي صفحة ٧٢ يقول: «لو ان المادة ١١٣٣ من القانون المدني التي تقر  
ان: «للرجل في اي وقت يشاء ان يطلق زوجته» عدلت ولم يربط الطلاق بميل  
الرجل وهوسه، فسيفقد الصداق والمهر اساسا مبرر وجوده».

وما تحدثنا به لحد الآن يعني عن توضيح هذه المطالب اكثر، فقد وضع ان  
المهر ليس ثمننا أو اجرة، كما ان لوجوده سببا منطقيا، ووضع ايضا ان المرأة  
والرجل في احتياجهما لبعضهما غير متساويين، وان الخالق قد وضع كلا منهما في  
وضع يختلف عن الآخر.

والأوهى من كل مامر؛ القول بان المهر ضمانته مالية في مقابل اناطة  
حق الطلاق بالرجل، والادعاء بأن الاسلام اقر المهر من هذا المنطلق.

ولنسأل مثل هؤلاء الاشخاص: لماذا اعطى الاسلام حق الطلاق للرجل  
لكي يوجد الحاجة الى ضمانته مالية بيد المرأة، واكثر من هذا فان معنى هذا الكلام

هو مايلي: ان الرسول الاكرم (ص) قد جعل لنسائه مهرا لانه اراد ان يكون لهن عليه ضمانة مالية، وانه في زواج علي وفاطمة (ع) قد جعل لفاطمة (ع) مهرا من أجل ان تكون لها ضمانة مالية في مقابل علي (ع) و يطمئن قلبها. اذا كان الامر كذلك، فلماذا حث النبي الاكرم (ص) النساء على أن يهين مهورهن لازواجهن وذكر ان هذه الهبات ثوابا عظيما؟ واكثر من ذلك، لم حث على ان يكون مهر النساء قليلا؟ افلا يكون غرض نبي الاسلام أن هدية الرجل في الزواج باسم المهر وهبة المهرأومايعادله من قبل المرأة لزوجها مما يقوي عرى الالفة والمحبة في الزواج؟ واذا كان غرض الاسلام ان يكون المهر ضمانة مالية، فلم جاء في كتابه السماوي قوله تعالى: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة»، ولم يقل: «وآتوا النساء صدقاتهن ضمانة»؟

وعدا عن كل ذلك، فان الكاتب المذكور تصور ان عادة المهر في صدر الاسلام كانت على ما هي عليه اليوم، اذ مهر هذه الايام له جانب يتعلق بالذمة والعهد، اي ان الرجل يتعهد بمبلغ من المال طبق عقد أو سند ولا تطالب به المرأة عادة الا اذا حصل خلاف وشجار، هذا النوع من المهر يتخذ حقيقة صورة وثيقة الضمان. اما في صدر الاسلام فقد كان الرجل يدفع نقدا ما يتعهد به من مهر. ولهذا، فلا يمكن القول اطلاقا ان المهر من وجهة نظر الاسلام كان وثيقة تتسلمها المرأة.

ويرينا التاريخ ان الرسول الاكرم (ص) لم يكن يوافق باي وجه من الوجوه على ان يزوج امرأة من رجل بدون مهر. وقد وردت قصة باختلاف بسيط في كتب الشيعة والسنة على الوجه التالي:

- جاءت امرأة الى النبي الاكرم (ص) فوقفت بين الحاضرين وقالت:  
— يا رسول الله اتخذني زوجة.
- سكت الرسول الاكرم (ص) امام طلب المرأة، ولم يقل شيئا، وجلست المرأة في مكانها. فقام رجل من الصحابة وقال:  
— يا رسول الله، اذا لم تكن راغبا في ذلك، فانا لها.
- سأله الرسول الاكرم (ص) قائلا:  
• ماذا جعلت لها من مهر؟
- ليس عندي شيء

• لا يصح هكذا، اذهب الى دارك عسى ان تجد شيئاً تعطيه لها مهراً.  
 ذهب الرجل الى داره ثم عاد يقول:  
 — لم أجد في داري شيئاً.  
 • عد وفتش ثانية وحتى لو جئت بخاتم من حديد فهو كاف.  
 فذهب ثم عاد قائلاً: «لم أجد في داري حتى خاتم حديد وانني على استعداد لان اجعل ثوبي الذي البسه الآن مهراً لهذه المرأة.  
 فقال احد الصحابة وكان يعرف الرجل: يا رسول الله، والله ان هذا الرجل لا يملك ثوباً غيره. فاجعل نصف هذا الثوب مهراً للمرأة.  
 قال الرسول الاكرم (ص): اذا صار نصف الثوب مهراً للمرأة فايها يرتديه؟ وايها ارتداه، بقى الثاني بدون لباس، كلا لا يصح هكذا.  
 وجلس الخاطب في مكانه. وكانت المرأة تنتظر جالسة في مكانها. وجرى الحديث في مواضيع اخرى وطال. ونهض الرجل ليذهب فناداه الرسول (ص) قائلاً:

• اقترب.  
 • وعندما اقترب سأله الرسول (ص): هل تعرف شيئاً من القرآن؟  
 — بلى، يا رسول الله، اعرف كذا وكذا من السور.  
 • هل تستطيع القراءة عن حفظ؟  
 — بلى استطيع.  
 • حسناً، حلت المشكلة، اذا فقد زوجتك هذه المرأة ومهرها ان تعلمها القرآن فأخذ الرجل يد عروسه وخرج.  
 وفي باب المهر مطالب اخرى، لكنني اکتفي بهذا القدر.

## المهر والنفقة

(٣)

بيننا وجهة نظر الاسلام حول المهر وفلسفته. والآن جاء دور النفقة لنبحثها.

يجب ان نعلم أولاً ان في القوانين الاسلامية للنفقة — كما للمهر — وضعاً خاصاً لا يمكن النظر اليه كما ينظر الى ما وضع او يوضع من قوانين في العالم غير الاسلامي.

ولو كان الاسلام قد اعطى للرجل حق استخدام المرأة ثم مصادرة ماتحصل عليه من مال لقاء عملها، لكانت فلسفة انفاق الرجل على المرأة واضحة، اذ بديهي ان أي انسان يستخدم حيوانا او انسانا آخر ليفيد منه اقتصادياً، يتوجب عليه تأمين احتياجات ومتطلبات حياة ذلك المستخدم الحياتية. ولو لم يطعم الخوذي حصانه التبن والشعير، لما كان بإمكان الحصان ان يجر له العربة المحملة بالاثقال.

لكن الاسلام لا يرى للرجل مثل هذا الحق. بل اعطى المرأة الحق في ان تملك، وان تكسب المال، ولم يجعل للرجل حق التصرف في ثروتها بل اشترط على الرجل — في نفس الوقت — ان يؤمن مصرف العائلة، ونفقات الزوجة والاولاد والخادم والسكن ومختلف المصاريف. فلماذا كان ذلك؟ مما يؤسف له أن مقلدي الغرب عندنا غير مستعدين اطلاقاً للتفكير قليلاً في هذه الامور، بل غضوا الطرف، وتناولوا الانتقادات التي يوردها الغربيون حول نظمهم الحقوقية — وهي صحيحة طبعاً — وصاروا يوردونها بشأن نظام الحقوق الاسلامي.

وفي الواقع لو قال شخص ان نفقة المرأة في الغرب حتى القرن التاسع عشر

لم تكن شيئاً غير أجرة وشارة للعبودية، فقد أصاب، لان المرأة حين تكون مكلفة بإدارة الحياة الداخلية للرجل مجاناً ولا يكون لها حق التملك؛ فالنفقة التي تدفع لها هي من جنس الأجرة التي تدفع للاسير أو العلف الذي يوضع امام حيوانات جر الاثقال. اما اذا وجدنا في العالم قانوناً متميزاً يرفع عن كاهل المرأة عبء ادارة الحياة الداخلية للرجل كشرط واجب، ويمنحها حق كسب المال والاستقلال الاقتصادي الكامل، ويعفيها في الوقت ذاته من المشاركة في ميزانية الاسرة، فلا بد أنه قد اخذ بنظر الاعتبار فلسفة اخرى يجب التأمل في جوانبها.

### حجر المرأة الغربية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر

ورد في شرح القانون المدني الايراني مايلي:

«ان الاستقلال الذي تتمتع به المرأة في أموالها، والذي أقره فقه الشيعة منذ البداية لم يكن موجوداً في لوائح حقوق اليونان والرومان واليابانيين ولا حتى وقت قريب— في لوائح حقوق أغلب الدول، فالمرأة عندهم كالصغير والمجنون محجور عليها وممنوعة من التصرف في أموالها. ففي انكلترا— حيث كانت شخصية المرأة سابقاً ذائبة تماماً في شخصية زوجها— شرع قانونان الاول في عام ١٨٧٠م والثاني، في عام ١٨٨٢م باسم قانون ملكية المتزوجة رفع الحجر بمقتضاها عن المرأة. وفي ايطاليا كان قانون ١٩١٩م هو الذي اخرج المرأة من عداد المحجور عليهم. وفي قانون ألمانيا المدني لعام ١٩٠٠م وقانون سويسرا المدني لعام ١٩٠٧م أصبح للزوجة مثل حقوق زوجها. لكن المرأة المتزوجة في قانون حقوق البرتغال وفرنسا ما تزال في عداد المحجور عليهم. ويقال ان قانون ١٨ شباط ١٩٣٨م في فرنسا عدل حدود الحجر على المتزوجة»<sup>١</sup>.

وكما تلاحظون، لم يمض قرن واحد على صدور أول قانون استقلال مالي للزوجة مقابل الزوج «١٨٨٢م في انكلترا» في اوروبا اي ما يسمى برفع الحجر عنها.

### لماذا اعطت اوروبا المرأة الاستقلال المالي فجأة؟

والآن كيف وقعت هذه الحادثة المهمة قبل قرن؟ هل تارث المشاعر

١— بالفارسية «قانون مدني ايران». د. شايغان، ص ٣٦٧.

الانسانية لدى رجال اوروبا وادركوا ظلمهم السابق.

الجواب نسمعه من «ويل ديورانت». فقد خصص في (لذات الفلسفة) صفحة ١٥٨ بحثا تحت عنوان «الاسباب» يشرح فيه ما يسمى أسباب تحرير المرأة في اوروبا. وهنا نصطدم — للأسف — بحقيقة مفزعة؛ اذ يتضح ان المرأة الاوروبية في مقابل الحرية وحق الملكية يجب ان تشكر الآلة لا الانسان، ويجب ان تنحني تعظيما امام العجلات العظيمة للآلة لا أمام رجال اوروبا. فطمع اصحاب المعامل وحرصهم على كسب ارباح اكثر ودفع اجور اقل هو الذي دعاهم الى تشريع قانون الاستقلال الاقتصادي في البرلمان البريطاني.

يقول ويل ديورانت: «كيف نعلل هذا التحول السريع في العادات والتقاليد المحترمة والسابقة لتاريخ المسيحية؟ ان السبب لهذا التغيير الكلي هو وفرة وتعدد الآلات، اما «تحرير» المرأة فهوناتج عن الثورة الصناعية...»

• في انكلترا قبل قرن اصبح العثور على عمل صعبا على الرجال. والاعلانات كانت تطلب منهم ارسال نسايتهم وأطفالهم الى المعامل، فأصحاب الاعمال يجب ان يفكروا في الربح والاسهم و يجب ان لا يكدروا خواطرهم بأخلاق وعادات الحكومات، وان الاشخاص الذين تأمروا فجأة على سلامة البيت كانوا أصحاب المعامل الذين هم وطينو القرن التاسع عشر.

• في انجلترا كانت أول خطوة لتحرير جداتنا هي قانون ١٨٨٢م. بموجب هذا القانون أصبحت نساء بريطانيا العظمى من الآن فصاعدا تتمتع بميزة لم يسبق لها مثيل هي ان لمن الحق بالاحتفاظ بالنقود التي يكتسبها لا نفسها، هذا القانون الاخلاقي والمسيحي الرفيع قد وضعه اصحاب المعامل في مجلس العموم البريطاني من اجل ان يتمكنوا من اجتذاب نساء انكلترا الى المعامل، ومنذ ذلك العام وحتى عامنا هذا حرر الربح الذي لا يقاوم هؤلاء النساء من العبودية والعذاب داخل البيت ليصبحن رهن العبودية والعذاب في المتاجر والمعامل.»

وكما تلاحظون ان الرأسماليين واصحاب المعامل في انجلترا — ومن اجل المصالح المادية — قد خطوا هذه الخطوة في سبيل المرأة.

## القرآن والاستقلال الاقتصادي للمرأة

وضع الاسلام هذا القانون قبل الف وأربع مئة عام فقال:

«للرجال نصيب مما اكتسبوا، وللنساء نصيب مما اكتسبن»<sup>١</sup>.  
فالقرآن المجيد في هذه الآية الكريمة كما اعترف بحق الرجال في ثمرات  
اعمالهم ونشاطاتهم، كذلك اعتبر النساء ذوات حق في ثمرات اعمالهن  
ونشاطاتهن.

وجاء في آية اخرى:

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون، وللنساء نصيب مما ترك  
الوالدان والاقربون»<sup>٢</sup>.

هذه الآية تثبت للمرأة حق الارث. اما أن ترث المرأة أو لا ترث فأمر له  
تاريخ مفصل سنذكره فيما بعد ان شاء الله. اذ لم يكن عرب الجاهلية يسمحون  
للمرأة ان ترث. اما القرآن الكريم فقد ثبتت للمرأة هذا الحق.

### مقارنة

اذا فقد منح القرآن الكريم المرأة استقلالها الاقتصادي قبل اوروبا بثلاثة  
عشر قرناً، مع الاختلافات التالية:

**اولاً:** ان الدافع الذي حدا بالاسلام ان يمنح المرأة استقلالها الاقتصادي  
لم يكن سوى الجانب الانساني وحب العدالة الإلهية في الاسلام. اذ لم تكن وقتها  
اطماع اصحاب المعامل الانجليز الذين سنوا هذا القانون من أجل ملء بطونهم، ثم  
ملاؤا الدنيا ضجيجاً بقولهم: «اننا قد اعترفنا بحق المرأة وساوينا بينها وبين  
الرجل في الحقوق».

**ثانياً:** منح الاسلام المرأة استقلالها الاقتصادي، لكنه—حسب تعبير ويل  
ديورانت— لم يهدأ البيوت، ولم يزلزل اساس العائلة، ولم يحرض النساء والفتيات  
على التمرد على الازواج والآباء. فهو قد اوجد بهاتين الآيتين ثورة اجتماعية عظيمة،  
لكن يهدوء وبدون ضرر أو خطر.

**ثالثاً:** ان ما فعله عالم الغرب كان كما ذكر (ويل ديورانت) هو تحرير  
المرأة من العبودية والعذاب في البيت وجعلها رهينة العبودية والعذاب في المتجر

١ - النساء: ٣٢.

٢ - النساء: ٧.

والمعمل. اي ان اورو بافكت عن يدي المرأة وساقها قيدوا استبدلت به قيداً آخرلا  
يقبل عن الاول قساوة. اما الاسلام فقد حرر المرأة من استعباد الرجل في البيت  
والمزرعة وغير ذلك، وبالزام الرجل بتأمين ميزانية المجتمع الاسري؛ رفع عن كاهل  
المرأة كل إلزام حول تأمين مصروفاتها ومصروفات الاسرة.

ان الاسلام اعطى المرأة حقها في اكتساب الثروة وتنميتها كما تقتضيه  
الغريزة ولكن ليس بالشكل الذي يسمح لضرورات المعيشة ان تسلبها جمالها  
ولطافتها حيث ينبغي ان تتوفر عليها دائماً. ولكن ما العمل وعميون وآذان بعض  
كتابنا مغلقة عن الحقائق التاريخية والفلسفية المسلمة.

#### نقد ورد

السيدة منوچهریان في كتاب (انتقاد على قوانين ايران الاساسية  
والمدنية) صفحة ٣٧ كتبت مايلي:

«قانوننا المدني - من جهة - يلزم الرجل بالنفقة على زوجته، أي أن  
يهيئ اللباس، والطعام، والمسكن، فكما ان مالك الحصان والبغل ملزم بتوفير  
الطعام والمسكن لهما، كذلك يجب على مالك المرأة ان يضع في متناولها هذا الحد  
الادنى من المعيشة. ولكن - من جهة ثانية - لاندرى لماذا تقرر المادة  
«١١١٠» من القانون المدني عدم استحقاق المرأة للنفقة خلال عدة الوفاة بينما هي  
احوج ما تكون - والحال هذه - الى التسلية والملاطفة، ولا يجوز عند فقدها مالها  
أن تبقى رهينة المهم واضطراب الفكر. من الممكن ان تقولوا لي أنك انت التي  
تنادين بتحرير المرأة وتطالبين بمساواتها بالرجل في كل مكان، لماذا تريدن هنا  
أيضا أن تبقى المرأة امة واجيرة وتابعة للرجل وتنتظر ان تستمر هذه العبودية والاسر  
حتى بعد موته. ونحن نجيب بأنه طبقاً لفلسفة استعباد المرأة الذي شرع على أساسها  
هذا القانون، كان من الافضل لمالكي رقبة المرأة - على حد قول سعدي - ان  
يوصوا بالانفاق على المرأة بعد وفاتهم، وان يراعي القانون هذا الجانب كذلك».

ونحن نسأل الكاتبة:

أولاً: اي موضع من القانون المدني واي موضع من القانون الاسلامي (او  
كما تسميها فلسفة استعباد المرأة) استنبطت منه ان الرجل مالك المرأة، وان علة  
دفع النفقة من قبل الرجل هو تملك للمرأة؟ أي مالك هذا الذي لا يحق له ان

-يقول المملوك: ناولني كأس ماء؟ أي مالك هذا الذي يكون كسب مملوكه ملكا للمملوك لانه؟ اي مالك هذا الذي يحق للمملوكه كلما قدم له خدمة صغيرة - لو رضي المملوك بتقديمها - ان يطالبه بأجرة عليها؟ اي مالك هذا الذي لا يحق له ان يفرض على مملوكه أن يرضع - مجاناً - طفله الذي ولد في بيته؟

ثانياً: هل ان كل من يقبل نفقة شخص يصبح مملوكاً له؟ فن وجهة نظر الاسلام - وكل قوانين العالم - يعتبر إنفاق الأب والأم على اولادهما واجباً. فهل يعد هذا دليلاً على ان جميع قوانين العالم تعتبر الاولاد ممتلكات للأب؟ وفي الاسلام اذا كان الاب والام فقيرين فان نفقتها واجبة على الولد دون أن يفرض عليها ولدهما شيئاً، فهل يمكن ان نقول ان الاسلام يعتبر الآباء والامهات ممتلكات لاولادهم؟

ثالثاً: والاعجب من هذا كله قولها: لماذا لا تجب نفقة المرأة على زوجها في عدة وفاته في وقت هي أحوج ماتكون الى ماله؟! كأن الكاتبة الكريمة تعيش في اوروبا ما قبل مئة عام.

ملاك اعطاء النفقة للزوجة ليس حاجة الزوجة، فلولم يكن للمرأة في نظر الاسلام - في الفترة التي تحياها مع زوجها - حق الملكية، لكان هذا المطلب سليماً، اذ يختل وضعها بعد وفاة الزوج مباشرة، ولكن ما الداعي للقانون - الذي منح المرأة حق التملك وكانت النساء في ظله يحتفظن بأموالهن بسبب تأمين احتياجاتهن من قبل الازواج - الى ايجاب النفقة الى مدة ما بعد انحلال عرى الزوجية؟ النفقة هي حق حفظ عيش الزوجية جيلاً نظيفاً سالماً لكن لاداعي لاستمرار هذا الحق بعد خراب ذلك العيش.

### ثلاثة انواع من النفقة

توجد في الاسلام ثلاثة انواع من النفقة:

الاول: النفقة التي يجب ان يبذلها المالك للمملوك . فالمصروفات التي يبذلها مالك الحيوانات لها هي من هذا القبيل. ملاك هذا النوع من النفقة هو المالكية والمملوكية.

الثاني: النفقة التي يجب ان يبذلها المرء لأولاده اذا كانوا صغاراً أو فقراء، والتي يبذلها لابييه وامه اذا كانا فقيرين. ملاك هذا النوع من النفقة ليس المالكية

والمملوكية، وانما الحق الذي يحصل عليه الاولاد طبيعة من والديهم والحق الذي يكون للوالدين على اولادهم بحكم اشتراكهم في الاتيان بالولد الى هذه الدنيا وتحملهم المتاعب من أجله ايام طفولته. شرط هذا النوع من النفقة هو ضعف وفقر الشخص واجب النفقة.

**الثالث: النفقة التي يبذلها الرجل لزوجته.** ملاك هذا النوع من النفقة ليس المالكية والمملوكية ولا الحق الطبيعي بالمفهوم الذي ذكر في النوع الثاني، ولا عجز وضعف وفقر المرأة.

فلو فرضنا ان المرأة كانت مليونيرة وتمتتع بمورد مالي ضخم، والرجل قليل الثروة ضعيف المورد مع ذلك فالرجل هو الذي يجب ان يؤمن ميزانية الاسرة وبضمنها ميزانية المرأة الشخصية. وفرق آخريين هذا النوع من النفقة وبين النوعين الاولين وهو أن الشخص المنفق اذا اهل واجبه في النوعين الاولين ولم يعط النفقة فهو آثم لكن اهماله لواجبه لا يمكن صياغته بصورة دين مقابل المطالبة والاستيفاء، وبتعبير آخر ليس له جانب حقوقي. لكن في النوع الثالث اذا اهل الزوج واجبه ولم ينفق فللزوجة الحق في اقامة الدعوى عليه بشكل قضية حقوقية، وفي حال ثبوت التقصير، يلزم بتسليمها المال. اما ما هو ملاك هذا النوع من النفقة فهذا ما سنبحثه في الفصل القادم ان شاء الله.

### ألا تريد المرأة اليوم المهر والنفقة؟

قلنا انه — من وجهة نظر الاسلام — يجب على الرجل تأمين ميزانية المؤسسة الاسرية ومن جملتها المصاريف الشخصية للمرأة، وليس على المرأة اية مسؤولية من هذه الناحية. فلو فرضنا ان للمرأة ثروة ضخمة تزيد عدة اضعاف على ما يملكه الزوج، فليست ملزمة بالمشاركة في ميزانية الاسرة. ومشاركتها في الميزانية، سواء من حيث المال الذي تريد انفاقه او من حيث العمل الذي يحتاج الى نفقة، تابع لارادتها ورغبتها واختيارها.

من وجهة نظر الاسلام، بالرغم من ان مصاريف معيشة الزوجة تشكل جزءاً من ميزانية الاسرة وهي من واجبات الرجل. الا ان الرجل ليس له اي تسلط اقتصادي على المرأة ولا حق له في استثمار طاقتها وعملها، وليس له ان يستغلها فنفقة المرأة من هذه الناحية تشبه نفقة الوالدين من حيث تجب على الولد

في موارد خاصة، فلا يكون للولد— في مقابل هذا الواجب الذي يؤديه— ان يستخدم والديه.

### مراعاة جانب المرأة في الامور المالية

التزم الاسلام— بشكل لاسابقة له— جانب المرأة في الامور المالية والاقتصادية فهو من جهة قد منح المرأة الاستقلال والحرية الاقتصادية الكاملة وكف يد الرجل عن مالها وعملها، وأستعاد لها منه حق القيمة في معاملتها— والذي كان بيد الرجل في العالم القديم وفي اوربا حتى اوائل القرن العشرين—، ومن جهة أخرى ازال مسؤولية تامين ميزانية الاسرة عن كاهلها، وأراحها من السعي لتأمين المال اللازم لتامين ميزانية الاسرة.

لكن عباد الغرب حين ارادوا ان ينتقدوا هذا القانون باسم الدفاع عن المرأة لم يجدوا طريقة غير الكذب المفضوح والافتراء المضحك، قالوا: فلسفة النفقة هي أن الرجل يعتبر المرأة ملكه ويستغلها لخدمته. فكما ان مالك الحيوان مضطر لتأمين احتياجات حيواناته الضرورية كي تتمكن هذه الحيوانات من ان تؤمن له المركب وتنقل له الاحمال، كذلك قانون النفقة أوجب— بهذا القصد— توفير عيش الكفاف للمرأة.

فلو ان شخصا هاجم قانون الاسلام بعنوان انه بالغ في تدليل المرأة بينما قسا على الرجل وجعل منه خادما بالمجان للمرأة، لكان في اعتراضه مجال للاخذ والرد اكثر مما لواعترض على القانون باسم المرأة والدفاع عنها.

والحقيقة ان الاسلام لم يكن يريد ان يضع قانونا لمصلحة المرأة ضد الرجل ولا لمصلحة الرجل ضد المرأة. الاسلام لا يتحيز للمرأة ولا يتحيز للرجل. فهو في قوانينه انما اخذ بنظر الاعتبار سعادة الرجل والمرأة والاولاد الذين سيتربون في كنفها وبالنتيجة سعادة المجتمع الانساني. يرى الاسلام طريق السعادة للمرأة والرجل والاولاد والمجتمع الانساني في عدم تجاهل القواعد والقوانين الطبيعية والنظم التي وضعتها يد الخالق القدير المدبر.

وكما ذكرنا مرارا، فان الاسلام قد راعى في قوانينه قاعدة هي ان الرجل يمثل الاحتياج، والمرأة تمثل الاستغناء، هو يرى الرجل في صورة المشتري والمرأة في صورة صاحب البضاعة، والاسلام ينظر الى الرجل— في حياته الجنسية

والمشتركة مع زوجته - انه هو المستفيد، وانه يجب ان يتحمل النفقات ويجب ان لا تنسى المرأة والرجل أنها في مسألة الحب في نظر الطبيعة ذوا دورين متباينين. فالرابطة الزوجية حين تكون ثابتة قوية تكون ممتعة و يظهر كل من المرأة والرجل دوره الطبيعي فيها.

والسبب الآخر لوضع نفقة الزوجة بمهدة الزوج هو ان الطبيعة وضعت على عاتق المرأة مسؤولية تعب ومعاناة عملية انتاج النسل، اذ ان مسؤولية الرجل من حيث الطبيعة في هذا الجانب ليست الا عملا ملذا آتيا، والمرأة هي التي تعاني من مصاعب وآلام الدورة الشهرية (الحيض) عدا امراض الطفولة والكهولة وثقل الحمل واعراضه وصعوبة الولادة وعوارضها. وارضاع الطفل ورعايته. فهذا كله مما يرهق قوتها البدنية، ويضعف قدرتها على العمل والكسب، ولهذا فان القانون اذا عامل المرأة والرجل على حد سواء في تأمين ميزانية المعيشة ولم يراع المرأة؛ تصبح المرأة مستعبدة، ولذا نرى في الاحياء التي تعيش بشكل زوجي ان الذكر يقوم بالدفاع عن الانثى في فترة التكاثر ويساعد في تهيئة الغذاء. واضافة الى ان المرأة والرجل لم يخلقا متشابهين من حيث طاقة العمل والنشاط العنيف في مجال الانتاج. فلو ان الرجل تصرف كأجنبي وأمتنع عن الانفاق على زوجته عناداً فستعجز المرأة عن الصمود والثبات.

والاهم من كل ما ذكرنا: هو ان حاجة المرأة الى المال والثروة اكثر من حاجة الرجل، فالزينة جزء من حياة المرأة ومن حاجاتها الاساسية، وان ما تنفقه على زينتها وجمالها ومظهرها يعادل ما ينفقه عدة رجال. والميل الى الزينة ادى بالمرأة بدوره الى ان تميل الى التنوع والتفنن، فبالنسبة للرجل تبقى بدلته مناسبة للارتداء في نظره مادامت لم تبل. ولكن هل هذا هو حال المرأة؟ انها تستفيد من البدلة مادامت تبدو جديدة، وهي لا تستعمل البدلة او اية مادة للزينة والتجميل اكثر من مرة واحدة. ان قدرة المرأة وسعيها من اجل كسب المال اقل من الرجل، لكن انفاقها المال اكثر من انفاق الرجل له بمراتب.

أضف الى ذلك أن المرأة تظل هي المرأة، اي ان دوام جمالها ونشاطها وكبرياءها تتطلب رفاها اكثر وجهداً اقل وراحة نفسية اكبر. فلواضطرت المرأة، لان تكون مثل الرجل في الكد والسعي والركض وراء المال، فسيجرح كبرياؤها، وتعلو جبينها الاخاديد والتجاعيد التي تلو وجه الرجل في العادة، وكثيرا ما نسمع

ان النساء الغربيات اللواتي يعشن تعاسة المعامل والمتاجر والدوائر من اجل لقمة العيش، يتمنين الفوز بحياة المرأة الشرقية. وبديهي ان المرأة الفاقدة لراحة الذهن لن تجد فرصة العناية بنفسها أو تكون مصدر سرور الرجل وبهجتة.

فان اعفاء المرأة من السعي الاجباري - المنهك لقواها - من اجل لقمة العيش ليس في مصلحتها فقط، بل هو في مصلحة الرجل والمؤسسة الاسرية أيضا. والرجل يتمنى ايضا ان تكون مؤسسة الاسرة بالنسبة اليه مؤسسة راحة واستقرار بعد التعب، ومكانا ينسى فيه مشكلات العمل. والمرأة قادرة على ان تجعل من المؤسسة البيئية محلا للراحة ونسيان مشكلات العمل، حين لا تكون متعبة كالرجل اثر العمل في الخارج. و ياله من مسكين ذلك الذي يضع قدمه في البيت متعبا مكدودا لتواجهه زوجة أكثر منه تعباً وكدا. لهذا فراحة الزوجة وسلامتها ونشاطها وصفاء ذهنها لها قيمة كبيرة أيضا بالنسبة للرجل.

والسر الذي يكمن وراء استعداد الرجل لكسب النقود بالعمل المضني، ثم تقديمها بكلتا اليدين الى زوجته لتتنق عن سعة هنا وهناك هو ان الرجل يكون قد ادرك حاجته الروحية الى الزوجة، ادرك ان الله عزوجل قد جعلها مصدر الراحة وسكون الروح «وجعل منها زوجها ليسكن اليها». أدرك انه كلما هيا موجبات راحة زوجته واستقرارها، فقد هيا اسباب السعادة لنفسه بشكل غير مباشر، وزاد في رونق بيته... أدرك أنه يجب ان يكون احد الزوجين على الاقل غير متعب ولا مرهق كي يتيسر له أن يوفر الهدوء لروح الآخر. وعلى اساس هذا التقسيم ليس افضل من ان يكون الرجل هو الذي يدخل معركة الحياة، وليس افضل للمرأة من ان تكون هي باعث هدوء روح زوجها.

خلقت المرأة محتاجة ماديا الى الرجل والرجل محتاجا اليها روحيا. المرأة لا تستطيع - بدون الاعتماد على الرجل - أن تسد حاجاتها المادية المتشعبة والتي تعادل أضعاف حاجات الرجل، وفي هذا الجواب عين لها الاسلام نفطة اعتمادها الا وهي زوجها القاتوني «وزوجها القاتوني فقط».

والمرأة اذا ما ارادت ان تحيا كما يحلوها، والا تعتمد في ذلك على زوجها القاتوني، فستعتمد على رجال غيره، وهذا الوضع له - مع الاسف - نماذج كثيرة وأخذة بالازدياد ايضا.

## لماذا التنديد بالنفقة؟

لقد ادرك الرجال المتصيدون هذه النقطة، ومن اسباب التنديد بوجوب انفاق الرجل على المرأة هي ان المرأة كثيرة الاحتياج للمال فاذا اعتمدت في ذلك على الزوج ثم انقطعت عنها النفقة بعد ذلك فستقع في حبال المتصيدين بسهولة. ولو دققتم في سبب منح النساء رواتب ضخمة في مؤسسات العمل لفهمتم ما أرمي اليه. فلا تشكوا في حقيقة ان فكرة الغاء النفقة ستؤدي حتما الى ازدياد الفحشاء. اذ كيف يمكن للمرأة التي يعزل حسابها عن الرجل ان تحيا كما تقتضي طبيعتها؟

و اذا اردتم الحق، فان فكرة الغاء النفقة قد شجعها ايضا الرجال الذين ضاقوا ذرعا باسراف النساء بوسائل الزينة و مواد التجميل، فهم يريدون أن يثاروا من الزوجات المبهذرات المتبرجات بأيدي نفس النساء باسم التحرر والمساواة. (ويل ديورانت) في كتابه (لذات الفلسفة) في تعريفه للزواج الحديث بأنه: «زواج قانوني مع منع حمل قانوني وحق طلاق برضا الطرفين وعدم وجود الطفل والنفقة»، يقول: «ستكون العابدات للزينة والتجميل من الطبقة الوسطى من النساء سبا عاجلا لانتقام الرجل الكادح من كل النساء وسيغير الزواج بشكل لا تبقى هناك نساء عاطلات لا هم هن سوى التجميل واثقال ميزانية البيت، وسيطلب الرجال من زوجاتهم ان يقمن بتأمين مصاريفهن بأنفسهن. ويفرض زواج الصداقة (الزواج الجديد) على المرأة ان تعمل الى ان تصبح حاملا، وهنا نقطة مهمة ستكون عاملا في اكمال تحرر المرأة، تلك هي ان المرأة من الآن فصاعدا ستكون المسؤولة عن تأمين مصاريفها من البداية الى النهاية. ان النتائج القاسية للثورة الصناعية (فما يخص المرأة) قد بدأت بالظهور. فالمرأة يجب ان تعمل في المصنع الى جانب زوجها، وهي بدلا من ان تجلس لوحدها في البيت وتجبر الرجل على العمل المضاعف من أجل تفادي بطالتها، يجب عليها الآن أن تشاركه في العمل والاجور والحقوق والواجبات».

وهنا يضيف بسخرية: «وهذا هو معنى حرية المرأة»!

## الحكومة بدل الزوج

ان كون الواجبات الطبيعية للمرأة في انجاب الاطفال تحم ان يكون للمرأة نقطة ارتكاز من الناحية المالية والاقتصادية، أمر لا يمكن انكاره. في اوروبا اليوم أفراد وصل بهم الامر في الدعوة الى تحرر المرأة حذاً اصبحوا ينادون بالعودة الى مرحلة (سلطة الام) وطرد الاب من العائلة. في نظر هؤلاء، انه باستقلال المرأة استقلالاً اقتصادياً كاملاً وتساويها بالرجل في جميع الامور سيكون الاب في المستقبل عضواً زائداً، ويجب ان يحدف من الاسرة الى الابد.

وفي نفس الوقت يدعو هؤلاء الافراد الحكومة الى ان تحل محل الاب وتمنح النساء - اللاتي لم يكنّ مستعدات مطلقاً لتشكيل الاسرة بمفردهن والقيام بجميع المسؤوليات - نقوداً، ومساعدتهن كي لا يمتنعن عن الحمل فينقطع نسل المجتمع. اي ان الزوجة التي كانت في السابق مستهلكة لنفقة الرجل - وعلى حد تعبير المعارضين مملوكة - ستلقى من الآن فصاعداً النفقة من الحكومة وتصبح مملوكة لها. وتنتقل واجبات وحقوق الاب الى الدولة. اتمنى لو أن الافراد الذين رفعوا المول ليهدموا بطريقة عشوائية مؤسسة الاسرة المقدسة التي قامت على اساس القوانين السماوية المقدسة، اتمنى لو انهم كانوا قد فكروا في عواقب تصرفهم هذا ونظروا الى المدى الابعد من الحاضر.

في كتاب (الزواج والاخلاق) خصص (برتراند راسل) فصلاً تحت عنوان الاسرة والدولة، وهنا بعد الاشارة الى بعض انجازات الدولة في التواحي الثقافية والصحية للاطفال - يقول: «يظهر انه سوف لن يمر وقت طويل حتى يفقد الاب مقتضيات وجوده البيولوجي... وهناك عامل آخر مؤثر في طرد الاب هو ميل النساء الى الاستقلال المادي، فالنساء اللاتي يشتركن غالباً في التصويت من الآنسات، ومشكلات النساء المتزوجات اليوم اكثر من مشاكل الآنسات، ومع وجود مميزات قانونية منافسة في الاعمال، تتأخر المتزوجات في الحصول على العمل... وعلى المتزوجات سلوك احد طريقين للحفاظ على استقلالهن الاقتصادي:

**الاول:** ان يبقين في اعمالهن، وهذا يستلزم ان يتركن أطفالهن في دور الحضانة مقابل اجر، مما يسبب في توسع وازدياد دور الحضانة ورياض الاطفال زيادة كبيرة ويؤدي -منطقيًا- الى ان الطفل -من وجهة النظر النفسية- لن يكون له اب ولا أم.

**الثاني:** ان توفر للمتزوجات الشابات مساعدة مالية لكي يتفرغن لرعاية أطفالهن.

والطريق الثاني وحده لا يكفي، اذ يجب ان يقترن بقرار قانوني يقضي باستخدام الام في عملها مجددًا بعد ان يبلغ طفلها سنا معينة، لكن هذه الطريقة تتميز بانها تمكن الام من تربية طفلها بنفسها دون ان تخضع للاحتياج المهين الى الرجل.

وعلى فرض تشريع مثل هذا القانون، يجب كذلك ان نتوقع تأثيراته على اخلاق العائلة. ومن الممكن ان يقرر القانون عدم اعطاء مساعدة للام ذات الطفل غير الشرعي، او يقرر ان المساعدة ستسلم الى الاب في حالة وجود أدلة على زنا الام، وفي هذه الحالة سيكون من واجب الشرطة المحلية ان تراقب سلوك المتزوجات، لكن نتائج هذا القانون لن تكون فعالة بينما قد تنطوي على خطر عدم رضا موجدي هذا التكامل الاخلاقي، وفي النتيجة، يمكن ان نحتمل توقف تدخل الشرطة في ذلك وعندها ستتمتع حتى الامهات غير الشرعيات بالمساعدة المالية وينتهي كليا الدور الاقتصادي للاب في طبقة العمال، وتصبح منزلة الاب عند الاولاد كمنزلة الكلاب والقطط... ان المدنية او على الاقل المدنية الآخذة بالتوسع الان تميل الى اضعاف مشاعر الامومة.

ومن اجل المحافظة على المدنية الاكمل يحتمل ان تعطى النساء من اجل الحمل مقدارا من النقود لاقناعهن بقبوله. وفي هذه الحالة لا يلزم حتما ان جميع النساء او أكثرهن يخرن عمل الامومة. فهو عمل كباقي الاعمال ستستقبله النساء بجديّة واهتمام. وعلى كل حال، فجميع ما ذكر فرضيات لا اكثر والهدف من القول ان نهضة النساء ستؤدي الى زوال سلطة الاب التي كانت منذ ما قبل التاريخ تمثل انتصار الرجل على المرأة. وحلول الدولة محل الاب في الدولة الغربية والذي نواجهه الآن يعد تقدما».

ان الغاء نفقة المرأة، او كما يسميه هؤلاء السادة الاستقلال المادي للنساء

—طبقا للاقوال السابقة— ستكون له النتائج والآثار التالية:

ان زوال سلطة الاب من الاسرة او على الاقل زوال اهميته والعودة الى مرحلة سلطة الام، وحلول الدولة محل الاب وتسلم الامهات المساعدة والنفقة من الدولة بدلا من الاب، سيضعف مشاعر الامومة ويخرجها من صورتها العاطفية الى صورة الشغل والكسب.

وبديهي ان نتيجة كل ذلك هو الانهيار الكامل للأسرة الذي يؤدي قطعا الى انهيار الانسانية. كل شيء يمكن ان يصحح مستقبلا لكننا سنتفقد شيئا مهما هو السعادة والسرور والتمتع باللذات المعنوية الخاصة بالمؤسسة العائلية.

وعلى كل حال، فان انصار الاستقلال والتحرير الكامل للمرأة وطرد الاب من محيط الاسرة، يرون أيضا ان الواجب الطبيعي للمرأة في انجاب الاطفال يستلزم حقا ومساعدة واحيانا اجرة يجب — في نظرهم — ان تدفعها الدولة بخلاف الرجل الذي لا يوجب عمله الطبيعي حقا.

وفي قوانين العمل العالمية يمنح العامل في اقل الحالات اجرة يحسب فيها حساب الزوجة والاطفال، اي ان قوانين العمل العالمية تعترف بحق النفقة للمرأة والاولاد.

### هل اهانته لائحة حقوق الانسان المرأة؟

جاء في المادة ٢٣ البند ٣ من لائحة حقوق الانسان: (كل شخص عامل له الحق في الحصول على اجر منصف ومرض يؤمن له ولعائلته عيشا انسانيا). وفي المادة ٢٥، بند ١ ينص على أن: (كل شخص الحق في تأمين مستوى معيشته وسلامة ورفاه نفسه و أسرته من حيث الطعام والمسكن والخدمات الطبية والاجتماعية اللازمة).

في هاتين المادتين تأيد ضمنا ان كل رجل يشكل أسرة يجب ان يتحمل نفقات زوجته واطفاله، وان نفقات هؤلاء تعد من نفقاته الضرورية واللازمة. ولائحة حقوق الانسان مع انها تصرح بأن للمرأة والرجل حقوقا متساوية، الا انها لم تعتبر اعطاء الرجل النفقة للمرأة منافيا لتساوي حقوق المرأة والرجل. وعلى هذا فالاشخاص الذين يعترفون بلائحة حقوق الانسان و يستندون بذلك الى مصادقة المجلسين عليها، يجب ان يتلقوا مسألة النفقة على انها مسألة

نهائية. فهل سيجزع عباد الغرب - الذين يطلقون اسم الرجعية والتأخر على كل ماله لون إسلامي - لانفسهم أيضا أن يستهينوا بقدمية لائحة حقوق الانسان ويعتبروها من آثار مالكية الرجل ومملوكية المرأة؟ وأكثر من ذلك فان لائحة حقوق الانسان تذكر في المادة الخامسة والعشرين أن: (لكل شخص الحق - في حال البطالة أو المرض أو نقص الاعضاء أو الترمل، أو الشيخوخة، أو جميع الحالات التي يستحيل فيها تهيئة وسائل العيش - ان يتمتع بشروط الحياة الكريمة). فهذه اللائحة - اضافة الى اعتبارها فقدان الزوج فقداننا لوسيلة العيش - قد ذكرت الترمل الى جانب البطالة والمرض ونقص الاعضاء. اي انها ذكرت النساء (الارامل) في صف العاطلين والمرضى والشيخ وناقصي الاعضاء. أفليس في هذا اهانة كبرى للمرأة؟ لاشك ان مثل هذا التعبير لو ورد في الكتب او الكراسيات القانونية للبلدان الشرقية لتعالت صيحات الاعتراض ووصلت الى عنان السماء، كما حدث بالنسبة لما ورد في بعض القوانين الايرانية.

لكن الانسان الذي ينظر بعين الواقع ولا يتأثر بالضجيج والزعيق و يدقق النظر في جميع جوانب المسألة يعلم ان لاقانون الخلقة (الذي جعل الرجل وسيلة من وسائل معيشة المرأة، ولا لائحة حقوق الانسان. التي اعتبرت (الترمل) فقداننا لوسيلة العيش، ولا القانون الاسلامي الذي اعتبر المرأة واجبة النفقة على الرجل)، قد اهان المرأة لان هذا احد جوانب القضية وهو ان المرأة خلقت محتاجة الى الرجل ويعتبر الرجل ركيزة للمرأة.

ان قانون الخلقة - من اجل ان يربط المرأة والرجل اكثر ببعضهما، ومن أجل ان يحكم بناء المؤسسة الاسرية التي هي الدعامة الاساسية لسعادة الانسانية - خلق المرأة والرجل محتاجين لبعضهما. فاذا كان قد جعل الرجل المرتكز المالي للمرأة فقد جعل المرأة المرتكز الروحي والرفاهي للرجل. هذا الاحتياج المتباين قرب بينها اكثر وزاد في اتحادهما.

---

## الفصل التاسع

### مسألة الإرث

\_\_\_\_\_

## مسألة الإرث

كان العالم القديم اما ألا يورث المرأة اويعاملها في الارث كالصغير. اي لم يكن يمنحها استقلالاً مالياً او شخصية حقوقية. وفي بعض القوانين القديمة للعالم كانوا اذا ورثوا الفتاة، لم يورثوا اولادها، بخلاف القتي الذي يمكن له ان يرث كما يمكن لاولاده ان يرثوا من مال جدهم، وفي بعض القوانين الاخرى في العالم آنذاك حين كانوا يورثون المرأة كما يورثون الرجل، لم يكن ارثها حصة مفروضة وبتعبير القرآن «نصيباً مفروضاً» وانما كان على شكل حق للمورث في ان يوصي لابنته بنصيب اذا شاء ذلك. ان لارث المرأة تاريخاً طويلاً فقد وضع المحققون والعارفون بحوثاً كثيرة وكتابات مستفيضة في هذا الباب لا أرى لزوماً لنقلها حيث لخصناها بما مر آنفاً.

## أسباب حرمان المرأة من الارث

كان السبب الاساس لحرمان المرأة من الارث هو منع انتقال الثروة من عائلة الى أخرى. فطبقاً للعقائد القديمة، يعتبر دور الام في ايجاد الطفل دوراً ضعيفاً، وان الامهات اوعية لاغير تنمو في داخلها نطف الرجال ليوجد الولد، ومن هذا المنطلق يعتقدون ان احفاد الرجل (اولاد اولاده) اولاد له وجزء من اسرته، واما أسباطه (اولاد بناته) فليسوا من ذريته ولا جزءاً من اسرته، بل هم جزء من عائلة أبيهم. وعلى هذا فان الفتاة اذا ورثت ثم انتقل هذا الارث منها الى اولادها كان هذا انتقالاً لثروة عائلة الى عائلة اخرى غريبة.

جاء في كتاب «ارث در حقوق مدني ايران» اي (الارت في الحقوق المدنية الايرانية) تأليف المرحوم الدكتور موسى العميد صفحة ٨: (في المراحل القديمة، كان الدين يشكل اساس العائلة لا صلة الرحم الطبيعية)، ثم يقول: «كانت الرئاسة الدينية في الاسرة (سلطة الاب) بيد جد الاسرة، وبعد وفاته ينتقل اجراء المراسم والتشريفات الدينية للعائلة فقط بوساطة الاولاد الذكور من جيل الى جيل، والقدماء يعتبرون الرجال وسيلة لإبقاء النسل فقط. ولما كان أبو العائلة واهب الحياة لابنه فان العقائد والرسوم الدينية هي للأب. وحق حفظ النار وقراءة الادعية الدينية المخصصة تنتقل منه اليه، وجاء في كتب القوانين الهندية والقوانين اليونانية والرومانية ان قوة الانتاج مقصورة على الرجال، ونتيجة لهذه العقيدة القديمة فقد اصحت الاديان مقصورة على الرجال. اما النساء — بدون وساطة الاب او الزوج — فلم يكن لمن أي دخل في امور الدين... ولاهنّ لم يكنّ يسهمن في المراسم الدينية؛ فقد كن محرومات من سائر المزايا العائلية. وعندما شرع قانون الارث بعد ذلك حرمت النساء منه ايضا». لكن لحرمان المرأة من الارث اسبابا اخرى، من جعلها ضعف القدرة القتالية للمرأة. فحيث كان التقييم على اساس البطولات وكان المقاتل يعد بمئة الف من غير المقاتلين، حرمت المرأة من الارث بسبب عجزها عن القيام بالعمليات الدفاعية والقتالية.

وقد كان عرب الجاهلية يرفضون توريث المرأة على هذا الاساس، ولو وجد رجل في الارث ولو في الدرجات التالية للمرأة، لم تحصل المرأة على الارث، فعند نزول آية الارث وتصريحها أن: «للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا» عجب العرب لذلك. واتفق في ذلك الوقت ان حسان بن ثابت شاعر العرب المعروف توفي عن زوجة وعدد من البنات. فقام اولاد عمه بالاستيلاء على جميع املاكه ولم يتركوا شيئا لزوجته وبناته. فشكتهم زوجته الى رسول الله (ص). فأحضرهم رسول الله (ص). فقالوا: ان المرأة لا تحمل السلاح ولا تقاتل العدو، انما نحن الذين نمسك السيف وندافع عن انفسنا وعن هذه المرأة. لذا فالمال يجب ان يكون للرجال. لكن رسول الله (ص) ابلغهم حكم الله تعالى.

### ارث الابن المتبنى

كان اعراب الجاهلية يتبنون ولدا و يورثونه كما يرث الابن الحقيقي .  
وعادة تبني الابناء كانت موجودة لدى شعوب اخرى منها ايران والرومان القدماء .  
وطبقا لهذه العادة، كان الابن المتبنى بسبب كونه ذكرا، يتمتع بمزايا لم تكن تتمتع  
بها البنات الصليبيات . فن جملة ميزات الابن المتبنى ان يرث، وكذلك يمنع زواج  
الشخص من زوجة ابنه المتبنى بعده . وقد الغى القرآن الكريم هذه العادة .

### ارث ضامن العهد (ضامن الجريرة)

كانت للعرب عادة اخرى في الارث الغاها القرآن الكريم أيضا هي  
توريث ضامن العهد، اذ كان الرجلان الغريبان عن بعضهما يعقدان بينهما حلفا  
يقول احدهما: «دمك دمي، وثأرك ثأري، وحربك حربي، وسلمك سلمي وترثني  
وأرثك» فيقول الآخر (قبلت) . وبموجب هذا الحلف، يقوم هذان الرجلان  
الغريبان في اثناء مدة حياتها بالدفاع عن بعضهما فاذا مات احدهما ورثه الآخر .

### المرأة جزء من الارث

كان العرب احيانا يعتبرون زوجة الميت جزءاً من امواله وممتلكاته  
ويتعاملون معها على أنها جزء من الارث . فاذا كان للميت ابن من امراة اخرى  
فانه يستطيع بالقاء ثوبه على زوجة ابيه ان يعتبرها ملكاله . ثم يقوم حسب رغبته  
اما بالزواج منها او بتزويجها من شخص آخر واخذ مهرها . هذه العادة لم تكن  
مقتصرة على العرب وقد نسخها القرآن .

وفي القوانين القديمة للهند واليابان والرومان واليونان وايران امور كثيرة  
غير جائزة في مسألة الارث ولو اردنا نقل ما ذكره المطلعون من تلك لاستغرق عدة  
مقالات .

## ارث المرأة في ايران ساسان

كتب المرحوم سعيد نفيسي في كتابه « تاريخ اجتماعي ايران از زمان ساسانيان تا انقراض امويان» اي (التاريخ الاجتماعي لايران منذ عهد الساسانيين الى انقراض الامويين) في الصفحة ٤٢ مايلي: « كانت في باب تشكيل الاسرة مسألة طريفة اخرى في الحضارة الساسانية، ذلك ان الابن حين يبلغ سن الرشد يقوم الاب بتزويجه من احدى نساته هو. وهناك مسألة اخرى هي ان المرأة في الحضارة الساسانية لم تكن لها شخصية حقوقية وكانت للاب والزوج صلاحيات واسعة جدا في التصرف بأموالها. وحين كانت البنت تبلغ الخامسة عشرة من عمرها ويكتمل رشدها، كان من واجب الاب اورئيس الاسرة ان يزوجه، اما سن زواج الفتى فكانت عشرين عاما، وكانت موافقة الاب شرطا في الزواج، وكانت الفتاة التي تتزوج لا ترث أبها أو كافلها الاول، كما لم يكن لها الحق في اختيار الزوج، اما اذا قصر الاب في تزويجها عند البلوغ، فيكون من حقها ان تبادرالى الزواج غيرالمشروع، وفي هذه الحالة لا ترث ابها.

لم يكن عدد النساء اللاتي يسمح للرجل بالزواج منهن محدودا، وقد وجد في الوثائق اليونانية ان رجلا كان يحتفظ في بيته بمئات من النساء، اصول الزواج في العهد الساساني — كما ورد في الكتب الدينية الزرادشيتية — معقدة جدا ومتشابهة لكن الرائج منها كان خمسة انواع:

- ١ — المرأة التي تتزوج برضا الاب والام وتلد اولادا يعتبرون اولادها في الدنيا والآخرة وتسمى (بادشاه زن)<sup>١</sup>.
- ٢ — المرأة التي تكون وحيدة أبوها ويسمونها (اولك زن)<sup>٢</sup> تهب طفلها الاول لابوها ليكون عوضا عن ابنتهم التي تركت البيت وتزوجت، وتسمى عندها (بادشاه زن) أيضا.
- ٣ — اذا بلغ الولد سن الرشد فمات أعزب قام اهله بتجهيز امرأة غريبة

١ — اي (الملكة).

٢ — اي المرأة الفريدة التي لا نظير لها، او المرأة الوحيدة.

وتزويجها من رجل غريب نيابة عن ولدهم وتسمى هذه المرأة (المرأة المدعاة) وما تلد من اولاد فنصفهم للزوج المتوفى يكونون اولاده في الآخرة والنصف الثاني للزوج الحي.

٤ - الارملة التي تتزوج للمرة الثانية تدعى (جفرزن)<sup>٣</sup> واذا لم تنجب من زوجها الاول سميت (سدرزن)<sup>١</sup>.

٥ - المرأة التي تتزوج بدون رضا والديها تعد احظ نوع من النساء وتدعى (خود سراي زن)<sup>٥</sup> ولا تترث ابوها. الا اذا بلغ ابنها سن الرشد وعقد لها مجددا بصفة (أوك زن)<sup>٦</sup>.

### سهم المرأة من الارث من وجهة نظر الاسلام

في قوانين الاسلام لا يوجد في باب الارث اي من هذه التعقيدات التي ذكرت. اما الشيء الذي ينتقده المنادون بحق المساواة، في القانون الاسلامي: هو كون سهم المرأة معادلا لنصف سهم الرجل من الارث. فمن وجهة نظر الاسلام، يرث الولد ضعف ما ترثه البنت، ويرث الاخ ضعف ما ترثه الاخت، ويرث الزوج ضعف ما ترثه الزوجة، الامع الابوين فانه حين يتوفى رجل وله اولاد ويكون والداه على قيد الحياة، فان كلا منها يرث سدس ماتركه الميت.

وسبب تحديد الاسلام لسهم المرأة في الارث بنصف سهم الرجل هو الوضع الخاص للمرأة من حيث المهر والنفقة والجنديّة وبعض القوانين الجزائية، اي ان الوضع الخاص بالمرأة من حيث الارث انما هو نتيجة للوضع الخاص الذي تتمتع به المرأة في المهر والنفقة والامور الاخرى.

ان الاسلام - بموجب الاسباب التي ذكرناها في المقالات السابقة - يرى المهر والنفقة امورا مهمة ومؤثرة في إحكام عرى الزواج وتأمين رفاه الاسرة واجباد الوحدة بين الزوجين، وان الغاء المهر والنفقة وعلى الاخص النفقة - من وجهة نظر الاسلام - يؤدي الى تنزّل اساس الاسرة وجرح المرأة الى الفحشاء. ولان الاسلام

٣ - اي الخادمة.

٤ - اي زوجة الشخص اسميا فقط.

٥ - اي التي لا تستشير احدا في امورها.

٦ - سبق تعريف مثل هذه المرأة وشروط العقد المترتبة عليها في البند الثاني من هذا الموضوع، المصحح.

يرى المهر والنفقة شرطا في العقد فقد رفعها عن كاهل المرأة وفرضها على ميزانية الرجل، فهو يريد هنا ان يجبر هذا الفرض عن طريق الارث فجعل سهم الرجل ضعف سهم المرأة، اذاً فالمهر والنفقة هما اللذان أديا الى تقليل سهم المرأة في الارث.

### اعتراض عُباد الغرب

بعض عتاد الغرب حين يتحدثون عن العدالة و يتخذون من موضوع نقص سهم المرأة في الارث وسيلة للتنديد بالاسلام، يطرحون مسألة المهر والنفقة فيقولون ما الذي يدعوننا الى ان نجعل سهم المرأة في الارث اقل من سهم الرجل ثم نجبر النقص بالمهر والنفقة؟ لماذا نلف وندور في الاعمال ونريد ان نضع اللقمة في الفم من خلف العنق؟! فلنساو بين سهم المرأة والرجل في الميراث ثم لانضطر الى جبران هذا النقص بالمهر والنفقة.

اولاً: ان هذا من قبيل القول بان الميراث اشفق من الام. لقد وضعوا العلة بدل المعلول والمعلول مكان العلة. انهم تصوروا ان المهر والنفقة هما نتيجة لوضع المرأة الخاص في الارث وغفلوا عن أن الوضع الخاص للمرأة في الارث هو نتيجة المهر والنفقة.

ثانياً: انهم ظنوا ان المسألة هنا هي مسألة مالية واقتصادية صرفة. بديهي أنه لو كانت المسألة ذات جانب اقتصادي محض لما كان هناك سبب لوضع المهر والنفقة ولا لتقليل سهم المرأة في الارث. فكما قلنا في المقالات السابقة ان الاسلام قد اخذ في نظر الاعتار جوانب متعددة لهذه المسألة منها طبيعية ومنها نفسية. فن ناحية نظر الى احتياجات ومشاكل المرأة الكثيرة فيما يخص انجاب الاطفال في الوقت الذي يكون الرجل فيه متحرراً من ذلك. ومن ناحية ثانية قدرتها التي تقل عن قدرة الرجل في الانتاج واكتساب المال. ومن ناحية ثالثة فان انفاق المرأة للمال اكثر من انفاق الرجل له، بالاضافة الى الملاحظات النفسية والروحية المتعلقة بكل من المرأة والرجل. وبتعبير آخر ما يرتبط بعلم نفس المرأة والرجل، وان الرجل يجب ان يمثل دور المنفق بالنسبة للمرأة واخيراً هناك ملاحظات دقيقة نفسية واجتماعية ضرورية لإحكام العلاقة العائلية، فالاسلام قد أخذ كل هذه الامور بنظر الاعتبار وقرر ضرورة وجود المهر والنفقة. هذه الامور الضرورية

واللازمة أدت بشكل غير مباشر الى الضغط على ميزانية الرجل، ولهذا امر الاسلام — من اجل جبران ما فرض على ميزانية الرجل — ان يكون سهم الرجل من الارث ضعف سهم المرأة. اذاً فالمسألة ليست مسألة اقتصادية ومالية بحته كي يقال ما الداعي لتقليل سهم المرأة في جانب ومن ثم تعويضها في جانب آخر.

### اعتراض زنادقة صدر الاسلام على مسألة الارث

قلنا انه من وجهة نظر الاسلام، يعتبر المهر والنفقة علة والوضع الارثي للمرأة معلولا، وهذا المطلب لم يثر مؤخراً فحسب بل قد أثير منذ صدر الاسلام. فابن ابي العوجاء رجل عاش في القرن الثاني بعد الهجرة ولم يكن يؤمن برب ولادين. هذا الرجل كان يستغل حرية ذلك العصر ويطرح آراءه الالحادية في كل مكان حتى انه كان يأتي احيانا الى المسجد الحرام او مسجد الرسول (ص) ليناقش علماء ذلك العصر في التوحيد والمعاد واصول الاسلام. وقد كان احد اعتراضاته على الاسلام مايلي: «مابال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهما و يأخذ الرجل سهمين؟»

فأجابه الامام الصادق (ع): «ان ذلك كان بسبب ان الاسلام قد اعفى المرأة من الجهاد في سبيل الله وفرض لها على الرجل المهر والنفقة، كما انه في بعض الجنايات غير العمدية، حين يجب على اقارب الجاني ان يدفعوا الدية، تعفى المرأة من الاشتراك في الدفع. لهذا جعل سهم المرأة في الارث اقل من سهم الرجل» فالامام الصادق (ع) قد علل صريحا وضع المرأة الخاص في مسألة الارث بالمهر والنفقة وسقوط الجهاد والدية. وقد سئل ائمة الدين مثل هذه الاسئلة واجابوا جميعا بنفس هذه الاجابة.

\_\_\_\_\_

## الفصل العاشر

### حق الطلاق



## حق الطلاق

(١)

لم يهتم عصر من العصور بخطر انهيار مؤسسة الاسرة والعواقب الناتجة عن ذلك كما اهتم بها عصرنا، ولم يتل عصر من الناحية العملية كما ابتلي هذا العصر بهذا الخطر والآثار السيئة المترتبة عليه.

ويسعى المقتنون والحقوقيون وعلماء النفس كل من خلال الوسائل المتيسرة لديه من أجل احكام بناء المؤسسة الزوجية وتقويتها وتحسينها. ولكن (من حكم القضاء، ان السكنجيين زاد في الصفراء)<sup>١</sup> فالاحصاءات تدل على ازدياد نسبة الطلاق سنة بعد اخرى، كما يخيم خطر الانفصال على كثير من العوائل.

ومن المعروف أنه حين يتوجه الى مكافحة احد الامراض والوقاية منه بالمساعي المادية والمعنوية، يخف أثره وقد يمحي نهائياً، اما مرض الطلاق فعلى العكس من ذلك.

### ازدياد الطلاق في العالم الحديث

في الماضي كان التفكير في الطلاق وعواقبه السيئة واسباب وجوده وزيادة وقوعه وطرق الوقاية منه، اقل مما نحن عليه الآن، الا أن حالات الطلاق

١- مثل ايراني. والسكنجيين شراب يصنع من مغلي الحنظل والسكر ويفترض انه يطرد الصفراء.

آنذاك كانت أقل، وأنبهار الاعشاش كان في دائرة أضيق مما هو عليه الآن.

ومن المسلم به أن الفرق بين الامس واليوم هو أن أسباب الطلاق قد ازدادت اليوم. وقد اتخذت الحياة الاجتماعية شكلا يزيد في مسببات الانفصال و الفرفة وتصدع العلاقات العائلية، وهذا ما جعل مساعي العلماء واهل الخير عقيمة. وما يؤسف له ان مستقبلا أخطر ينتظرنا من هذه الناحية.

في العدد ١٠٥ من مجلة «زن روز» نقلت مقالة شيقة عن مجلة نيوزويك تحت عنوان «الطلاق في امريكا» ذكرت، أن: «الحصول على الطلاق في امريكا سهل سهولة الحصول على تاكسي».

وتقول المجلة ايضا: ((ينتشرين شعوب امريكا مثلان حول الطلاق، احدهما يقول: «حتى أسوأ أنواع الصلح بين المرأة وزوجها أفضل من الطلاق» والذي اطلق هذا المثل هو شخص اسمه (سرفانتس) قبل حوالي ربع قرن. اما المثل الثاني فقد قاله رجل اسمه (سامي كوهين) في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك في مقابل المثل الاول ومضادا له وهو: «الحب الثاني أهنا للقلب»)).

ويظهر من المقالة المذكورة أن المثل الثاني قد فعل فعله في امريكا، إذ استمرت تقول: «ان سراب الطلاق لا يجتذب «حديثي العهد بالزواج» فحسب، بل يجتذب كذلك امهاتهم، ويجتذب الزوجات والازواج القدامى، بحيث ان نسبة الطلاق في امريكا منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن لم تهبط عن ٤٠٠/٠٠٠ حالة سنويا ٤٠% منها زيجات مضي عليها عشر سنوات او اكثر، و ١٣% منها كان الزواج قد دام فيها اكثر من عشرين عاما. والسن المتوسط للميوني مطلقة امريكية هو ٤٥ سنة، ٦٢% من المطلقات كن وقت الطلاق امهات لاطفال دون الثامنة عشرة من العمر. ان النساء المذكورات يشكلن في الواقع جيلا خاصا».

وتستمر المجلة قائلة: «بالرغم من أن المرأة الامريكية ترى نفسها بعد الطلاق تتمتع بحرية أكثر من ذي قبل، الا ان المطلقات الامريكيات — من شابات او متوسطات في العمر — لسن سعيدات وتستشف كآبتهن من كثرة النساء اللاتي يراجعن عيادات الاطباء المتخصصين بالامراض النفسية والعصبية، أو اللجوء الى الكحول، او ازدياد نسبة الانتحار بينهن. فن بين كل أربع مطلقات تلجأ واحدة الى تعاطي الكحول، كما ان نسبة الانتحار بينهن تعادل ثلاثة

أضعافها عند المتزوجات. وباختصار، ان المرأة الامريكية ما ان تخرج من المحكمة ظافرة بالطلاق، حتى تدرك ان الحياة بعد الطلاق ليست جنة كما كانت تتصورها.. فالعالم الذي يعتبر الزواج اقوى الروابط الانسانية بعد القوانين الطبيعية، من الصعب جدا أن ينظر باحترام الى امرأة قضت على هذه الرابطة. من الممكن ان يكرم المجتمع هذه المرأة و يعبدها وحتى انه قد يغبطها، الا ان — من المؤكد— ان اي شخص لا ينظر اليها نظر من يرغب في اشراكها في حياته الخاصة والتي يسعى من خلالها الى السعادة».

وتطرح هذه المقالة هذا السؤال: «هل ان سبب ازدياد الطلاق هو عدم الانسجام الاخلاقي بين الزوجة والزوج أم شيء آخر؟» وتقول: «اذا اعتبرنا عدم الانسجام هو سبب الانفصال بين (الازواج الجدد) فبماذا نعلل انفصال (الازواج القدامى)؟ فعن الاخذ بنظر الاعتبار المكاسب التي تعطها القوانين الامريكية للمطلقة يكون جواب السؤال هو: ان سبب الطلاق في الزيجات ذات العشر او العشرين سنة ليس عدم الانسجام بين الزوجين وانما عدم الرغبة في تحمل الخلافات القديمة، والرغبة في الحصول على ملذات اكثر ومتع جديدة. ففي عصر أقراص منع الحمل وعهد الثورة الجنسية وعلو مكانة المرأة، شاع بين كثير من النساء رأي مفاده ان المتعة واللذة مقدمة على المحافظة على المؤسسة العائلية، فترى زوجين عاشا معا لسنين وأنجبا اطفالا، واشتركا في الحزن والسورور، ثم تجد المرأة فجأة تسمى للحصول على الطلاق بدون ان يكون قد طرأ على وضع زوجها المادي او المعنوي طارئ، السبب في ذلك يعود الى انها كانت حتى الليلة البارحة مستعدة لان تتحمل الحياة الرتيبة، اما الآن فلم تعد مستعدة لذلك... ان المرأة الامريكية اليوم اكثر طلبا للذة من امرأة الامس و اقل تحملا للعوز من جدتها».

### الطلاق في ايران

ان ازدياد نسبة الطلاق ليس وقفاً على امريكا، انه مرض هذا القرن. ان كل مكان دخلته الآداب والعادات الغربية الجديدة اكثر، زادت فيه نسبة الطلاق ايضا. فلونظرنا الى وطننا ايران على سبيل المثال، لوجدنا ان الطلاق في المدن اكثر منه في خارجها والاكثر منه بكثير في طهران التي راجت فيها الآداب والعادات الغربية، اكثر من المدن الاخرى.

فقد نشرت جريدة اطلاعات في عددها ١١٥١٢ احصائية مختصرة للزواج والطلاق في ايران جاء فيها: «ان اكثر من ربع وقائع الطلاق المسجلة في كل البلاد تقع في طهران وحدها، اي ان ٢٧٪ من حوادث الطلاق المسجلة تخص طهران، بالرغم من أن نسبة سكان طهران الى مجموع سكان البلاد هو ١٠٪ وبصورة عامة فان النسبة المئوية للطلاق في مدينة طهران اكثر من النسبة المئوية للزواج فيها. وتشكل وقائع الزواج في طهران ١٥٪ من مجموع زيجات البلاد».

### محيط امريكا المشجع على الطلاق

والآن مادام الحديث قدجرنا الى مسألة ازدياد نسبة الطلاق في أمريكا، وماذكرته مجلة نيوزويك من أن المرأة الامريكية تقدم المتعة واللذة على الحفاظ على مؤسسة الاسرة، فلنخطط خطوة اخرى الى الامام لنرى لماذا اصبحت المرأة الامريكية كذلك؟

مما لاشك فيه أن ذلك لا علاقة له بطبيعة المرأة الامريكية، بل له سبب اجتماعي، ان محيط امريكا هو الذي منح المرأة هناك هذا الاستعداد. ان عابدي الغرب عندهم يسعون في جعل النساء الايرانيات يسلكن نفس الطريق الذي سلكته نساء امريكا. ولو تحقق هذا الامل الذي ظل يراودهم طويلا، لكان مصير المرأة الايرانية والبيت الايراني هو نفس مصير المرأة الامريكية والبيت الامريكي. كتبت النشرة الاسبوعية (بامشاد) في عددها ٦٦ (٤٤/٥/٤) تقول: «انظروا الى اي مدى وصل الامر حتى ان الفرنسيين تعالت صححاتهم بأن الأمريكان يطلعون علينا بفتنة جديدة». وكان العنوان الكبير لمقال جريدة «فرانس سوار» هو «النساء العاريات الصدور، يقدمن الخدمات في اكثر من مئتي مطعم وملهى في كاليفورنيا».

في هذه المقالة جاء ان (المونوكيني) - وهو ما يترك صدر المرأة عاريا قد اعتبر لباس عمل في سان فرانسيسكو ولوس انجلس. والعشرات من دور السينما في نيويورك تعرض افلاما خاصة بالمسائل الجنسية، وقد الصقت على واجهات هذه الدور صور النساء العاريات وبعض هذه الافلام كانت تحمل الاسماء

١ - التقويم الهجري الشمسي المصادف لعام ١٩٦٥ م.

التالية: «تبادل الزوجات»، «فتيات ضد الاخلاق»، «البنطلون الذي لا يستر شيئا». وفي واجهات المكتبات قلما ترى كتابا لا يعرض غلافه صورة امرأة عارية، حتى الكتب التقليدية، وتجذب بين الكتب كتبا متوفرة اكثر من غيرها تحمل عناوين مثل: «الحالة الجنسية للازواج الامريكان» و «الحالة الجنسية لرجال الغرب»، و «الحالة الجنسية للشبان دون العشرين عاما»، و «الاساليب الجديدة في الممارسة الجنسية طبقا لحدث المعلومات».

«وعندها يسأل محرر جريدة فرانس سوار نفسه بتعجب وقلق قائلا الى أين تسير أمريكا؟».

وهنا نقول (بامشاد): «الحقيقة انها» لتذهب هي الى حيث شاءت... ولكن اتألم من اجل بعض الناس في بلدي الذين يتصورون أنهم قد عثروا على النموذج المناسب في الساحة العالمية، واذا بهم لا يميزون ايديهم من ارجلهم في هذا السبيل».

إذا فقد اصبح واضحا ان المرأة الامريكية اذا كانت طائشة وفضلت طلب المتعة على الوفاء للزوج والعائلة فليس كل الخطأ خطأها، انما هو المحيط الاجتماعي الذي امسك بالمعول ليهدم المؤسسة العائلية المقدسة من أساسها. عجبنا لطلائع هذا العصر! انهم يزيدون يوما بعد يوم في العوامل الاجتماعية المسببة للطلاق وانهار المؤسسة العائلية، ويتسابقون فيما بينهم من اجل ذلك، ثم يصرخون لماذا زادت نسبة الطلاق الى هذا الحد؟ انهم من ناحية يشجعون اسباب الطلاق ويريدون من ناحية اخرى ان يحولوا دونه بقوة القانون: وهنا ينطبق بحقهم بيت الشعر الفارسي القائل:

ايـن حـكـم چـنـين بـود

كـه كـجـ دار و مـررـيـنـز

اي: كونوا مراوغين، تظاهروا بالشيء ولا تعملوا به

### فرضيات

والآن لنتناول البحث من اساسه، ولننظر هل الطلاق - من الناحية النظرية - امر جيد ام سيء؟ وهل من الاحسن ان نترك باب الطلاق

مفتوحا بصورة عامة؟ وهل من الافضل أن تنهار المؤسسات العائلية الواحدة تلو الاخرى؟ واذا كان هذا جيدا، فكل ما يؤدي الى زيادة نسبة الطلاق جيد ايضا. ام أن باب الطلاق يجب ان يغلق بالمرّة و يصبح رباط الزوجية أبدياً بصورة اجبارية ويحال دون كل ما يؤدي الى إضعاف رباط الزواج المقدس؟ ام ان هناك خياراً ثالثاً هو ان القانون لا يغلق باب الطلاق بالمرّة بوجه المرأة والرجل، بل يتركه مفتوحا، ويحدد ضرورته في بعض الحالات، وفي نفس الوقت الذي لا يغلق فيه القانون باب الطلاق تماما، يسمى المجتمع جدياً من أجل القضاء على موجبات الفرقة والانفصال في حياة الزوجين. يجب على المجتمع ان يكافح اسباب الفرقة والانفصال بين الزوجين وتشريد الاطفال أما اذا هيا المجتمع موجبات الطلاق فلا فرق في ان يغلق القانون هذا الباب أو يفتحه.

فاذا تقرر ان يترك القانون باب الطلاق مفتوحا، فبأي صورة يجب ان يكون ذلك؟ هل يبقى الباب مفتوحا للرجل فقط أم للمرأة فقط أم لكليهما معا؟ وبناء على الاحتمال الثالث، هل يكون الباب المفتوح للمرأة والرجل على نحو واحد؟ فيجعل طريق الخروج من حصار الزواج واحدا لكليهما؟ أم الافضل أن يكون لكل منهما باب مستقل؟

وعلى كل حال، فهناك خمس فرضيات حول الطلاق هي:

١ - عدم الاهتمام بأمر الطلاق ورفع جميع القيود القانونية والاخلاقية التي تحول دون وقوعه.

يؤيد هذه النظرية الاشخاص الذين ينظرون الى الزواج بمنظار الاستمتاع فقط والذين لا يأخذون بنظر الاعتبار قدسية وقيمة العائلة بالنسبة الى المجتمع، ويعتقدون ان العلاقات الزوجية كلها تجددت وتغيرت على وجه السرعة، كانت امتع للمرأة والرجل، والشخص الذي يقول: «الحب الثاني أهنا للقلب دائما» يؤيد هذه النظرية. في هذه النظرية، اغفلت القيمة الاجتماعية للمؤسسة العائلية، ونسيت المسرة والصفاء والاخلاص والسعادة التي لا تأتي الا من دوام العلاقة الزوجية واتحاد روحيين في روح واحدة. هذه النظرية هي احدث نظرية فجة في هذا الباب.

٢ - ان الزواج ميثاق مقدس، ووحدة القلوب والارواح لذا يجب ان يحتفظ به الى الابد كما يجب ان يحى اسم الطلاق من قاموس المجتمع البشري،

ويفهم الزوجان اللذان يرتبطان بهذا العهد أنه لن يفرق بينهما غير الموت. هذه الفرضية هي التي تحظى بتأييد الكنيسة الكاثوليكية منذ عدة قرون ولن ترفع اليد عنها مهما كلفها الامر.

لكن مؤيدي هذه النظرية في العالم في تناقص، فلا يعمل بها اليوم الا في ايطاليا واسبانيا الكاثوليكية. ونحن نقرأ على الدوام في الصحف ان اصوات النساء والرجال الايطاليين ترتفع بالاعتراض على هذا القانون، وان السعي مستمر لاقرار قانون الطلاق ووضع حد للزيجات الفاشلة وانقاذها من الملل.

قرأت - قبل مدة - مقالا مترجما عن صحيفة الديلي اكسبريس في احدى الصحف المسائية تحت عنوان «الزواج في ايطاليا يساوي استعباد المرأة». جاء في هذا المقال: «انه في الوقت الحاضر وبسبب عدم وجود الطلاق في ايطاليا، فان كثيرا من الافراد يتجهون الى ممارسة العلاقات الجنسية غير المشروعة» وطبقا لذلك المقال: «ففي الوقت الحاضر يوجد ما يزيد على الخمسة ملايين ايطالي يعتقدون أن حياتهم ليست الا خطيئة محضا وعلاقات غير مشروعة».

وقد نقلت نفس الصحيفة عن صحيفة الفيغارو أن منع الطلاق قد سبب مشكلة كبيرة للشعب الايطالي، ذلك ان كثيرا من المواطنين تخلوا عن الجنسية الايطالية لهذا السبب. وقد قامت مؤخرا احدى المؤسسات الايطالية باستفتاء لمعرفة وجهة نظر الايطاليات فيما اذا كان اقرار قانون الطلاق مخالفا للمبادئ الدينية أم لا؟ وكان الجواب سلبا لدى ٩٧% من النساء.

اما الكنيسة فتصر على رأيها، وتحاول ان تثبت قدسية الزواج ووجوب تقوية أسسه.

ان تقديس الزواج ووجوب تقويته والحيلولة دون تصدعه امر مقبول. ولكن بشرط ان يبقى هذا الرباط - عمليا - مصونا من قبل الزوجين. اذ قد يصبح الانسجام بين الزوجين في بعض الحالات أمراً مستحيلاً، وفي هذه الحالات لا يمكن الابقاء على العلاقة بينها بقوة القانون ثم نسمي ذلك تقوية للزواج، ان فشل نظرية الكنيسة حتمي، وليس بعيدا أن تقوم الكنيسة مكرهة بمراجعة آرائها، لذا لا نرى ضرورة للبحث اكثر من ذلك في رأي الكنيسة وانتقاده.

٣ - ان يكون الزواج قابلا للفسخ من قبل الرجل وغير قابل لذلك أصلا من قبل المرأة. ولهذا الفرض انصار في العالم القديم، اما في عالم اليوم فلا اظن ان

له مؤيدين وعلى كل حال فهذا الفرض لا يحتاج كذلك الى بحث ونقد.

٤ - ان الزواج باعتباره المؤسسة المقدسة للعائلة محترم بحد ذاته، لكن يجب ان يفتح باب الطلاق امام الزوجين في ظروف خاصة، ويجب ان تكون طريقة خروج الزوجة والزوج من هذا المأزق على نحو واحد.

انصار هذه الفرضية هم ادعاء تشابه حقوق المرأة والرجل في الاسرة والتي يطلقون عليها خطأ اسم حق المساواة. وفي نظر هذه المجموعة أن جميع الشروط والقيود والحدود التي فرضت على المرأة يجب فرضها على الرجل، ونفس الطرق التي فتحت للرجل للخروج من هذا المأزق يجب ان تفتح للمرأة، والا وقع الظلم والتمييز والحرام.

٥ - ان الزواج مقدس والمؤسسة العائلية محترمة والطلاق بغيض، فيجب على المجتمع ان يقضي على اسباب الطلاق. وفي نفس الوقت يجب ان لا يغلُق القانون باب الطلاق بوجه الزيجات الفاشلة. وطريق الخروج من قيد الزواج يجب ان تكون مفتوحة للرجل والمرأة على ان تكون طريقة خروج الرجل من هذا المأزق ميسنة وطريقة خروج المرأة معينة هي الاخرى، ومن جملة المجالات التي لا تشابه فيها حقوق المرأة والرجل هي الطلاق.

هذه النظرية هي نفسها التي جاء بها الاسلام. وتطبقها البلدان الاسلامية بصورة ناقصة (وليست بشكل كامل).

## حق الطلاق

(٢)

الطلاق في عصرنا مشكلة عالمية كبرى، فالكل يثنون ويشكون. فالذين يُمنع الطلاق في قوانينهم بصورة عامة قد وصلت صرخاتهم الى عنان السماء بسبب تحريم الطلاق واغلاق طريق التخلص من الزيجات الفاشلة التي تحدث قهرا. وهناك من هم على العكس من ذلك حيث باب الطلاق عندهم مفتوح بوجه المرأة والرجل على السواء قد ضجوا من ازدياد حوادث الطلاق وضعف البناء العائلي مع كل العواقب والآثار السيئة الناتجة عن ذلك، وهناك من اعطوا الرجل فقط حق الطلاق وهؤلاء ايضا يشكون من ناحيتين.:

١ - من ناحية حوادث الطلاق الغادر من قبل بعض الرجال الذين يثور في قلوبهم فجأة هوى الزواج من المرأة بعد سنين من الزواج الاول، وبزيارة واحدة الى دائرة الاحوال الشخصية<sup>١</sup> يطلق زوجته القديمة ويطردها من عشها الذي انفقت فيه عمرها وشبابها وطاقتها وسلامتها ولم تكن لتصدق ان احدا يمكن ان يستولي على عشها الدافئ هذا ويطردها منه.

٢ - من ناحية الامتناع الشائن من قبل بعض الرجال عن تطليق الزوجة التي لا أمل لها في حصول الانسجام بينها وبينه.

١ - في الجمهورية الاسلامية توجد عدة فروع لدائرة الاحوال الشخصية كل منها يسمى بـ (مضرب) او (دقتر) ازواج وطلاق) المصحح.

يحدث كثيرا ان الخلافات الزوجية -ولاسباب خاصة- تصل الى حد لا أمل في تفاديها واعادة الصفاء والمودة الى سابق عهدهما، وتفشل كل محاولات الاصلاح بينها، ويسود النفور الشديد بين الزوجين وينفصلان عن بعضهما عمليا. ففي مثل هذه الحال يدرك كل عاقل ان الحل محصور في قطع هذه الرابطة قانونيا كما قطعت عمليا ليذهب كل من الزوجين باحثا عن زوج آخر يعيش معه. لكن بعض الرجال يمتنع عن الطلاق ويترك المرأة بين بين، لا هي متزوجة ولا هي مطلقة كما عبّر القرآن الكريم عنها بقوله:

«... فتذروها كالمعلقة»

من اجل تعذيبها وحرمانها مدة العمر من التمتع بالحياة الزوجية. بوجود مثل هؤلاء الاشخاص الذين لا يملكون من الاسلام الا الاسم، ويقدمون على هذه الاعمال باسم الاسلام وبالاستناد الى القوانين الاسلامية، تولدت الشبهة لدى الذين لا يدركون عمق روح التعاليم الاسلامية في: هل ان الاسلام قد قصد حقا ان يكون الطلاق على هذا النحو؟

انهم يقولون بلهجة المعترض: هل ان الاسلام قد اعطى فعلا للرجال الحق بأن يمارسوا -مرة عن طريق الطلاق ومرة عن طريق منع الطلاق- أي نوع من التعذيب تهواه قلوبهم مع المرأة مع اطمئنان ضمائرهم بأنهم انما يمارسون حقهم المشروع والقانوني؟

يقولون: او ليس هذا ظلما؟ واذا لم يكن هذا هو الظلم بعينه فما هو الظلم اذاً؟ او لم تقولوا ان الاسلام يعارض الظلم مهما كانت صورته وأشكاله، وان القوانين الاسلامية قد بنيت على أساس الحق والعدل؟ فاذا كان هذا العمل ظلما، والقوانين الاسلامية قد بنيت على أساس الحق والعدالة، فأخبرونا ماذا فعل الاسلام من أجل منع وقوع مثل هذه المظالم؟

لاشك ان مثل هذه التصرفات ظلم وسنذكر فيما بعد ماذا اعد الاسلام لمنع حدوث هذه المظالم، لكن هناك شيء آخر لا يمكن اغفاله وهو: ماهي الطرق التي يجب اتباعها للحيلولة دون وقوع مثل هذا الظلم؟ وهل ان الذي تسبب في وقوع هذه المظالم هو قانون الطلاق وحده وبالغاء هذا القانون فقط يمكن الحيلولة دون وقوعها؟ أم ان جذور هذه المظالم يجب ان يبحث عنها في مكان آخر والغاء القانون لا يمكن أن يحول دون وقوعها؟

ان الفرق بين نظرة الاسلام ونظرة بعض النظريات الاخرى في حل المشاكل الاجتماعية هو ان البعض يتصور ان جميع المشاكل يمكن حلها بوضع قانون، أو بالغاء قانون. لكن الاسلام يدرك أن القانون لا يمكن ان يكون مؤثرا الا ضمن دائرة العلاقات الجافة والوضعية بين افراد البشر. اما حين توجد العلاقات العاطفية والقلبية، فلا يمكن للقانون وحده ان يعمل شيئا، انما يجب استخدام تدابير اخرى للحل.

اننا سنثبت ان الاسلام — في المسائل التي يمكن ان يؤثر فيها القانون — قد استخدم قوة القانون ولم يقصر ابدا في هذا المجال.

**الطلاق الغادر:** نبحت اولا في مشكلتنا الاولى اليوم اي الطلاق الغادر: ان الاسلام يعارض الطلاق بشدة. انه يعمل على ألا يقع الطلاق قدر الامكان، لكنه اجاز الطلاق كحل اضطراري حين ينحصر الحل بالافتراق، وهو يعتبر الرجال الذين يكثرون من الزواج والطلاق او ما يسمون (المطلقين) اعداء الله تعالى.

وقد ورد في الكافي: ان رسول الله (ص) سأل رجلا:

— ماذا فعلت بزوجتك؟

قال: طلقها.

قال (ص): هل رأيت منها سوءاً؟

قال: كلا، لم أر منها سوءاً.

ومرت الايام وتزوج ذلك الرجل ثانية. فسأله النبي (ص):

— هل تزوجت ثانية؟

قال: بلى.

ومر وقت اخر ثم لقيه النبي (ص) فسأله:

— ما فعلت بزوجتك هذي؟

قال: طلقها.

قال (ص): رأيت منها سوءاً؟

قال: كلا، لم أر منها سوءاً.

ومرت الايام وتزوج ذلك الرجل الثالثة. وسأله النبي (ص): أتزوجت؟

قال: بلى يا رسول الله.

ومرت مدة سألها بعدها النبي (ص):

— ماذا فعلت بزوجتك هذي؟

— طلقته ايضا.

— هل رأيت منها سوء؟

— كلا، لم أر منها سوء.

فقال (ص): ان الله يبغض ويلعن الرجل الذي يحب ان يستبدل زوجته على الدوام والمرأة التي تحب استبدال زوجها باستمرار. واخبروا النبي (ص) ان أبا ايوب الانصاري قد صمم على طلاق زوجته ام ايوب ولما كان (ص) يعرف أم ايوب جيدا و يعلم ان طلاق أبي ايوب لزوجته ليس له مبرر سليم، فقد قال (ص): (ان طلاق ام ايوب لحوث) اي خطيئة كبيرة.

ونقل الامام الصادق (ع) عن الرسول الاكرم (ص) أنه قال: «ليس أحب الى الله تعالى من بيت يعقد فيه الزواج، وليس ابغض اليه من بيت يقع فيه الطلاق». وقد أشار الصادق (ع) الى ان القرآن انما اكثر من ذكر الطلاق واكثر في الحديث عن تفاصيله، لان الله تعالى عدو الانفصال والافتراق. ونقل الطبرسي في مكارم الاخلاق عن رسول الله (ص) انه قال: «تزوجوا ولا تطلقوا، لان العرش يهتز عند الطلاق». وقال الصادق (ع): «ان ابغض الحلال الى الله الطلاق. ان المطلقين اعداء الله».

ولا يقتصر هذا على روايات الشيعة. بل روى اهل السنة نظير ذلك. فقد جاء في سنن أبي داود عن الرسول الاكرم (ص) انه قال: «ما احل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق».

وقد اشار الشاعر مولوي الى القصة المعروفة لموسى (ع) وراعي الاغنام الى هذا الحديث النبوي الشريف قائلا:

تجنب ما استطعت الفراق<sup>١</sup>

ابغض الاشياء عندي الطلاق

١ - الشطر الاول فارسي في الاصل وهو: (تاتواني يامنه أندرفراق)

وما يشاهد في سيرة الائمة المعصومين (ع) انهم كانوا يتجنبون الطلاق بقدر  
الامكان لذا لم يكن يقع منهم الطلاق الا نادرا فان وقع، فلسب وجيه ومعقول.  
فشلا: تزوج الامام الباقر(ع) من امرأة أحبها، ثم انتبه الى ان هذه المرأة (ناصبية)  
اي انها تعادي علي بن أبي طالب (ع) وقد ترعرع في قلبها بغضه. فطلقها الامام.  
فسئل الامام (ع) لم طلقها وانت تحبها؟ فاجاب (ع): لم اشأ ان تكون بجانبني قطعة  
مشتعلة من جهنم.

### شائعة مفتعلة

وهنا يجب ان اشير باختصار الى شائعة مفتعلة سطرته  
ايدي الخلفاء العباسيين الاثيمة واشتهرت بين عموم الناس وهي: انه قد شاع بين  
الناس وورد في كثير من الكتب ان الامام الحسن المجتبي الابن البار لامير  
المؤمنين (ع) كان من الذين يتزوجون كثيرا ويطلقون. ولما كانت بداية هذه  
الشائعة قد جاءت بعد مئة عام من وفاة الامام (ع) وانتشرت في كل مكان تقريبا  
ولم يحقق محبوب الامام (ع) في اصل هذه الشائعة وان هذا العمل مبغوض في نظر  
الاسلام، وهو جزء من اخلاق العابثين والغافلين، ولا يليق أن ينسب الى رجل  
كان من اعماله ان يحج ماشيا على قدميه وانه قسم ثروته اكثر من عشرين مرة بينه  
وبين الفقراء فأخذ نصفها وهب الفقراء والمساكين نصفها الآخر، وكيف يليق  
أن ينسب ذلك الى مقام الامامة والظاهرة.

وكما نعلم فانه ابان انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين، كان بنو  
الحسن (ع) يتعاونون مع بني العباس. اما بنو الحسين والذين كان على رأسهم  
الامام الصادق (ع) فقد امتنعوا عن مساعدة العباسيين لكن بني العباس مع انهم  
في اوائل امرهم قد اظهروا الخضوع والتسليم لبني الحسن (ع) واعترفوا لهم بأنهم  
أولى منهم، الا انهم عادوا وقضوا على اكثرهم بالخيانة والقتل والسجن. ثم من  
اجل تمشية أمور خلافتهم، قام بنو العباس بالتشهير ببني الحسن (ع). ومن  
جملة الشائعات التي اطلقوها: أن أباطالب الجد الاكبر لبني الحسن وعم

رسول الله (ص) - مات كافرا. واما العباس العم الآخر للنبي (ص) وابو بني العباس فقد عاش و مات على الاسلام. ولذا فنحن اولاد عم النبي المسلم أجدرب بالخلافة من أولاد الحسن الذين هم اولاد عم النبي الذي مات كافرا. وقد انفقوا من أجل نسج القصص في هذا الباب أموالا طائلة، كما أن مجموعة من أهل السنة - بتأثير هذه الاشاعات والاجراءات - افتوا بكفر ابي طالب. ولكن طبقا للتحقيقات التي قام بها مؤخرًا محققون من أهل السنة في هذا المجال فقد وضع الامر أكثر من ذي قبل.

الموضوع الثاني الذي أشاعه بنو العباس عن بني الحسن هو أن جد هم الحسن (ع) حين وصل الى الخلافة بعد أبيه علي (ع)، وبسبب كونه رجلا ماجنا مشغولا بالنساء وشغله الشاغل التزوج والتطليق، لم يطق المسؤولية، وقد تسلم من معاوية - منافسه اللدود - أموالا من أجل ان يتخلى عن الخلافة له وانصرف هو الى الزواج والطلاق.

ومن حسن التوفيق ان المحققين الفضلاء في العصور المتأخرة قد اجروا تحقيقات في هذا الباب وشخصوا مصدر هذا الكذب. و يظهر ان أول من سمع منه ذلك القاضي المنصوب من قبل المنصور الدوانيقي والذي كان المنصور قد أمره بنشر هذه الشائعة. يقول احد المؤرخين: «اذا كان الامام الحسن (ع) قد تزوج من كل هؤلاء النسوة فاین ذريته؟ ولماذا اولاده بهذه القلة؟ والامام لم يكن عقيما من جهة ولا كانت عادة اسقاط الجنين او منع الحمل موجودة».

انني لا عجب لبعض الرواة الشيعة كيف يروون من جهة ان النبي الاكرم (ص) والائمة الاطهار (ع) ضمن روايات كثيرة يذكرون ان الله عدو ولاعن للرجال المطلقين، ثم يكتبون بعدها مباشرة ان الامام الحسن (ع) رجل مطلق. ان هؤلاء الاشخاص لم يفكروا في انهم انما يختارون احد ثلاثة طرق. فاما انهم يرون الطلاق امرا جيدا وان الله لا يبغض المطلق، واما أن يقولوا ان الامام الحسن (ع) لم يكن مطلقا، واما ان يروا ان الامام الحسن (ع) - والعياذ بالله - لم يكن ملتزما بتعاليم الاسلام. الا ان هؤلاء السادة المحترمين يعتبرون الاحاديث الدالة على بغض الطلاق صحيحة من جهة ومن جهة ثانية يتواضعون لمقام الامام الحسن (ع) المقدس ويروون من جهة ثالثة ان الامام الحسن (ع) كان مطلقا. ويمرون بذلك دون اشارة او نقد للامر.

بل ان بعضهم قد بلغ به الامر الى حد ان يقول: ان امير المؤمنين علي (ع) كان ناقما على عمل ابنه هذا. فيعلو المنبر ليقول للناس لا تزوجوا ابني الحسن بناتكم لانه مطلق. الا ان الناس يجيبون: اننا نفخر بمصاهرة ابن رسول الله (ص)، فإن شاء فليحتفظ ببناتنا والافليطلقهن.

وقد يتصور البعض أن موافقة الفتيات او ذوهن على وقوع الطلاق كاف لزوال كراهة الطلاق، ظنا منهم أن بغض الطلاق ناشئ عن عدم موافقة الطرف الآخر، اما حين ترغب امرأة بنيل شرف الزوجية من رجل يكون محل فخرها لعدة ايام، فلا مانع من الطلاق. لكن الامر ليس كذلك. فان رضا الفتيات وآبائهن بالطلاق لا يقلل من كراهته شيئا، فان ما يريده الاسلام هو تقوية المؤسسة البيتية اما رأي الزوجين في الانفصال فلا أثر له من هذه الناحية.

ان الاسلام حين يبغض الطلاق وينفر منه فليس ذلك من أجل ارضاء المرأة بل ان رضا المرأة وذوها به لا يزيل هذا البغض.

ان الذي دعاني الى طرح موضوع الامام الحسن (ع) — عدا عن ان هذه التهمة التاريخية يجب ان ترفع في اول فرصة عن هذه الشخصية العظيمة — هو ان بعض الغافلين عن ذكر الله قد يعملون هذا العمل ثم يتخذون من الامام الحسن سندا لهم.

وعلى كل حال فان الذي لاشك فيه هو أن الطلاق وافتراق الزوجين في حد ذاته مبغوض في نظر الاسلام ومنهي عنه.

### لماذا لم يحرم الاسلام الطلاق؟

وهنا يحظر سؤال مهم في الاذهان هو أن الطلاق اذا كان مبغوضا الى هذا الحد، وان الله عدو للمطلقين فلماذا لم يحرم الاسلام الطلاق؟ وما المانع في ان يكون الاسلام قد حرم الطلاق واجازه فقط في حالات خاصة ومعينة؟ وبتعبير آخر، ألم يكن من الافضل لو ان الاسلام كان قد اشترط للطلاق شروطا وأجاز الرجل ان يطلق لدى توفر تلك الشروط فحسب؟ وبما ان الطلاق مشروط، فانه سيحظى بلاريب بجانب قضائي. ففي كل مرة يريد رجل أن يطلق زوجته، يكون مضطرا الى مراجعة المحكمة لعرض اسباب ذلك فاذا اقتنعت المحكمة بصحة الاسباب اجازت الطلاق والافلا.

من الناحية الاساسية، ما معنى جملة (ابغض الحلال الى الله الطلاق)؟  
فان الطلاق اذا كان حلالا، فلا يكون بغضا، واذا كان بغضا فليس بحلال،  
فالمبغوضة والحلية لا يجتمعان.

وبعد كل هذا، هل يحق للمجتمع — أي الهيئة التي تسمى المحكمة وغير  
ذلك مما يمثل المجتمع — ان يتدخل في أمر هذا الطلاق الذي تكثر من ذكر  
مبغوضيته ويجول دون الاسراع في ايقاعه من قبل الرجل حتى يندم الرجل، او يتبين  
للمجتمع (اي تلك الهيئة) أن الزواج موضوع البحث لا أمل في دوامه وسلامته وان  
الافضل فسخ العقد؟

## حق الطلاق

(٣)

وصل بنا الحديث الى أن الطلاق بغيبض في نظر الاسلام، وان الاسلام يريد ان يكون ميثاق الزواج متينا ومحكما. وهنا نطرح السؤال التالي: اذا كان الطلاق الى هذا الحد بغيبضا وكرها فلماذا لم يحرمه الاسلام؟ ألم يحرم الاسلام كل عمل كريبه كالخمر والميسر والظلم؟ فلماذا لم يحرم الطلاق كليا ويجعل له مانعا قانونيا؟ وفي الاساس، ماهذا المنطق الذي يذكر من أنه حلال مبغوض؟ واذا كان مبغوضا فلماذا صار حلالا؟ ان الاسلام يفضب من الرجل المطلق من جهة وينفر من عمله، ومن جهة اخرى لا يضع مانعا قانونيا يحول بينه وبين ان يطلق زوجته حين يشاء فلماذا؟ هذا السؤال في محله فجميع الاسرار تكمن هنا. ان الاساس في الامر هو ان الزوجية والحياة المشتركة علاقة طبيعية وليست وضعية، وقد وضعت لها في الطبيعة قوانين خاصة. وهذا العقد يختلف عن جميع العقود الاجتماعية الاخرى (من قبيل البيع والاجارة والمصالحة والرهن والوكالة وغيرها). بان جميع ما ذكر عقود اجتماعية وضعية بحتة، وليس للطبيعة والغريزة دخل فيها، ولم تضع الطبيعة والغريزة قانونا لها. بخلاف عقد الزواج الذي يجب ان يقوم بناء على رغبة طبيعية من قبل الطرفين ذات تركيبة خاصة. فلاعجب اذن من ان لعقد الزواج مقررات خاصة تختلف عن بقية العقود والمعهود.

## قوانين الفطرة فيما يخص الزواج والطلاق

ان القانون الطبيعي في المجتمع المتحضر هو قانون الحرية والمساواة. وجميع مقررات المجتمع يجب ان تبني على اساس من هذين المبدأين لاغير، هذا بخلاف عقد الزواج الذي وضعت له في الطبيعة - عداهذين المبدأين - قوانين أخرى أيضاً لامناص من مراعاتها. فكما تجب مراعاة هذه القوانين في اول ووسط الامر، اي لدى الزواج (وذكرنا قسماً منها تحت عنوان الخطبة والمهر والنفقة في موضوع الفروق بين المرأة والرجل). فكذلك تجب في الطلاق - الذي هو نهاية الامر - مراعاة هذه القوانين الطبيعية. فلا فائدة من الوقوف بوجه الطبيعة كما قال الكسيس كارل: «ان قوانين الحياة والمعيشة - كقوانين الكواكب - قاسية لا ترحم ولا يمكن مقاومتها».

الزواج وحدة واتصال، والطلاق فراق وانفصال. وفي الوقت الذي وضعت الطبيعة قانون البحث عن الزوج واتصال المرأة بالرجل بالصورة التي يتقدم فيها شخص طالبا صحبة آخر ويقوم الآخر بالتراجع من اجل اجتذاب قلبه و مخادعته، وجعل قصد احدهما هو الاستيلاء على الاخر وقصد الاخر الاستيلاء على قلب الاول، وفي الوقت الذي بنت الطبيعة الزوا على الحب والوحدة والتعاطف لاعلى المساعدة والصدقة وفي الوقت الذي جعلت أساس العائلة قائمة قائما على مركزية الجنس الاظرف ودوران الجنس الاخشن حوله، فكذلك لابد ان يكون الفراق والانفصال وانهايار هذه المؤسسة وانفراط هذه المنظومة، تابعا - شئنا أم أبينا - للمقررات الطبيعية الخاصة.

في المقالة الخامسة عشرة نقلنا عن احد العلماء قوله: «ان طلب الزواج عبارة عن هجوم للاحتلال من قبل الرجال وتراجع من اجل اجتذاب القلوب والفتنة لدى النساء. ولما كان الرجل - في طبعه - حيوانا مفترسا، فعمله الهجوم والايجابية، والمرأة بالنسبة للرجل جائزة يريد الفوز بها، فطلب الزوجة حرب وكفاح والزواج صحبة واقتدار».

ان العقد المبتنى على الحب والوحدة لا التعاون والصدقة، لا يمكن ان

يقبل الاكراه والالزام، فبالاكراه القانوني يمكن ان تلزم شخصين بالتعاون فيما بينهما واحترام عقد على اساس العدالة والاستمرار سنين طويلة على هذه الشاكلة. لكن لايمكن ان نكلف - بقوة القانون - شخصين لكي يحبا بعضهما ويخلصا تجاه كل منهما، ثم يفدي كل منها الآخر بنفسه، ويرى كل منها سعادته الذاتية في سعادة صاحبه.

فإذا اردنا ان نصنع علاقة بين شخصين على هذه الصورة فيجب ان نتخذ غير الاجبار القانوني تدابير عملية واجتماعية اخرى.

ان التركيبة الطبيعية للزواج والتي بنى الاسلام قوانينه على اساسها هي ان تغدو المرأة محبوبة ومحترمة داخل المنظومة العائلية. فاذا حدث ما يؤدي الى نزول المرأة عن هذا المقام وانطفأت شعلة حب الرجل لها، واصبح زوجها غير راغب فيها، فقد هدم الصرح والركن الاساس للعائلة. اي ان مجتمعا طبيعيا قد انهار بحكم الطبيعة. ان الاسلام ينظر الى مثل هذا الوضع نظرة أسي وأسف، لكنه حين يشاهد انهيار الاساس الطبيعي لهذا الزواج لايسعه ان يفرض بقاءه من الناحية القانونية.

ان للاسلام مساعي وتدابير خاصة ابتدعها للبقاء على الحياة العائلية من الناحية الطبيعية، اي ان تبقى المرأة في مقام المحبوبة والمطلوبة، والرجل في مقام الطالب والمحب وتقديم الخدمة لها.

وتقضي وصايا الاسلام بأن تنزى المرأة لزوجها كمسألة حتمية، وتتفنن في اظهار ما يجيبها اليه، وتشبع رغباته الجنسية، ولا تسبب له العقد والمشاكل النفسية بصد هذه الرغبات. كما تقضي بان يكون الرجل بدوره رفيقا لزوجته ييدي لها حبه وعشقه ولا يخفي عنها محبته. كذلك فان الاسلام اتخذ تدابير من شأنها أن تجعل البيت محيطا للممارسات الجنسية، وجعل المجتمع الكبير محيط عمل وفعالية لا مؤسمة للممارسة الجنسية، فبني توصيانه على ان تكون لقاءات النساء والرجال خارج حدود الزوجية نظيفة وطاهرة كأمر لازم وحتمي، كل ذلك من أجل حماية المجتمعات الأسرية من خطر الانهيار.

## المكانة الطبيعية للرجل في حياة الاسرة

ان اقصى درجات الالهانة واحتقار— من وجهة نظر الاسلام — تكمن في مخاطبة الرجل للمرأة قائلا: لا أحبك، اني أشمئز منك، ثم يأتي القانون ليقب المرأة بالقوة والاكراه في بيت ذلك الرجل. ان القانون يستطيع ان يرغم المرأة بالقوة على البقاء في بيت هذا الرجل، لكنه لا يستطيع ان يحتفظ لها بمكانتها الطبيعية في محيط الزوجية وهي مكانة المحبوبة والمركزية. ان القانون قادر على أن يجبر الرجل على الاحتفاظ بالمرأة ودفع نفقاتها وغير ذلك لكنه غير قادر على أن يجعل من الرجل مضحيا من اجل تلك المرأة وكوكبا يدور في فلكها. وعلى هذا الاساس، ففي الوقت الذي تنطفئ فيه شعلة حب الرجل، يكون الزواج قد مات من الناحية الطبيعية.

وهنا يطراً سؤال آخر هو: ماذا ستكون النتيجة لو أن هذه الشعلة انطفأت من جانب المرأة؟ هل ستبقى الحياة العائلية مستمرة عندما يموت حب المرأة للرجل أم هذه ستموت هي الاخرى؟ فان بقيت مستمرة فما الفرق حينئذ بين المرأة والرجل لكي يكون موت حب الرجل موجبا لانتهاة حياة الاسرة ولا يكون موت حب المرأة كذلك؟ واذا كان موت حب المرأة ينهي كذلك حياة البيت، فيجب عندها ان تنهي الزواج عندما يموت حب المرأة لزوجها وتنتجها كالرجل حق الطلاق.

الجواب هو ان استمرار حياة الاسرة متعلق بالحب المتبادل من الطرفين لامن طرف واحد. والذي نشير اليه هنا انما هو التباين بين نفسية المرأة ونفسية الرجل في هذا المجال، وقد بينا ذلك في المقالات السابقة استنادا الى تحقيقات العلماء.

ان الطبيعة قد صاغت علاقة الزوجين بشكل تكون فيه المرأة متجاوبة مع الرجل. فعلاقة وحب المرأة الاصيلين الثابتين انما يأتيان على شكل رد فعل لتعلق الرجل بالمرأة واحترامه لها. وعلى هذا الاساس، فان علاقة المرأة بالرجل ماهي الا نتيجة لعلاقة الرجل بالمرأة ومرتبطة بها. ان الطبيعة قد سلمت مفتاح محبة الطرفين بيد الرجل فان هو أحب المرأة وظل وفيها لها، احبته هي ايضا ووفت له.

ومما لاشك فيه أن المرأة أوفى طبيعة من الرجل، وغدر المرأة رد فعل لغدر الرجل .  
والطبيعة قد وضعت مفتاح الفسخ الطبيعي للزواج بيد الرجل كذلك ، اي ان  
الرجل اذا لم يحب المرأة ولم يف لها يكون قد تسبب في برود حبه . على العكس مما  
لو برد حب المرأة وفترت عاطفتها فانها ستزيد حب الرجل اشتعالا في بعض  
الاحيان . ولهذا فان فتور حب الرجل يجراالى فتور حب الطرفين ، اما فتور حب المرأة فلا  
يجراالى فتور حب الطرفين . و برود وانطفاء حب الرجل يؤديان الى موت الزواج وانتهاء  
حياة الاسرة ، اما برود وانطفاء حب المرأة للرجل فيجعل الزواج اشبه بمرض  
مشرف على الموت الا ان الامل في شفائه قوي ، فاذا ظهر الفتور من المرأة وكان  
الرجل عاقلا وفيما ، استطاع باظهار حبه وعطفه ان يفوز ثانية بحبها . وهذا الامر  
لايشكل اهانة له اذ يمكنه الاحتفاظ بحبويه النافر بقوة القانون حتى يستأنسه  
بالتدرج ، اما بالنسبة للمرأة فتعد محاولتها الاحتفاظ بحبها وعاشقها بقوة واكراه  
القانون اهانة لا يمكن تحملها .

وبالطبع ، ان هذا صحيح حين لا يكون سبب عزوف المرأة سوء اخلاق  
الرجل وظلمه ، فاذا بدأ الرجل بالاعتداء والظلم ونفرت منه المرأة بسبب ظلمه فتلك  
مسألة اخرى سنبحثها حين نتعرض لبحث المسألة الثانية وهي الامتناع اللثيم  
عن الطلاق وسنذكر كيف انه لن يسمح للرجل ان يستغل صلاحيته ويحتفظ  
بالزوجة من اجل الاضرار بها والاعتداء عليها .

وعلى كل حال : فان الفارق بين المرأة والرجل ، يكن في أن الرجل محتاج  
الى شخص المرأة ، والمرأة محتاجة الى قلب الرجل . من هذا المنطلق تصيح حماية  
الرجل ورقة قلبه على درجة عالية من الاهمية بالنسبة للمرأة تجعل الزواج بدونها  
امرا لا يمكنها احتمالها .

### رأي عالمة نفسانية

في العدد ١١٣ من مجلة «زن روز» نشرت مقالة من كتاب بعنوان «علم  
نفس الامهات» تأليف سيدة فرنسية اسمها (بياترس ماريو) ، هذه السيدة — كما  
جاء في المقالة — طبيبة في علم النفس وعالمة نفسانية في مستشفيات باريس ،  
وهي نفسها أم لثلاثة أولاد .

في جوانب من هذه المقالة ، شرحت بتفصيل احتياجات المرأة الى حب

وحنان زوجها ابان حملها وولادتها. قالت: «منذ شعور المرأة بانها قد أشرفت على الامومة تبدأ بتفحص جسمها واكثر النظر اليه وشم رائحته خصوصا اذا كان هذا هو طفلها الاول. وهذه الحالة من التفحص والتدقيق تستمر بنشاط كما لو كانت المرأة غريبة على نفسها، وتريد ان تكتشف ذاتها، فاذا أحست بأول ضربات طفلها في بطنها، تبدأ بالانصات الى كل صوت في بدننا ويمنحها وجود مخلوق آخر في جسمها سعادة وسرورا كبيرين يدفعانها الى الانزواء التدريجي والميل الى الخلوقة بنفسها وقطع علاقتها بالعالم الخارجي، اذ انها تريد ان تخلو الى طفلها الذي لم يأت الى الدنيا بعد...»

ان الرجال في اثناء مدة حمل زوجانهم مكلفون بانجاز واجبات مهمة جدا لكنهم -للاسف- يتخلون دائما عن ادائها. ان أم المستقبل تحتاج الى الشعور بأن زوجها يتفهمها ويحبها ويساندها، وبغير ذلك فانها حين ترى بطنها قد ارتفع ، وجمالها قد تغير، والقيء والغثيان قد استوليا عليها وهي خائفة من الولادة، فستعزو كل مصائبها الى عمل زوجها الذي كان السبب في حملها.. ان الرجل يجب ان يكون الى جانب زوجته في أشهر الحمل اكثر من ذي قبل فالاسرة تحتاج الى أب رحيم يمكن للزوجة والأولاد ان يتحدثوا عن جميع مشاكلهم وآمالهم، والآمهم، وحتى اذا كانت احاديثهم بلا معنى أو مملّة فان الحامل تحتاج كثيرا الى ان تتحدث الى زوجها حول طفلها القادم. ان اكتمال فخر المرأة وسعادتها في أن تصبح أما، وفي الوقت الذي تشعر فيه أن زوجها غير مهتم بطفلها الذي سيفد الى الدنيا عما قريب سيتحول هذا الفخر والسعادة الى شعور بالحقارة واليأس والاشمئزاز من الامومة ويصبح الحمل بالنسبة لها (احتضارا). وقد ثبت ان مثل هؤلاء النساء لا يتحملن مشاكل الحمل الا بمعاناة شديدة.. فعلاقة الام بالطفل ليست علاقة ثنائية بل هي علاقة ثلاثية اركانها: الام والاب والطفل. وحتى اذا كان الاب غائبا «كما لو كانت مطلقة» فانه يلعب دورا اساسيا في التأثير على حياة الام الداخلية، وفي خيالها وتصوراتها».

كان هذا حديث سيدة عالمة، متخصصة في علم النفس كما هي أم.

### البناء الذي قام على أساس العواطف

والآن عليكم ان تحكموا كيف يمكن لمخلوق يحتاج الى عطف ومحة وحماية

وحنان مخلوق آخر الى هذه الدرجة، وهو مستعد لعمل أي شيء اذا وجد هذا العطف والحنان، والذي لا يمكنه بدون هذا العطف أن يفهم حتى طفله بصورة صحيحة، هذا الموجود الذي يحتاج الى قلب ومشاعر الموجود الآخر وليس الى وجوده فحسب، كيف يمكن للقانون ان يرغمه على الالتحام بذلك الموجود الآخر المسمى بـ«الرجل»؟

ليس من الخطأ ان نقوم من جهة بتوفير مسوغات المجون وفتور علاقة الرجال بزوجاتهم ووسائل العيب والانحطاط الجنسي يوميا وباستمرار ثم نحاول ان نبقي بقوة القانون على صلة الزوجات بازواجهن او كما يقولون أن نلصقهن بلحاهم (حسب المثل المعروف)؟ لقد عمل الاسلام على أن يجعل الرجل يرغب في زوجته تلقائيا، وان يحبها ذاتيا، ولم يعمل في يوم من الايام على أن يلصقها به عنوة.

وعلى العموم، ففي كل وقت يكون الحب والارادة والاخلاص محور القضية، واساس العمل وركنه، فلن يكون هناك اكراه بقوة القانون من الممكن ان يكون ذلك مجالا للتأسف الا انه لن يكون مجالا للاجبار والالزام والاكراه. اذكر بهذه المناسبة مثلا: كلنا نعلم أن عدالة الامام في صلاة الجماعة واعتقاد المأمومين بتلك العدالة شرط في صحة الصلاة، وارتباط واجتماع الامام والمأمومين هو ارتباط واجتماع قائم على أساس عدالة الامام وارادة ومحبة واخلاق المأمومين. فالقلب والمشاعر هماركنا هذا الارتباط واما الاجتماع فهو الاساس. وعلى هذا، فان هذا الاجتماع والارتباط لا يمكن أن يكونا بالاجبار والاكراه. ولا يمكن للقانون ان يضمن بقاءهما واستمرارهما. فان المأمومين متى ما تحول حبهم اخلاصهم وارادتهم عن امام جماعتهم، انهار أساس هذا الاجتماع والارتباط طبعاً، سواء كان هذا التحول في محله او في غير محله. ولو افترضنا ان امام الجماعة كان يتمتع بأعلى درجة من العدالة والتقوى والصلاح، فانه —مع ذلك— لا يستطيع ان يجبر المأمومين على الاقتداء به. و يكون مضحكا جدا ان يتقدم امام جماعة الى المحكمة شاكيا الناس، قائلاً: لم لا يجيوني؟ ولم لا يعتقدوني في؟ واخيراً، لم لا يفتنون بي؟ بل ان منتهى الاهانة التي لا تليق بمقام امام الجماعة نفسه هو ان يجبر— هو نفسه— الناس بالقوة على الاقتداء به.

وكذلك العلاقة بين الناخبين والنواب، فهذه العلاقة أيضا مما يجب أن

تقوم على اساس الحب والاعتقاد والايان. فالقلب والمشاعر هما ركنا هذا الارتباط والعلاقة. ويجب ان يكون الناس مقتنعين وراغبين ومؤمنين بالنائب الذي ينتخبونه. فاذا رفض الناس أن ينتخبوا شخصا فان هذا الشخص لا يمكنه ولا يليق به ان يجبر الناس على التصويت الى جانبه مهما كان الناس على خطأ وكان هو في منتهى الصلاح واللياقة وحائزا على الشروط المطلوبة. ذلك ان طبيعة الانتخاب والتصويت لا تنسجم مع الاجبار والاكراه. ولا يستطيع هذا الشخص - بناءً على حيازته على الشروط اللازمة - ان يشكو للمحكمة إغراض الناس عن انتخابه بالرغم من لياقته. انما الذي يجب ان يتم في مثل هذه الحالات هو رفع المستوى الفكري للناس. فتربية الناس بصورة سليمة تقودهم - حين رغبتهم في اداء فرائضهم الدينية - الى البحث عن العدول الحقيقيين والرغبة اليهم بامامتهم و يقتدون بهم، وحين يريدون أن ينجزوا مهمتهم الاجتماعية يبحثون عن الافراد الصالحين و يصوتون الى جانبهم عن حب و ارادة، واذا حدث احيانا ان غير الناس نظرهم ومنحوا ثقتهم لشخص آخر بدون مبرر سليم، فذلك ما يدعو الى التأسف والتأثر، لا الى الاجبار والاكراه والتدخل بالقوة.

والواجب العائلي يشبه الواجب الديني والاجتماعي تماما . اذا المهم ان نفهم ان الاسلام يرى الحياة العائلية مجتمعا طبيعيا قد و وضع له تركيبة خاصة للعمل والتحرك ، و يرى ان مراعاة هذه التركيبة شرط لا يقبل النقص. ان اعظم معاجز الاسلام هي تشخيص هذه التركيبة، وان الذي حال بين العالم الغربي وبين التغلب على المشكلات الاسرية - التي لا تزال تزداد يوما بعد يوم - هو عدم الاهتمام بهذه النقطة. لكن التحقيقات العلمية - لحسن الحظ - مستمرة في الكشف عن هذه الامور. وانا الآن أرى اقبال عالم الغرب تدريجيا - على تنبي المبادئ الاسلامية للقواعد العائلية على ضوء ما يكشفه العلم - اقبالا واضحا كالشمس. وبالطبع فاني لا ارى التعليمات الاسلامية المتينة والنيرة على أنها وما هو معروف (بالتعاليم الاسلامية) بين الناس اليوم سواء.

**ما يحكم بناء الاسرة شيء أكثر من المساواة**

ان ما يبهز العالم الغربي في الوقت الحاضر هو مسألة (المساواة): بالرغم من ان الاسلام قد حل هذه المسألة قبل أربعة عشر قرنا. ففي الامور العائلية ذات

النظام الخاص يوجد ما هو فوق المساواة. ان الطبيعة قد وضعت وتضع للمجتمع المدني فقط قانون مساواة اما للمجتمع العائلي فقد وضعت كذلك قوانين اخرى. ان المساواة وحدها لا تكفي لتنظيم العلاقات الاسلامية. بل يجب معرفة كل القوانين الطبيعية الاخرى في مجال المجتمع الاسري.

### المساواة في الفساد

مما يؤسف له ان كلمة المساواة - بسبب التكرار والايحاء المتجدد - قد فقدت خاصيتها الاساسية، فقليل هم الذين يفهمون - من كلمة المساواة - المساواة في الحقوق، اما الكثيرون فيتصورون ان المساواة لو تحققت في مجال واحد فقد تحققت المطلوب، في نظر هؤلاء الجهلة ان الرجال كانوا في السابق يعتدون باقوالهم ولا يقيمون لكلام النساء وزنا ولا يقبلون اقوالهن حتى لو كانت حقا ومطابقة للواقع. اما اليوم وبعد ان انعكس الامر فقد تحققت المطلوب اذ حصلت المساواة في اعتداد كل من المرأة والرجل برأيه. وفي السابق كان ما يقرب من عشرة بالمئة من الزيجات تنتهي بالطلاق من جانب الرجال، اما اليوم فتنتهي اربعون بالمئة من الزيجات في بعض بلاد العالم بالطلاق والذي يقع نصفه من جانب النساء، اذاً فلنحتفل ولنفرح فان المساواة قد تحققت كاملة. في السابق كان الرجال فقط هم الذين يخونون زوجاتهم، وكانوا هم فقط يفقدون العفة والتقوى، اما اليوم فقد اصبحت النساء - بحمد الله - تخون ازواجهن، ولا تفقد بعضه ولا تقوى، فما أحسن هذا؟ لتحيا المساواة والموت للفوارق. في السابق كان الرجال مثال القسوة، وبالرغم من كونهم آباء لمجموعة من الاطفال المحبوبين فانهم يتركون الزوجة والطفل ليحروا خلف عشيقه جديدة، واليوم تقوم النساء المتزوجات - بعد مرور سنوات على الزواج وبعد انجاب مجموعة من الصغار - بهجر بيوتهن بقساوة عجيبة ويجرين خلف الهوى على اثر تعارف تم في اثناء حفلة راقصة مع رجل آخر. فما أحسن هذا! لقد وقفت المرأة مع الرجل على بساط واحد وتحققت المساواة.

هذا في الوقت الذي يجب علينا ان نداوي امراض المجتمع العديدة، وبدلاً من اصلاح نقاط الضعف لدى الرجال والنساء، واحكام أسس المؤسسة العائلية، ترانا نسعى يوماً بعد يوم من أجل زعزعة اسس هذا الكيان واضعافه،

ونشغل انفسنا بالرقص والدبك ونحن بحمد الله سائرون نحو تحقيق المساواة. لكننا نجد المرأة الآن تكاد تسبق الرجل في الفساد والانحراف والقسوة.  
لقد أصبح الآن واضحاً: لماذا لم يضع الاسلام مانعاً قانونياً يحول دون اجراء الطلاق بالرغم من بغضه واشمئزاه منه. فهل صار واضحاً ما هو معنى أبغض الحلال؟ وكيف يكون الشيء حلالاً وفي الوقت ذاته في منتهى البغض والكراهة؟

## حق الطلاق

(٤)

تبين من البحوث السابقة ان الاسلام يعارض الطلاق وانهيار العائلة، ويراها عدوين له، وقد اتخذ مختلف التدابير الاخلاقية والاجتماعية من اجل صيانة هذه المؤسسة من خطر الانحلال، وتوسل بمختلف الوسائل والطرق من اجل الحيلولة دون وقوع الطلاق واستعمل في ذلك انواع الاسلحة ماعدا سلاح القوة وسلاح القانون.

ان الاسلام يعارض استعمال القوة وسلاح القانون من اجل منع الرجل من ايقاع الطلاق وابقاء المرأة في بيت الرجل رغما عنه، انه يرى ذلك غير منسجم مع المقام والموقع الذي يريد للمرأة في المحيط العائلي. فان الركن الاساس في حياة العائلة هو الاحساسات والعواطف وان الذي يجب ان يجتذب الاحساسات والعواطف الزوجية لينشرها على اطفاله بدوره هو المرأة، وان انطفاء شعلة المشاعر الزوجية عند الرجل تجاه زوجته يجعل الجو العائلي باردا كئيبا. وحتى مشاعر الأمومة لدى أي امرأة تجاه اطفالها لها علاقة وثيقة باحساسات زوجها تجاهها، وكما تقول السيدة (بياتريس ماربو) التي نقلنا جانباً من حديثها في المقالة السابعة: ان احساسات الأمومة ليست غريزية بالمعنى الذي يجعلها ثابتة المقدار في جميع الاحوال، وغير قابلة للزيادة والنقصان، بل ان المقدار ما تتمتع به المرأة من عواطف زوجها تجاهها اكبر الاثر على مشاعر الأمومة التي تحسها تجاه اطفالها.

وبالنتيجة، فإن وجود المرأة يجب ان يتلقى من وجود الرجل عواطف واحساسات معينة ليتمكن من ان تفيض على اطفالها من هذا المنبع الغني عطفا وحنانا.

ان الرجل كالسهل بين الجبال، والمرأة كالنبع، والاولاد بمنزلة الزهور والنباتات. ان النبع بحاجة الى ان يجذب الامطار الساقطة على الجبال ليصوغها ماءً زلالاً صافياً يفيضه على الزهور والنباتات والزرع فتزهو وتنتعش. فاذا لم تهطل الامطار على الجبال، او كان السهل عاجزاً—لسبب ما—عن امتصاص مائها، جفت العين، وقضت على الزهور والنبات.

وكما ان اساس حياة السهل مرهونة بالامطار وخاصة الامطار الساقطة على قمم الجبال فان حياة الأسرة مرهونة باحساسات وعواطف الرجل تجاه المرأة. اذ هذه العواطف تصفو وتزهو حياة المرأة والاطفال.

فاذا كان لاحساسات وعواطف الرجل تجاه المرأة مثل هذا التأثير في روح الحياة العائلية، فكيف يمكن ان يستعمل القانون كسلاح وعصا ضد الرجل؟.

ان الاسلام يعارض بشدة الطلاق الغادر، وهو ان يقوم رجل بتسريح زوجته—بعد توقيع عقد الزواج وحيانا بعد مضي مدة من الحياة المشتركة بينها—بسبب هوى امرأة جديدة أو أي هوى آخر. لكن حل ذلك في نظر الاسلام لا يكون باجبار (الغادر) على الاحتفاظ بالزوجة، لان هذا الاحتفاظ لا ينسجم مع القانون الطبيعي للحياة العائلية.

واذا ارادت المرأة ان تعود الى دار زوجها بقوة القانون والقضاء، فانها تستطيع احتلال البيت احتلالاً عسكرياً، لكنها لن تصبح سيدة العائلة ولا واسطة لجذب حنان الزوج وعكسه على الاطفال، كما لن تتمكن من اشباع حاجتها الوجدانية الى الحب والحنان.

ان الاسلام قد سعى الى القضاء على ما ينافي الشهامة والطلاق القائم على ذلك في سلوك الرجل، كما سعى الى ان يقوم الرجال بشهامة وكرم برعاية النساء وخدمتهن. لكنه لا يرضى—لنفسه كمشروع ولا للمرأة كمركز للمنظومة العائلية وواسطة لاجتذاب وبث الاحساسات الحنونة—ان يحتفظ بالمرأة بالقوة والاكرام الى جانب رجل غادر.

ان ما فعله الاسلام هو بالضبط عكس ما فعله ويفعله الغرب واتباعه. فهو يكافح عوامل اللؤم والفساد والاستغراق في الاهواء، ولكنه غير مستعد للصاق المرأة بالقوة برجل لئيم غادر. بينما يزيد الغربيون واتباعهم في عوامل اللؤم والفساد والاسترسال يوما بعد يوم ثم يسعون الى الصاق المرأة بالقوة برجل غادر لئيم... أرجو أن تصدقوا أن الاسلام مع كونه لم يجبر اللثام من الرجال على الاحتفاظ بالنساء بل تركهم احرارا ووجه مساعيه كلها من اجل احياء الروح الانسانية والشهامة، قد استطاع من الناحية العملية أن يحد من حالات الطلاق الغادر. بينما الآخرون الذين لا يراعون هذه الجوانب الاخلاقية و يطلبون السعادة عن طريق القوة والحرب لم يوقفوا كثيرا في هذا المجال. فبغض النظر عن حالات الطلاق التي تحصل بطلب من النساء نتيجة عدم الانسجام أو بسبب ما تسميه مجلة (نيوز ويك) طلب المتعة من قبل النساء فان عدد حالات الطلاق التي تحصل نتيجة لجون الرجال عندهم تزيد كثيرا عما يقع عندنا لهذا السبب نفسه.

### طبيعة الصلح العائلي تختلف عن باقي انواع الصلح

مما لا شك فيه انه يجب ان يكون بين الرجل والمرأة سلام و صلح. الا ان الصلح والسلام اللذين يجب أن يسودا الحياة الزوجية هما غير الصلح والسلام اللذين يجب ان يكونا بين عمال في معمل، أو شريكين، أو بين جارين أو بين دولتين مشتركين في الحدود.

ان الصلح والسلام في الحياة الزوجية نظير الصلح والسلام الذي يجب ان يسود العلاقة بين الآباء والأمهات من جهة وبينهم وبين اولادهم من الجهة الاخرى، وهو يعدل التسامح والفاء، والاهتمام بالمصير المشترك، وكسر جدار الاحساس بغربة كل منهما عن الآخر، فيرى كل من الطرفين سعادته في سعادة الآخر وشقاءه في شقائه. هذا بخلاف الصلح والسلام بين زميلين في العمل او شريكين او جارين او دولتين جاريتين.

فقل هذا الصلح بمثابة عدم تعرض وعدم اعتداء طرف على حقوق الطرف الآخر. وبين الدولتين المتخاصمتين، يكفي ايضا ان يكون هناك «صلح مسلح». فاذا تدخلت قوة ثالثة واحتلت الشريط الحدودي بين الدولتين وحالت دون اصطدام قوات الدولتين ببعضهما فقد حلَّ الصلح. فالصلح السياسي ليس شيئا

أكثر من عدم التعرض وعدم الاشتباك .

لكن الصلح العائلي غير الصلح السياسي . ففي الصلح العائلي لا يكفي عدم تعدي احد الطرفين على حقوق الآخر، فان الصلح المسلح لا يحل المشكلة هنا . بل يلزمهم هنا شيء اسمى وأكثر أساسية، اذ يجب ان يتحقق الاتحاد والاندماج والتمازج الروحي، كما يلزم في الصلح بين الآباء والأبناء شيء اسمى من عدم التعرض . ومما يوسف له أن عالم الغرب - ولأسباب تاريخية أحياناً وأحياناً جغرافية - بعيد على العواطف (حتى في محيط الأسرة)، والصلح العائلي في نظر الرجل الغربي لا يختلف في شيء عن الصلح السياسي او الاجتماعي . فهو كما يُقر السلام بتمركز قوة على الحدود بين الدولتين يريد ان يقره بتمركز قوة المحكمة على حدود حياة المرأة والرجل، غافلاً عن ان الحياة العائلية مبنية على اساس الوحدة ورفض القوة الخارجية، وازالة الحدود .

واتباع الغرب - بدلاً من مواجهة الغرب بأخطائه في المسائل العائلية والتباهي بأصالة ما عندهم -، صبغوا أنفسهم بصبغته حتى عادوا لا يعرفون أرجلهم من رؤوسهم ولا يعرفون أنفسهم . الآ أن هذا الضياع الذاتي سوف لا يستمر طويلاً . وليس ذلك اليوم - الذي يسترد فيه الشرق شخصيته ومحطم قيود عبوديته للغرب و يعتمد على فكره المستقل وفلسفته المستقلة في الحياة - بعيد .  
وهنا لابد من ذكر امرين :

## ١ - الاسلام يرحب بكل ما يصرف الرجل عن الطلاق

قد يفهم بعض الناس من كلامنا السابق اننا نقصد انه يجب الا يوضع اي عائق يعوق الرجل عن الطلاق، وان يفسح له في المجال ان هو رغب فيه . كلا، ليس كذلك ، ان ما قلناه هو ان الاسلام لا يجبذ استعمال قوة القانون لمنع الرجل من ايقاع الطلاق . بل يرحب بكل ما يصرف الرجل عنه، وقد وضع للطلاق - عامداً - شروطاً تستوجب بطبيعتها تأخير الطلاق، وغالباً ما تؤدي الى الانصراف عنه .

اذ علاوة على أن الاسلام قد أوصى مجري صيغة الطلاق والشهود وغيرهم بأن يذولوا مساعيم الجديدة لصرف الرجل عن فكرة الطلاق، فقد جعل صحة وقوع الطلاق قائمة على حضور شاهدين عادلين، وهذان الشاهدان سيعملان بكل

طاقتها—وبما يتمتعان به من عدالة وتقوى— على إيجاد الصلح والصفاء بين المرأة والرجل.

أما ما هو معمول به هذه الايام من ايقاع صيغة الطلاق بحضور شخصين عادلين لم يسبق لهما ان رأيا الزوجين ولا عرفاهما، انما سمعا باسميها فقط، فبحث آخرلا علاقة له بنظرة وهدف الاسلام. فالمتعارف بيننا هو ان يُحضر مجري الطلاق شاهدين عادلين ويذكر امامهما اسم الزوج والزوجة. فمثلا يقول: الزوج احمد والزوجة فاطمة، وأنا قد طلقت الزوجة وكالة عن الزوج. ولكن من هو احد ومن هي فاطمة؟ وهل سبق لهذين الشاهدين العدلين اللذين يستمعان الى صيغة الطلاق ان رأيا الزوجين؟ ولو طلبا يوماً للشهادة، فهل يستطيعان ان يشهدا قائلين: نعم قد وقع بحضورنا طلاق هذين الزوجين بالذات؟ طبعاً لا، اذا فأى شهادة هذه؟ أنا لا أدري.

وعلى كل حال، فن الامور التي توجب انصراف الرجل عن الطلاق شرط حضور شاهدين عدلين اذا اريد اجراؤه بصورة صحيحة. ان الاسلام عند الزواج—الذي هو بداية الاتفاق— لم يشترط حضور شاهدين عدلين، اذ لم يرد ان يؤخر عمل الخير. لكنه من اجل الطلاق—الذي هو انهاء للاتفاق— اشترط حضور الشاهدين العدلين.

كذلك فان الاسلام عند الزواج لم يعتبر وجود العادة الشهرية عند المرأة مانعاً من ايقاع العقد، بينما اعتبرها مانعاً من وقوع الطلاق، مع العلم ان العادة الشهرية عند المرأة لكونها تمنع الاتصال الجنسي بين المرأة والرجل، فهي متعلقة بالزواج لا بالطلاق الذي هو انفصال وفراق المرأة عن الرجل حيث لاصلة بينها بعد ذلك. وعلى هذا الأساس، كان يجب ان يحرم الاسلام اجراء صيغة الزواج عند وجود العادة الشهرية، اذ من الممكن أن الزوجين اللذين يلتقيان لأول مرة لا يمتنعان عن بعضهما في وقت العادة، بخلاف الحال في الطلاق الذي هو انفصال وافتراق ولا تأثير للعادة فيه. ولكن الاسلام باعباره يؤيد (الوصل) و يعارض (الفصل)، جعل وقت العادة مانعاً من وقوع الطلاق، ولم يجعله مانعاً من صحة الزواج. وفي بعض الحالات يجب (التربص) ثلاثة اشهر من أجل ان يصبح اجراء الطلاق جائزاً. وبديهي ان جميع هذه المعوقات والموانع قد أوجدت على أمل أن تزول في خلال هذه المدة، المشاكل أو الغضب الذي كان قد أدى الى التصميم

على الطلاق و يعود الزوجان الى حياتها الاعتيادية .  
وعلاوة على ذلك ، فحين تكون الكراهية من قبل الرجل و يوقع الطلاق  
بشكل رجعي ، تعطى للرجل فرصة للتفكير باسم (العدة) يمكنه خلالها أن يرجع  
الى زوجته .

فالاسلام يفرضه نفقات الزواج والعدة وحفظ ورعاية الاطفال  
على عاتق الرجل ، يكون قد وضع عائقا عمليا امام الرجل للتخلي عن الطلاق .  
فالرجل الذي يريد طلاق زوجته والزواج من اخرى ، يجب ان يدفع نفقة عدة  
الزوجة الاولى ، ونفقات اولاده منها ، و يدفع مهر الزوجة الجديدة ، و يتعهد بنفقاتها  
من جديد ونفقات اولادها القادمين .

هذه الامور - علاوة على مسؤولية ورعاية الاطفال الذين قد طُلقت  
أهمهم - تشكل صورة مخيفة للرجل من الطلاق وتحول بينه وبين ايقاعه .  
وبغض النظر عن كل ذلك ، فان الاسلام أوجب - عند وجود الخوف  
من انهيار المؤسسة العائلية - تشكيل محكمة عائلية لتحكم في الخلاف بين  
الزوجين . يتم على اساسها تعيين حكم ينوب عن الزوج وحكم ينوب عن الزوجة  
من أجل الاصلاح .

هذان الحكمان يبذلان أقصى الجهود من أجل ان يصلحا بينها ويحلا  
خلافاتها واذا وجدا أحيانا - وبعد التشاور مع الزوجين - ان الانفصال أصلح  
لها فرقا بينها بالطلاق . وبالطبع اذا كان بين أهل الزوجين افراد يصلحون للحكم  
بينها كانوا اولى من غيرهم بتولي الحكم . و ينص القرآن الكريم في الآية ٣٥ من  
سورة النساء على ذلك قائلا :

«وان خفتم شقاق بينها فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها . ان يُريدا  
اصلاحا ، يوفق الله بينها ان الله كان عليماً خبيراً» .

يقول صاحب تفسير الكشاف في تفسير كلمة (حَكَمَ) : «أي رجلاً مقنعاً  
رضياً يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينها» .

ثم يقول : ان السبب في أن يكون الحكمان - بالدرجة الاولى - من بين  
اقارب الزوجين ، هو أن الاقارب اكثر اطلاعا من غيرهم على ما يجري بينها ، كما  
ان حرصهم على الاصلاح بين الزوجين اكثر من حرص الغريب . وعلاوة على  
هذا ، فان الزوجين يمكن أن يكشفوا من أسرارها الخاصة للأقارب أكثر مما

يكشفها للغريب وما يمكن أن يصرح به من الأسرار لا قاربها قد لا يصرحان به  
امام الغير.

بقي ان نقول: هل إن تشكيل هذه المحكمة واجب ام مستحب؟ يوجد في  
هذا المجال اختلاف بين العلماء. يقول المحققون ان ذلك من مهمة الحاكم وهو  
واجب. ويفتي الشهيد الثاني في المسالك بصراحة بأن مسألة التحكيم بالترتيب  
الذي ذكر واجب وضروري وهو من مهام الحكام.

والسيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار بعد أن يذكر رأيه في ان  
تشكيل المحكمة واجب، يشير الى اختلاف علماء الاسلام حول وجوب او استحباب  
هذا العمل ويقول: ان الذي يفتقد عملياً بين المسلمين هو هذا العمل  
والاستفادة من مزاياه التي لا تحصى، فالطلاق يقع باستمراره والشقاق والخلاف  
يجد طريقة دائماً الى البيوت والعوائل بدون أن يستفاد ولو اقل فائدة من مبدأ  
التحكيم الذي نص عليه القرآن الكريم، بينما تصرف طاقة علماء الاسلام في  
النقاش والجدل حول وجوب أو استحباب هذا العمل. وليس هناك شخص  
يقول: سواء كان ذلك واجباً ام مستحباً، لماذا لا نخطون خطوة لتنفيذه؟ لماذا  
تصرفون كل جهودكم في الجدل والنقاش؟ فاذا لم يعمل به ولم يستفد الناس من  
مزاياه، فما الفرق بين ان يكون واجباً او مستحباً؟

ويقول الشهيد الثاني، فيما يخص الشروط التي يمكن ان يفرضها الحكام  
على الزوج للاصلاح بين الزوجين: «مثلاً يلزم الحكام الزوج أن يسكن زوجته  
في البيت الفلاني او المدينة الفلانية، او مثلاً: ألا تسكن والدته أو امرأة اخرى في  
نفس بيت الزوجة ولو في غرفة منفصلة، أو أن يدفع نقداً مهر زوجته الذي في ذمته  
مثلاً، أو— اذا كان لزوجته دين في رقبته— أن يدفعه لها فوراً».

والغرض ان كل عمل يعيق اقدام الزوج على إنجاز الطلاق هو عمل سليم  
ومطلوب في نظر الاسلام.

وهنا نأتي للإجابة عن السؤال الذي طرح في المقالة الثانية والعشرين كما  
يلي: هل يحق للمجتمع «أي الهيئة التي اسمها المحكمة والتي تنوب عن المجتمع»  
ان تتدخل في أمر الطلاق— الذي هو مبغوض ومكروه في نظر الاسلام— بالشكل  
الذي يعيق الرجل عن ايقاعه؟

الجواب: يمكن لها بالطبع ان تفعل ذلك. لان التصميم على الطلاق ليس

في كل الحالات علامة على الموت الحقيقي للزواج، أي ليس كل حالات التصيم على الطلاق دالة على الانطفاء التام لشعلة حب الرجل وسقوط المرأة من مكانها الطبيعي وعدم قابلية الرجل على الاحتفاظ بها. إذ أن أكثر الحالات تكون عادة اثر الغضب أو الغفلة أو الخطأ. فكل ما يقدم عليه المجتمع من اجراءات تعيق فيه الطلاق الناشئة عن الغضب والغفلة، أمر يرحب به الاسلام.

ويمكن للمحاكم - باعتبارها نائبة عن المجتمع - ان تمنع مسؤولي مكاتب الطلاق من ايقاعه الى أن تبلغهم هي بفشل جهودها في الاصلاح بين الزوجين، وخلال تلك الفترة تقوم ببذل المساعي الجدية من اجل الاصلاح بين الزوجين، حتى اذا ثبت لها عدم امكانية الصلح بينها، اصدرت بياناً بهذا الخصوص لاطلاع مسؤول مثلي هذه المكاتب.

## ٢ - الخدمات السابقة التي أدتها المرأة للأسرة

إن طلاق الغدر علاوة على ما يسببه من انهيار المؤسسة العائلية المقدسة، فانه يوجد مشاكل خاصة للمرأة لا يمكن التغاضي عنها، فالمرأة عاشت سنين طويلة تخلص لهذا الرجل، ولا ترى بينه وبينها فرقاً في الملكية، وترى البيت بيتاً هي كما هو بيته، وقد بذلت اقصى الخدمات والجهود من أجل تربيته وتنظيمه، وفي الغالب ان النساء - غير النساء المتحضرات من سكنة المدن - يجتهدن في التقشف في المأكل والملبس ونفقات المنزل الى حد يغضب الرجال، ويتضايقن من فكرة استخدام خادمة للبيت من اجل توفير بعض النفقات. وبيد لن قصارى جهودهن وينفقن شبابهن وسلامتهن من أجل البيت أو في الواقع من اجل الزوج. والآن لنفرض ان زوج مثل هذه المرأة - بعد هذه السنين من العيش المشترك - يشور في رأسه هوى الزواج من امرأة جديدة وطلاق زوجته الاولى ثم الاتيان بالزوجة الثانية الى بيت الاولى ومصادرتة منها، هذا البيت الذي بنته بجهودها وأفنت من أجله زهرة شبابها وصحتها واصبح محط آمالها وآمالها تحسره في لحظة طيش وهوى زوجها الذي يريد ان يهوي بشمرة جهودها وتعها. فما العمل في هذه الحال؟

هنا لم تعد المسألة مسألة انهيار الأسرة وتفكك عرى الرابطة الزوجية كي نقول: ان غدر الزوج يؤدي الى موت الزواج وان فرض الزوجة على هذا الزوج

الغادير يقلل من شأنها ومكانتها الطبيعية.

وهناك مسألة أخرى هي مسألة التشريد والحرمان من كل شيء، مسألة تسليم العرش الى المنافس، مسألة ضياع ثمرة الجهود والأنعاب والأنصاب والخدمات.

ليذهب الزوج والبيت والعائلة والحياة الزوجية المنطقية الى جهنم، لكن كل انسان يريد ان يكون له مأوى وبيت، وهو متعلق بعشه الذي بناه بيده. اذ لو اريد اخراج حمامة من عشها وبيتها الذي بنته، لدافعت عنه. افليس من حق المرأة ان تدافع عن بيتها وعشها؟ أو ليس هذا العمل ظلماً واضحاً من جانب الرجل؟ فما هو رأي الاسلام بهذا الخصوص؟

في نظرنا ان هذه المسألة جديرة جدا بالاهتمام، وان اكثر المشاكل الناجمة عن الطلاقات الغادرة هي من هذا النوع. ففي مثل هذه الحالات لا يكون الطلاق مجرد فسخ عقد وحسب بل خسارة فادحة اشبه بافلاس التاجر، وقضاء كامل على المرأة.

لكن، وكما اشرنا في متن السؤال، فان مسألة البيت والعش منفصلة عن مسألة الطلاق، ويجب بحثها كلا على حدة. اما من وجهة نظر الاسلام والقوانين الاسلامية فهذه المشكلة قد حلت. وما وقوعها الا نتيجة الجهل بالقوانين الاسلامية واستغلال الرجال لوفاء النساء وطبيتهن.

وان هذه المشكلة ناجمة عن اعتقاد اكثر الرجال والنساء بأن عمل المرأة وخدمتها في بيت الرجل ونتائج هذه الخدمة هي ملك للرجل، بل انهم يعتقدون ان للرجل الحق في أن يصدر الاوامر للمرأة كما لو كانت أمة مأجورة وعلى المرأة أن تطيع أوامره. هذا في الوقت الذي قد ذكرنا مرارا ان المرأة لها حرية كاملة في العمل والفعالية. وان ثمرات عملها ملك لها وليس للرجل حق في أن يتصرف معها ككرب عمل. ان الاسلام بفعل الاستقلال الاقتصادي الذي منحه للمرأة وبفعل وضعه النفقات عنها والقائها على عاتق الرجل لتأمين احتياجاتها واحتياجات اولادها، قد منحها فرصة كافية وتامة لكي تستغني عن الرجل وتصور كرامتها من الاحتياج الى المال والثروة بحيث لا يكون هذا الجانب سببا في قلقها فيما لو طلقها زوجها، وان جميع الاشياء التي وفرتها هي لمنزلها وعشها ملك لها وليس للرجل الحق في سلبها منها. وهذا النوع من القلق يرتبط بالنظم التي تكون

فيها المرأة مرغمة على العمل في بيت الزوج و يتملك الزوج ثمرات عملها وجهودها. والقلق الموجود بين شعوبنا من هذه الناحية ناشئ غالباً عن الجهل بالقانون الاسلامي .

والسبب الآخر لهذه المشاكل هو استغلال الرجل لوفاء المرأة، فان بعض النساء يضحين من اجل بيوتهن، لا لجهلهن بقوانين الاسلام وانما لثقتن بالازواج. فهن يرغبن في الا يكون بينهن وبين الازواج مسألة انا وانت. ولهذا لا يفكرن في مصلحتن الخاصة ولا في اغتنام الفرصة التي هيأها الاسلام لهن. ويفتحن اعينهن ذات يوم ليجدن أن العمر قد انقضى بالتضحية من اجل شخص لا وفاء له ودون ان يستفدن من الفرص الكافية التي منحها الاسلام لهن.

ان امثال هؤلاء النسوة يجب ان يدركن منذ البداية ان (ما احسن ان يكون الحنان من الطرفين)<sup>١</sup> فاذا كانت المرأة تريد التخلي عن حقها الشرعي في تهيئة المال الخاص بها وبناء عش يكون ملكا لها، وتريد ان تهب زوجها كل طاقاتها وجهودها، فعلى الزوج بالمقابل -وعملاً بقول الله تعالى: «واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها» أن يهب زوجته شيئاً يعادل ذلك او يزيد عليه في القيمة بشكل هدية. ومن الأمور المتداولة بين الرجال الأوفياء انهم يهدون لزوجاتهم أشياء ثمينة او بيتاً أو ملكاً آخر في مقابل تضحياتهن وخدماتهن الصادقة.

وعلى كل حال فشكلة تشريد الزوجة لاعلاقة لها بالطلاق، وتغيير قانون الطلاق لا يحل هذه المشكلة. انها ترتبط بالاستقلال الاقتصادي للمرأة أو عدمه، وقد وضع الاسلام حلاً لذلك. هذه المشكلة قد سادت في أوساطنا بسبب جهل بعض النساء بالتعاليم الاسلامية، وغفلة وبساطة البعض الآخر. فلوان النساء وعين قيمة الفرصة التي هيأها الاسلام لهن في هذا المجال ولم تكن تضحيتن وتسامحن في سبيل الزوج عن سداجة حللت هذه المشكلة نفسها بنفسها.

١ - ترجمة لئل ايراني يقول: «چه خوشی؛ مهربانی از دوسری»

## حق الطلاق

(٥)

يتذكر القارئ الكريم اننا ذكرنا في المقال الثاني والعشرين أن مشاكل الزواج عندنا تتلخص في جانبين:

**الاول:** الطلاق الغادر، وينشأ عن عدم الوفاء وانعدام الروح الانسانية لدى بعض الرجال.

**الثاني:** الامتناع الغادر من قبل بعض الرجال عن طلاق المرأة التي لا أمل في التوفيق بينها وبين زوجها، فهو يمتنع عن الطلاق لا رغبة في العيش معها وإنما في تعذيبها.

وقد بحثنا الجانب الاول في الفصلين السابقين، وقلنا ان الاسلام يرحب بكل ما يؤدي الى منع الطلاق الغادر، كما سعى -بتدابير خاصة وضعها- الى الحيلولة دون وقوع مثل هذا الطلاق. لكنه عارض استعمال القوة في احكام الروابط العائلية.

يتبين - مما قيل لحد الآن - ان العائلة في نظر الاسلام كائن حي، والاسلام يسعى من أجل ان يبقى هذا الكائن حياً. وينظر اليه بأسى وحزن حين يموت ويأذن بدفنه، لكنه غير مستعد لتحنيطه بنحوظ القانون ولا الاحتفاظ به عنطاً على هذه الصورة.

وتبين أن سبب منح الرجل حق الطلاق هو ان العلاقة الزوجية قائمة على

اساس طبيعي ولها تركيبة خاصة وحركة خاصة، وقد سلمت الطبيعة مفتاح توثيق هذه العلاقة ومفتاح إضعافها والقضاء عليها بيد الرجل أيضا. وكل من المرأة والرجل له موقع خاص بالنسبة لصاحبه بحكم الطبيعة، وهذا الموقع غير قابل للتغيير ولا للتماثل وقد أسفر هذا الموقع والوضع بدوره عن نتائج عديدة ومن جملتها حق الطلاق. وبتعبير آخر، ان سبب هذا الامر هو الدور الخاص والتميز لكل من المرأة والرجل في مسألة الحب والبحث عن الزوج لاشيء آخر.

### حق الطلاق نابع من دور الرجل الخاص في مسألة الحب لا من ملكيته

وهنا يمكنكم أن تبينوا قيمة الدعايات التي يطلقها اعداء الاسلام. فهم تارة يقولون ان السبب الذي دعا الاسلام الى منحه الرجل حق الطلاق هو أنه لا يرى المرأة ذات ارادة ومشاعر وآمال، بل يعتبرها من جملة الاثاث لا الاشخاص. ان الاسلام يعتبر الرجل مالكا للمرأة ويمنحه بحكم «الناس مسلطون على اموالهم» الحق في أن يعتق مملوكه في أي وقت يشاء.

ولكن قد تبين ان منطق الاسلام ليس مبنيا على ان الرجل مالك والمرأة مملوكة، وتبين ان منطق الاسلام أدق وأرقى من مستوى افكار هؤلاء الكتاب. انه — بنور الوحي — قد أدرك نقاطاً واسراراً في اساس بناء الاسرة لم يقتررب العلم من معرفتها الا بعد أربعة عشر قرناً.

### الطلاق تفريق بيننا الزواج تأليف

وتارة يقولون: لماذا يتخذ الطلاق صورة التسريح؟ وانه يجب ان يتخذ شكلا قضائيا. وجوابنا هؤلاء: ان الطلاق تسريح من حيث يكون الزواج صحية، فانكم اذا استطعتم ان تغيروا قانون البحث عن الزواج في مطلق جنس الذكر والانثى واخرجتم الصورة الطبيعية عن شكل الصحة، واذا استطعتم — في علاقات جنس الذكر بجنس الانثى في الحيوانات والانسان — ان تجعلوا لكل منها دوراً مشابهاً لدور الآخر، وغيرتم قانون الطبيعة عندها فقط يمكنكم ان تخرجوا الطلاق عن صورة التسريح.

ويكتب أحد هؤلاء قائلًا: «ان عموم فقهاء الشيعة يعتبرون عقد الزواج من العقود الملزمة، كما ان القانون المدني الايراني يعتبره حسب الظاهر كذلك.

لكنتي اريد ان اقول ان عقد النكاح طبقا للفقہ الاسلامي والقانون المدني الايراني ملزم للمرأة فقط، اما للرجل فعقد جائز، اذ انه متى ما اراد ان يلغي أثر هذا العقد؛ انهي الزواج».

ثم يقول: «ان عقد الزواج جائز للرجل وملزم للمرأة، وهو ظلم قانوني لأنه جعل المرأة أسيرة الرجل. انني كلما قرأت المادة ١١٣٢ من القانون المدني لدولة ايران الشاهنشاهية (قانون حق الرجل في الطلاق)، أشعر بالحنين من سيدات ايران، ومن هذه المدارس والجامعات، ومن هذا القرن الذري والأقمار والديمقراطية».

ان هؤلاء السادة - ابتداءً - لم يتمكنوا من ادراك امر واضح هو ان الطلاق غير فسخ عقد الزواج، اما قولهم ان عقد الزواج ملزم بالطبع، فهذا يعني ان ليس لأي من الزوجين (الا في حالات خاصة) الحق في فسخه. فاذا فسخ العقد، بطلت كل الامور التي تترتب عليه وكان شيئاً لم يكن، ومن جلتها المهر، وعندها ليس للمرأة حق المطالبة به، ولا بنفقة العدة، بخلاف الطلاق الذي ينهي العلاقة الزوجية لكنه لا يمحو آثار العقد تماماً، فلو أن رجلاً عقد زواجه على امرأة وجعل مهرها مثلاً خمس مئة الف تومان ثم أراد بعد يوم واحد من الحياة الزوجية المشتركة ان يطلقها، وجب عليه أن يدفع المهر كاملاً بالاضافة الى نفقة ايام العدة. ولو أنه أراد ان يطلقها بعد العقد وقبل الارتباط الزوجي (الدخول) وجب عليه ان يدفع نصف المهر. ولما كانت المرأة في هذه الحالة لاعدة لها، فقد اتفق موضوع نفقة العدة. يتبين من هذا ان الطلاق لا يمكنه ازالة كل آثار العقد، بينما لو ان عقد الزواج المذكور قد فسخ، لما كان للمرأة حق في المهر. ومن هنا يفهم ان الطلاق غير الفسخ. فحق الطلاق لا يتنافى مع الزامية العقد. والاسلام انما ينظر الى امرين: أمر الفسخ وأمر الطلاق. اما حق الفسخ فقد اعطي للمرأة والرجل على حد سواء عندما تكتشف عند احدهما عيوب معينة فيحق للآخر ان يفسخ بخلاف حق الطلاق الذي حصر بالرجل في حالة فقدان روح الحياة العائلية.

فكون الاسلام قد عامل الطلاق بغير ما عامل الفسخ ووضع تعاليم ومقررات خاصة للطلاق فذلك يعني انه في منطق الاسلام لم يعط حق الطلاق للرجل بهدف منحه ميزة خاصة.

يجب ان يقال لمثل هؤلاء المعترضين انه من اجل الاتنجلوا من المدارس والجامعات والأقمار الصناعية ادرسوا لمدة من الزمان، كي تفرقوا بين الفسخ

والطلاق وتتعرفوا على الفلسفة الاسلامية العميقة والدقيقة للمجتمع والاسرة لكي لا تخجلوا من المدارس والجامعات وحسب، بل تمروا من أمامها مرفوعي الرؤوس. لكن المؤسف هو ان الجهل مرض صعب الشفاء.

### العقوبة المترتبة على الطلاق

وضعت في بعض قوانين العالم القديم غرامة معينة من اجل منع الطلاق، ولا أعلم ما اذا كانت في قوانين العالم اليوم مثل هذه الغرامة ام لا. لكن قرأت ان اباطرة روما المسيحية كانوا يعاقبون الزوج الذي يطلق زوجته بدون سبب وجيه. بديهي ان هذا نوع آخر من انواع استخدام القوة من أجل تثبيت بناء الاسرة ولكن لا فائدة ترتجى منه.

### منح المرأة حق الطلاق كحق تفويضي

هنا يجب ان نوضح امراً هو ان جميع أحاديثنا كانت على اساس ان الطلاق حق طبيعي خاص بالرجل. اما كون الرجل يستطيع ان يعطي حق الطلاق للمرأة -وكالة عنه- بشكل مطلق، أو في حالات معينة، فمسألة أخرى يقبلها الفقه الاسلامي و يصرح بها القانون المدني الايراني. ومن أجل الا يتراجع الرجل عن هذا التوكيل فيسلب المرأة حقها التفويضي، اي من أجل أن تكون الوكالة مضمونة وسارية المفعول حتى النهاية، يذكر هذا التوكيل كشرط ضمن العقد، وبموجب هذا الشرط يمكن للمرأة أن تطلق نفسها مطلقاً أو في حالات خاصة تعين منذ البداية.

ولهذا، فنذ قديم الزمان تقوم النساء - اللواتي يعوزهن الاطمئنان الكامل الى أزواج المستقبل - بالاحتفاظ لانفسهن بحق الطلاق بصورة شرط ضمن العقد ليستفدن منه عند الضرورة.

في نظر الفقه الاسلامي، لا تملك المرأة حق الطلاق بصورة طبيعية. لكن يمكنها ذلك بصورة وضعية أي باشرطه ضمن العقد.

جاء في المادة (١١١٩) من القانون المدني مايلي: «يجق لطرفي عقد الزواج ان يشترطا اي شرط لا يتعارض ومقتضيات العقد المذكور وذلك ضمن عقد الزواج او اي عقد ملزم آخر، كما لو اشترط مثلاً انه لو تزوج الزوج من امرأة ثانية أو غاب

لمدة معينة أو توقف عن الانفاق او حاول الاساءة الى حياة الزوجة أو اساء  
الاخلاق معها، بحيث اصبحت حياتها المشتركة مستحيلة، فان الزوجة تستطيع  
—بناءً على توكيل زوجها لها— أن تطلق نفسها بعد اثبات تحقق الشرط في المحكمة  
وصدور حكم نهائي بذلك».

وكما تلاحظون، فان ما يقولونه —من ان الطلاق حق من جانب  
واحد... أعطي للرجل فقط وسلب من المرأة كلياً،— أمر غير صحيح في نظر  
الفقه الاسلامي والقانون المدني الايراني.

في الفقه الاسلامي وكذلك القانون المدني الايراني لوجود حق الطلاق  
للمرأة بشكل حق طبيعي، بل يمكن أن يوجد بشكل حق وضعي.  
والآن يأتي دور القسم الثاني من بحثنا، أي موضوع الامتناع الغادر والظالم  
من بعض الرجال عن ايقاع الطلاق. لننظر هل وضع الاسلام حلاً لهذه المشكلة  
التي هي في حقيقتها مشكلة كبرى أم لا؟ هذا ما سنبحثه في الفصل القادم تحت  
عنوان (الطلاق القضائي).

### الطلاق القضائي

الطلاق القضائي هو الطلاق الذي يجريه القاضي لا الزوج.  
في كثير من قوانين العالم، وضع الطلاق كلياً بيد القاضي، والمحكمة هي  
وحدها التي يحق لها ابداء الرأي في الطلاق وانهاء الزوجية، وجميع حالات الطلاق  
—في نظر هذه القوانين— هي من نوع الطلاق القضائي. وقد أوضحنا في المقالات  
السابقة بطلان هذه النظرية على أساس تفهم روح الزواج، والهدف من تشكيل  
المؤسسة الاسرية، والموقع الذي يجب ان يكون للمرأة في محيط الاسرة، وأثبتنا ان  
حالات الطلاق التي تقع بصورة عادية لا يمكن ان تخضع لوجهة نظر القاضي.  
اما بحثنا الحالي فيدور حول، هل للقاضي في نظر الاسلام —مع كل  
الشروط القاسية التي يشترطها الاسلام في القاضي— حق الطلاق مهما كانت  
الظروف والاضاع، ام ان له الحق في حالات خاصة على قلبها وندرتها؟  
ان الطلاق هو الحق الطبيعي للرجل، ولكن بشرط ان تكون علاقته  
بالمراة طبيعية ومعياري طبيعية هذه العلاقة هو أنه اذا اراد الحياة المشتركة مع المراة

فيجب عليه أن يعاشرها بالحسنى والمعروف، وذلك بالألا يمتنع عن طلاقها، بل يدفع لها حقوقها الواجبة ومبلغاً اضافياً تنفيذاً لقوله تعالى:

«ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره»<sup>١</sup>

و يعلن انتهاء العلاقة الزوجية.

اما اذا لم تجر الأمور بصورتها الطبيعية، فما العمل؟ اي حين يوجد رجل لا هو يريد العيش المشترك فيحسن معاشره الزوجه و يبني اسره سعيدة كما يريد الاسلام، ولا هو يطلقها لتذهب الى حال سيئها، وبتعبير آخر: لا هو يقوم بواجبات الزوجية فيرضي زوجته ولا هو يرضى أن يطلقها. فما العمل في هذه الحالة؟

ان الطلاق الطبيعي كالولادة الطبيعية يطوي مراحل بصوره طبيعية. اما طلاق الرجل الذي لا يقوم بواجباته الزوجية ولا يرضى ان يطلق، فشبيه بالولادة غير الطبيعية، حيث لا بد من تدخل الطبيب والجراح لاجراء الطفل.

هل ان بعض الزيجات سرطان وان المرأة يجب ان تشق لتبقى؟

والآن لننظر ماذا يقول الاسلام عن مثل هذا الطلاق ومثل هؤلاء الرجال؟ هل يقول ايضا ان الطلاق يرتبط برأي الرجل مئة بالمئة، فاذا لم يوافق مثل هذا الرجل على الطلاق، فيجب على المرأة أن تشق لتبقى، بينما يقف الاسلام موقف المتفرج؟

ان رأي الكثيرين هو: «ان هذا الامر لا يقبل العلاج في نظر الاسلام، انه نوع من السرطان الذي يصيب بعض الناس أحياناً ولا يملكون له علاجاً، ويجب على المرأة ان تشق لتبقى... حتى تنطفئ شمعة حياتها بالتدرج».

وفي نظري، ان هذا النوع من التفكير يتعارض مع المبادئ الاسلامية المعروفة، فالدين الذي ينادي بالعدل، و يعتبر (القيام بالقسط) هو الهدف المبدي والأساس لجميع الانبياء:

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط»<sup>٢</sup>.

١ - البقرة: ٢٣٦.

٢ - الحديد: ٢٥.

كيف يمكن الايفكرف في حل لمشل هذا الظلم الفاحش الواضح؟ وهل يمكن ان يضع قوانينه بالشكل الذي تنجم عنه معاناة الضعفاء لما يشبه السرطان و يتجرعوا الغصص والآلام حتى الموت؟

ان مما يدعو الى الأسف ان يعتقد بعض الافراد — الذين يقرون بان الاسلام دين العدل وهم انفسهم اعضاء محاكم — بمثل هذا الرأي، ولو اننا الصقنا بالاسلام قانونا ظالما تحت عنوان (السرطان)، فلن نجد بأسا بعد ذلك من قبول قانون ظالم آخر تحت عنوان (الكرز) وآخر بعنوان (السل) ورابع بعنوان (الشلل) ومجموعة اخرى من القوانين الظالمة بعناوين اخرى.

اذا كان الامر كذلك، فأين مبدأ العدل الذي هو اساس التقنين الاسلامي؟ واين (القيام بالقسط) الذي هو هدف الانبياء؟

انهم يقولون: سرطان. واقول: حسناً، اذا كان سرطاناً، ويمكن انقاذ المصاب به بعملية جراحية، افلا يجب أن تجري له العملية فوراً لانقاذه؟

فالمراة التي تتزوج من رجل لتشاركه حياته، ثم تتغير الامور الى وضع يسيء فيه الرجل استخدام صلاحياته، ويمتنع عن طلاق المراة لامن أجل ان تبقى له زوجة وشريكة في الحياة وانما ليحول بينها وبين الزواج مجدداً ممن يناسبها وينسجم معها، وبتعبير القرآن يذرها «كالمعلقة»، هذه المراة قد ابتليت حقاً بما يشبه السرطان. لكن هذا السرطان هو من النوع الذي يمكن استئصاله بالعملية الجراحية ويشفى المصاب به شفاءً كاملاً، مثل هذا العلاج وهذه العملية يمكن قبولها اذا تمت على ايدي حكام او قضاة شرعيين جامعين للشرايط الاسلامية المتبعة.

كما ذكرنا في المقالات السابقة، ان احدى المشكلتين الكبيرتين في مجتمعتنا في باب الطلاق هي امتناع بعض الرجال الظالمين عن ايقاع الطلاق وهم بذلك يرتكبون ظلماً كبيراً باسم الدين. هذا النوع من الظلم — اضافة الى ذلك النوع من التفكير الخاطيء الذي يقول: إن المراة يجب ان تتحمل هذا اللون من الظلم على أنه سرطان غير قابل للعلاج — كان مدار تشهير وتنديد بالاسلام ترك اثرأ سيئاً لم يتركه غيره من الشبهات.

وبالرغم من أن البحث في هذا الموضوع يقودنا الى جوانب فنية و تخصصية، ومخرجنا عن حدود هذه المقالات الا انني ارى انه يجب البحث فيه ولو

الى الحد الذي يرفع الغشاوة عن اعين المتشائمين ليروا ان مايقوله الاسلام هو غير ما يقوله هؤلاء الناس.

### طرق مسدودة

ان مثل هذه المغالقات لا تقتصر على قضايا الزواج والطلاق فحسب فهي ترد أيضا في مسائل أخر كالأموال المالية، فلننظر أولاً ماذا فعل الاسلام تجاه مثل هذه الحالات في غير مجالات الزواج والطلاق. فهل تعامل معها على انها طريق مسدودة وظاهرة غير قابلة للحل، ام انه فتح الطريق وحل اشكالاتها؟

فلنفرض ان شخصين ورثا معا شيئاً لا يقبل التقسيم كالجوهرة او الخاتم او السيارة او لوحة فنية، وهما يرفضان استعماله على سبيل التناوب كأن يكون مرة، عند احدهما ومرة عند الآخر، كما يرفض كل منهما بيع حصته الى الآخر، ويرفضان كل انواع الحلول الاخرى. فن ناحية نعلم أن تصرف أي منها بهذا الارث يتوقف على اذن ورضا الطرف الآخر فعمل في هذه الحالة؟ هل يبقى هذا الشيء معطلا لا يستفيد منه أحد، و يعتبر الموضوع امراً غير قابل للحل؟ ام ان الاسلام قد وضع لمثل هذه الحالات حلاً مناسباً؟

الحقيقة هي ان الفقه الاسلامي لا ينظر الى مثل هذه المسائل على انها امر مستعص على الحل. فهو لا يعترف بحق الملكية الذي يقود الى ترك المال مجمداً لا يستفيد منه أحد. فيمنح في مثل هذه الحالات - لمنع بقاء الثروة مجمدة - صلاحية لحاكم الشرع باعتبار ان المسألة تتعلق بأمر اجتماعي، أو للقاضي باعتبارها مسألة خلافية، لوضع حل لها بالرغم من امتناع اصحاب الحق الشرعيين عن قبول الحل. فثلاً يؤجر ذلك المال و يسلم قيمة الاجارة الى الطرفين بالتساوي، أو يبيعه ويقسم ثمنه بينهما بالتساوي. وعلى كل حال، فان من واجب الحاكم او القاضي باعتبارها (ولي الممتنع) أن يحل هذا المشكله سواء رضي اصحاب المال الاصيلين بذلك ام لم يرضوا.

والان نتساءل: لماذا لم يراع حق الملكية في مثل هذه الحالات؟ الجواب: ان هناك مبدأ آخر يجري تطبيقه هنا هو مبدأ الحيلولة دون هدر المال وتعطيله. فان مراعاة حق الملكية لاصحاب المال تكون في حدود عدم تعطيل المال وتركه بدون ان يستفيد منه أحد.

فلو فرضنا ان الشيء المختلف عليه جوهرة أو سيف أو شيء آخر من هذا القبيل، وكل من الطرفين لا يرضى ان يبيع حصته للآخر، لكنها مستعدان لتقسيمه نصفين يكون لكل منهما نصف، اي ان العناد قد بلغ بها الى أن يتلفا هذه العين ويحرم الطرفان من الافادة منها، اذ من البديهي ان الجوهرة او السيف او السيارة اذا قسمت نصفين تغدو غير قابلة للاستعمال. فهل يجيز الاسلام ذلك؟ كلا، لماذا؟ لانه اضاعة للمال.

يقول العلامة الحلي (من اكابر فقهاء الدرجة الاولى في الاسلام): اذا اراد أن يفعل ذلك، فلا بد من منعها، فان موافقة صاحبي المال لا تكفي من اجل الاضرار به».

### الطريق المسدود للطلاق

والآن لننظر ما الذي يجب عمله في قضية الطلاق؟ فاذا كان رجل معاند لا يقوم بأداء الواجبات التي وضعها الاسلام على عاتقه والتي بعضها مالي (النفقات) وبعضها اخلاقي (حسن المعاشرة) وبعضها يتعلق بامور الجنس (حق الصلة الجنسية)، وكان اهماله لها كلا أو بعضاً، كما انه في الوقت ذاته يرفض ان يطلق زوجته، فما العمل هنا؟ وهل يوجد في الاسلام مبدأ يمنع الحاكم او القاضي الحق في التدخل في هذه الحال كما أجاز لها ذلك بخصوص القضايا المالية ام ليس هناك هذا المبدأ؟

### رأي آية الله الحلي

وهنا اترك زمام الحديث لواحد من فقهاء الدرجة الأولى في العصر الحديث وهو آية الله الحلي المقيم في النجف الاشرف. فقد ذكر هذا الامر في رسالة له باسم (حقوق الزوجية) وأبدى رأيه فيه:

وملخص ما اورده حول ما يتعلق بحقوق المرأة وامتناع الرجل مايلي:  
«الزواج عهد مقدس، وهو في نفس الوقت نوع من المشاركة بين انسانين تفرض على الطرفين مجموعة من الالتزامات، لا تؤمن سعادتها الا بالوفاء بها. كما ان سعادة المجتمع ترتبط كذلك بسعادة هذين والوفاء بتعهداتها تجاه بعضها.  
والحقوق الاساسية للزوجة عبارة عن النفقة والكسوة، وحق الصلة

الجنسية وحسن المعاشرة الاخلاقية.

فاذا تنصل رجل عن القيام بواجباته تجاه زوجته، وامتنع في الوقت ذاته عن الطلاق، فما هو الحل؟ وكيف يجب التعامل مع هذا الرجل؟  
وهنا نفترض حلين: الاول ان للحاكم الشرعي حق التدخل وحل المسألة بايقاع الطلاق، والثاني ان تنصل المرأة أيضا عن القيام بتعهداتها تجاه الرجل.  
اما الحل الاول أي تدخل الحاكم الشرعي، فلننظر متى وفي أي الحالات يمكن للحاكم ان يتدخل في هذا الامر.

«الطلاق مرتان فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان...»<sup>١</sup>

ومن ثم يعود ليقول في نفس السورة:

«وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن

بمعروف ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه»<sup>٢</sup>

و يفهم من هذه الآيات مبدأ عام هو ان الرجل في الحياة الزوجية لا بد ان يختار احد طريقين، فاما ان يقوم بواجباته كما يليق (امساك بمعروف) واما ان يقطع الصلة الزوجية ويخلي سبيل المرأة (تسريح بإحسان) اما الخيار الثالث، اي الا يطلق المرأة ولا يتصرف معها بالحسنى، فهذا مما لا يقره الاسلام. وجملة (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) انما تنفي القسم الثالث من المعاملة. ولا يبعد ان تعني هذه الجملة مفهوماً شاملاً يتعلق بالحالات التي يتعمد فيها الرجل ابداء المرأة، كما تشمل الحالات التي لا يتعمد فيها الزوج الحاق أذى بالزوجة الا أنّ احتفاظه بها لا يجلب لها سوى الأذى والضرر.

هذه الآيات بالرغم من انها جاءت من أجل ان توضح تكليف الرجل لدى العدة ورجوعه عن الطلاق او عدم رجوعه، وتبين ان رجوع الرجل عن الطلاق يجب ان يكون على اساس الاحتفاظ بالمرأة كما يليق بها لا بقصد ايدائها. الا انها ليست خاصة بهذه الحالة فحسب، بل هي مبدأ عام يبين الحقوق الزوجية في كل وقت وفي جميع الاحوال. وعلى هذا فانرجح بصورة عامة يجب ان يختار احد طريقين لا ثالث لهما.

وقد تصور بعض الفقهاء خطأً ان هذه الآيات خاصة بالرجال الذين

١- البقرة: ٢٢٩.

٢- البقرة: ٢٣١.

يريدون الرجوع في العدة، بينما توضح هذه الآيات تكليف الرجال تجاه زوجاتهم في جميع الحالات، ودليلنا على ذلك - ما عدا سياق الآيات - ان الأئمة الاطهار (ع) قد استدلوا واستشهدوا بها في غير مسألة العدة:

فثلا قول الامام الباقر (ع) حول حكم الايلاء (اي حين يقسم الرجل الا يقارب زوجته) ان الزوج يجب ان يخالف قسمه بعد أربعة أشهر ويدفع الكفارة أو يطلق الزوجة. اذ ان الله تعالى يقول: «امسك بمعروف أو تسريح باحسان». وكذلك حين سئل الامام الصادق (ع) عن الرجل الذي كان قد وكل آخر بعقد امرأة له وتعيين مهر لها عنه، فلما فعل الوكيل ذلك، انكر الموكل الوكالة. أجاب الامام من أن تتزوج المرأة من آخر. واما اذا كان الرجل الاول قد وكل حقيقة وان العقد كان صحيحا بناء على صحة الوكالة فيجب عليه فيما بينه وبين الله أن يطلق، ولا يترك المرأة بلا طلاق، واستشهد الصادق (ع) بالآية: «فامسك بمعروف أو تسريح باحسان».

فيتين من ذلك ان الأئمة الاطهار (ع) يعتبرون مفاد هذه الآية مبدأً عاماً غير خاص بحالة واحدة.

ان الحاكم الشرعي يجب أن يأمر باحضار الزوج الذي لا يقوم بواجباته الزوجية ولا يطلق. فيأمره أولاً بالطلاق. فاذا لم يطلق، اوقع الحاكم الطلاق. يذكر ابو بصير رواية عن الصادق (ع) مفادها ان كل من كانت له امرأة لا يكسوها ولا ينفق عليها، فعلى امام المسلمين ان يفرق بينها (اي بالطلاق)...». كانت هذه خلاصة بسيطة لرأي فقيه من الدرجة الاولى في العصر الحاضر، ومن أراد الاطلاع على تفاصيل اخرى فليراجع رسالة «حقوق الزوجية» من تقرير درسه.

وقد لاحظتم ان عبارة «امسك بمعروف او تسريح باحسان» هي مبدأ وقاعدة عامة قرر القرآن في اطارها حقوق الزوجية. والاسلام بالاستناد الى هذا المبدأ - وخصوصا التأكيد الوارد في عبارة «ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا - لا يجوز لرجل لا يعرف الله ان يسيء استخدام صلاحياته فيحتفظ بزوجة لا من أجل العيش معها بل من أجل مضايقتها ومنعها من الزواج من غيره.

## شواهد وأدلة أخرى

بالإضافة الى ما ذكر من الشواهد والادلة في رسالة حقوق الزوجية، هناك شواهد اخرى كثيرة تظهر أن عبارة «امساك بمعروف او تسريح باحسان» في نظر الاسلام مبدأ عام وان حقوق الزوجية يجب ان تراعى من خلال هذا الاطار. وكلما توسع القارئ في الاطلاع على هذه المسألة، اتضحت له سلامة ومتانة الاحكام الاسلامية.

روي عن الامام الصادق (ع) في الكافي الجزء الخامس ص ٥٠٢ مايلي:  
«اذا اراد الرجل ان يتزوج المرأة فليقل: «اقررت بالميثاق الذي أخذه الله: امساك بمعروف او تسريح باحسان».

وجاء في الآية ٢١ من سورة النساء:

«وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً».

يقر مفسرو الشيعة والسنة على السواء ان المقصود بالميثاق الغليظ هو الميثاق الذي يأخذه الله على الرجل بقوله: «امساك بمعروف او تسريح باحسان» وهو نفس الميثاق الذي يشير اليه الامام الصادق (ع) بقوله: «اذا اراد الرجل ان يتزوج المرأة فليقل: (اقررت بالميثاق الذي اخذه الله امساك بمعروف او تسريح باحسان)».

وقد نقل الشيعة والسنة كلاهما جملة معروفة عن رسول الله (ص) قالها في حجة الوداع هي: «اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله».

يقول ابن الأثير في كتاب النهاية: ان كلمة الله المقصودة بكلام النبي الاكرم (ص) التي استحل الرجال بها فروج النساء هي مفاد العبارة التي جاءت في القرآن «امساك بمعروف او تسريح باحسان».

## رأي شيخ الطائفة

يتحدث الشيخ الطوسي في كتاب «الخلافة» الجزء الثاني صفحة ١٨٥

بشأن العنين فيقول: «بعد ان يثبت ان الرجل (عنين) فللمرأة خيار الفسخ» بعدها يقول: ان اجماع الفقهاء على هذا. ثم يقول مستدلاً بهذه الآية «امسك بمعروف او تسريح باحسان» «ولما كان العنين عاجزاً عن امسك المرأة بمعروف فيجب عليه اذاً ان يسرحها».

من مجموع ما مريفهم بوضوح وبشكل قاطع ان الاسلام لا يمكن ان يميز لرجل ظالم ان يسيء استخدام حق الطلاق ويحفظ بالمرأة كسجينة. ولكن يجب الا يفهم مما مر ان لكل من يحمل اسم قاضٍ الحق في التدخل في مثل هذه الامور. فان للقاضي في نظر الاسلام شروطاً ثقيلة ليس هنا مجال لشرحها.

وامر آخر يجب الاشارة اليه هو ان الطلاق القضائي في نظر الاسلام بسبب اهتمام الاسلام بالابقاء على المؤسسة العائلية - نادر الوقوع ولا يحصل الا استثناءً. فهو لا يميز أبداً ان يصبح امر الطلاق كحالته في امريكا واوروبا مما نقرأ نماذج له دائماً في الصحف. مثلاً: ان امرأة شكت زوجها وطلبت الطلاق قائلة انه لا يحب الفيلم الذي أحبه، أو انه لا يقبل كلبى العزيز فيني، وامثال هذه المهازل التي تنم عن الانحطاط الانساني.

\* \* \*

ادرك القارئ المحترم مما ذكرنا في المقالات السابقة المفهوم الذي سبق ان ذكر في المقالة الحادية والعشرين حيث كنا قد اشرنا الى خمس نظريات حول الطلاق على الترتيب التالي:-

١ - عدم الاهتمام بالطلاق ورفع جميع القيود الاخلاقية والاجتماعية التي تحول دون وقوعه.

٢ - ابدية الزواج ومنع الطلاق بصورة عامة (نظرية الكنيسة الكاثوليكية).

٣ - الزواج يقبل الالغاء من قبل الرجل ولا يقبل ذلك من قبل المرأة مهما كلف الامر.

٤ - يمكن الغاء الزواج سواء كان بيد المرأة أو بيد الرجل طبقاً لشروط خاصة، وسبيل المرأة في ذلك نفس سبيل الرجل ومساو له (نظرية المنادين بحق المساواة).

٥ - طريق الطلاق كما هو مفتوح امام الرجل فانه ليس مغلقاً بوجه المرأة. لكن باب خروج الرجل هو غير باب خروج المرأة.  
وذكرنا في تلك المقالة ان الاسلام يتبنى النظرية الخامسة. وقلنا عند الاشارة الى مسألة الشرط المتضمن في العقد ومسألة الطلاق القضائي، انه قد اتضح ان الاسلام مع انه لم يجعل الطلاق حقاً طبيعياً للمرأة، إلا انه لم يغلّق الطريق امامها كلياً بل فتح لها ابواباً خاصة للخروج.  
وفما يتعلق بالطلاق القضائي، كان يمكن ان نبحت اكثر من ذلك خصوصاً اذا أخذنا بنظر الاعتبار آراء أئمة وفقهاء سائر المذاهب الاسلامية والتطبيقات العملية لذلك في مختلف البلدان الاسلامية. إلا أننا نكتفي في هذه المقالات بهذا القدر.

## الفصل الحادي عشر

### تعدد الزوجات

\_\_\_\_\_

## تعدد الزوجات

(١)

نظام الزوجة الواحدة اقرب انظمة الزواج الى الطبيعة الانسانية. في هذا النظام، تكون الملكية الفردية والخاصة — وهي غير ملكية الثروة طبعاً — هي الحاكمة. في هذا النظام يرى كل من الزوجين المشاعر والعواطف والتوجه الجنسي لدى صاحبه ملكاً خاصاً به ولا حق لغيره فيه. ويقابل هذا النظام، نظام تعدد الزوجات او الزواج الاشتراكي. ويمكن تقسيم هذا النظام الى عدة انواع هي :

### الشيوعية الجنسية

في هذا النوع لا يختص أحد بأحد اطلاقاً، أي لا تختص امرأة برجل معين ولا رجل بامرأة معينة. ولذا اطلق عليه اسم الشيوعية الجنسية. وهي تعني محور الحياة العائلية. ولم يرو لنا التاريخ (ولا حتى النظريات التي تتناول مرحلة ما قبل التاريخ) خبراً عن مرحلة عاشها البشر اندمجت فيها الحياة العائلية وسادت فيها الشيوعية الجنسية. ان ما اطلقوا عليه الشيوعية الجنسية وادعوا وجوده عند بعض الشعوب البدائية المتوحشة، لم يكن الا مرحلة وسطاً بين الحياة العائلية والشيوعية الجنسية. يقال إنه كان يحصل عند بعض القبائل ان يتزوج عدد من الاخوة بشكل مشترك من عدد من الاخوات، او ان تنزوج — بصورة مشتركة — مجموعة من رجال احدى الطوائف من مجموعة من نساء طائفة

أخرى.

يقول ويل ديورانت في الجزء الاول من تاريخ التمدن صفحة ٦٠ ما ترجمته: (في بعض مناطق العالم كان يتم الزواج بصورة جماعية، بأن يتزوج عدد من رجال طائفة ما، بعدد من نساء طائفة اخرى. ففي التبت مثلاً كانت العادة السائدة هي أن يتزوج عدد من الاخوة عدداً مساوياً من الاخوات بصورة لا يحدد فيها زوجة كل فرد منهم بل يعيشون نوعاً من الشيوعية في الزواج، ويستطيع اي من الرجال ان يواقع أياً من النساء المذكورات. وأشار (سزار) قيصر الروم الى عادة مماثلة كانت منتشرة بين الانجليز القدماء. ويمكن اعتبار عادة الزواج من زوجة الاخ بعد وفاة زوجها، من بقايا هذه العادات، وهو ما كان شائعاً بين اليهود وبعض الشعوب القديمة).

### نظرية افلاطون

ما يفهم من كتاب جمهورية افلاطون، ويؤيده عامة المؤرخين ان افلاطون يقترح — في نظرية «الحكام الفلاسفة والفلاسفة الحكام» — ان تعيش هذه الطبقة حياة عائلية مشتركة، وكما نعلم أن بعض زعماء الشيوعية في القرن التاسع عشر كانوا قد اقترحوا اقتراحاً مشابهاً ولكن على ما ينقل كتاب «فرويد وتحريم الزواج بالمحارم» فان بعض الدول الشيوعية الكبرى — وعلى أثر التجارب المرة في هذا الباب — قد أقرت في عام ١٩٣٨ قانون الزوجة الواحدة الاجباري واعتبرته النظام الرسمي الوحيد للزواج.

### تعدد الازواج

وهذا شكل آخر من اشكال تعدد الزوجات. ويعني ان يكون لامرأة واحدة اكثر من زوج في نفس الوقت. يقول ويل ديورانت: «نرى هذا النوع من الزواج لدى قبيلة تودا وبعض قبائل التبت». النوع الأول هو النوع الموجود هذه الايام. وهو أن يخطف الرجل البنت الى ابها ويتزوج منها بعد تعيين مقدار مهرها. والولد الذي تنجبه معروف الأب طبعاً.

النوع الثاني: هو ان الرجل خلال فترة زواجه من المرأة يسهل لها الزواج من رجل آخر لفترة معينة من اجل ان تلد له ولداً افضل. ولذا فهو يتجنب الاتصال بها - بعد أن يوصيها بأن تضع نفسها تحت تصرف الشخص المطلوب - حتى يظهر عليها الحمل.

كان هذا يحصل حين يرغب شخص في أن يحصل على نسل أفضل من نسله هو، ويعتبرونه وسيلة لتحسين النسل. وهذا النوع من الزواج يسمى (زواج الاستبضاع).

اما النوع الثالث من الزواج: فهو أن يتفق عدد من الرجال (أقل من عشرة) مع امرأة ويواقعونها فإذا حملت وولدت دعت اولئك الرجال للحضور ولا يستطيع أي منهم التخلف عن الحضور طبقاً لسنن ذلك الزمان، فتختار المرأة هي من ترغب فيه من بينهم ليكون أباً لولدها وليس بإمكانه أيضاً ان يمتنع عن القبول وعلى هذا الاساس يصبح الولد ابنه رسمياً وقانونياً.

والنوع الرابع من الزواج كان يتم مع المرأة التي تعرف بـ (الفاحشة) ويستطيع أي رجل بدون استثناء ان يتصل بها، ومثل هؤلاء النسوة كن يرفعن على بيوتهن اعلاماً يعرفن بها، فإذا وضعت احدهن ولدا جمعت كل الرجال الذين سبق أن واقعوها واستدعت كاهناً أو عرافاً. ليعطي رأيه في نسبة الولد الى أي واحد من أولئك الرجال فيكون ذلك الرجل مجبراً على قبول رأي العراف ويصبح الولد ولداً رسمياً وقانونياً له.

كل هذه الانواع من الزواج كانت سائدة في الجاهلية الى أن اختار الله محمداً (ص) للرسالة فألقى كل تلك الانواع ماعدا ما هو سائد اليوم ومن هذا نفهم ان عادة تعدد الازواج كانت موجودة لدى عرب الجاهلية.

يقول مونتسكيو في «روح القوانين»:

«شاهد الرحالة العربي ابو ظهير الحسن هذه العادة (تعدد الازواج) في القرن التاسع الميلادي لدى زيارته للهند والصين، فعُد ذلك دليلاً على انتشار الفحشاء». وكتب ايضاً: (تعيش على سواحل «مالايا» قبيلة اسمها نائير، لا يسمح لرجالها بالزواج من أكثر من امرأة بينما يسمح لنسائها ان يتزوجن من عدة رجال في آن واحد. واعتقد ان سبب تشريعهم لهذا القانون ان رجال قبيلة نائير

من اقوى رجال القبائل شوكة، وهم — بسبب أصلتهم — مقاتلون أشداء. وكما نمنع — نحن في اوروبا — جنودنا من الزواج لئلا تعوقهم زوجاتهم عن التوجه الى الحرب، كذلك عملت قبائل (مالايا) على اضعاف العلاقات العائلية بين افرادها قدر الامكان، ولما لم يكن بوسعها منعهم تماما من الزواج — بسبب الجو الحار هناك — عمدت الى ان تجعل لكل مجموعة من الرجال زوجة واحدة لاضعاف الروابط الأسرية ودفع الافراد الى القتال».

### عيب تعدد الأزواج

العيب الرئيس في تعدد الأزواج والذي تسبب في عدم نجاحه هو اختلاط الانساب. اذ ان علاقة الأب بالولد في هذا النوع من الزواج غيـر واضحة تماما كما هو الحال في الشيوعية الجنسية. وكما ان الشيوعية الجنسية فشلت في ان تتخذ لها موقعا في المجتمع، كذلك تعدد الأزواج فشل في ان يلقى قبول المجتمع الحقيقي. وكما سبق ان ذكرنا في احدى المقالات السابقة من أن تأسيس العش الزوجي من اجل ربط الجيل السابق بالجيل اللاحق مطلب غريزي للانسان، فلا يعني هذا ان ظهور حالة تعدد الأزواج احيانا وبصورة استثنائية لدى بعض المجموعات البشرية دليل على ان تشكيل العائلة الخاصة ليس من طبيعة الانسان. كما ان اختيار الرجال أو النساء لحياة العزوبة وعزوفهم عن الحياة الزوجية لايقوم دليلا على انحرافهم او على كون البشر كلهم عازفين عن الحياة الزوجية والعائلية. وتعدد الأزواج لايتنافى والطبيعة الاحتكارية للرجل تجاه ولده فحسب، بل يتنافى وطبيعة المرأة في الوقت نفسه. وقد اثبتت التجارب النفسية أن المرأة اكثر من الرجل رغبة في الزوج الواحد.

### تعدد الزوجات

(٢)

والنوع الآخر من تعدد الزوجات هو تعدد الزوجات. وقد حاز تعدد الزوجات هذا على رواج ونجاح اكثر مما حازه تعدد الأزواج وما حازته الشيوعية الجنسية. ولم يقتصر وجوده على القبائل البدائية، بل شمل كثيراً من المجتمعات المتحضرة. فقد كانت هذه العادة — علاوة على وجودها عند عرب

الجاهلية - موجودة لدى اليهود ولدى الشعب الايراني على عهد الساسانيين، ولدى بعض الشعوب الاخرى ايضا.

ويقول منتسكيو: «كان قانون الملايو يبيح الزواج من ثلاث نساء». ويقول ايضا: «اجاز فالانتين امبراطور روما - لاسباب خاصة - زواج الرجل من عدة نساء في وقت واحد، ولكن لما كان هذا القانون لا ينسجم مع المناخ الأوروبي فقد رفضه باقي اباطرة الروم مثل «تيسودور» و «آكارديوس» و «مونوريوس»».

### الاسلام وتعدد الزوجات

لم يبلغ الاسلام نظام تعدد الزوجات بالمرة - على العكس من موقفه من نظام تعدد الازواج - بل حدده وقيده، فن جهة جعل له حداً أعلى (هو اربع زوجات)، ومن جهة أخرى وضع له قيوداً وشروطاً ولم يبيحه لكل من أحب وأراد. وسنبحث هذه القيود والشروط وكذلك السبب الذي من أجله لم يبلغ الاسلام هذا النوع من الزواج - بشكل مطلق - فيما بعد.

والمعجيب ان من جملة الاشاعات التي أطلقها اعداء الاسلام ضده في القرون الوسطى هي: ان نبي الاسلام (ص) هو الذي ابتدع ولأول مرة عادة تعدد الزوجات!! وادعوا ان الاسلام قد بني على نظام تعدد الزوجات وان سبب انتشاره السريع بين الامم والشعوب لم يكن الا لسماحه بتعدد الزوجات، وادعوا في الوقت ذاته ان سبب تأخر الشرق هو تعدد الزوجات ايضا.

ذكر ويل ديورانت في الجزء الاول من تاريخ الحضارة في الصفحة ٦١ مايلي: «كان علماء الدين في القرون الوسطى يدعون أن تعدد الزوجات من ابتكار نبي الاسلام، بينما الحقيقة هي خلاف ذلك. فان اكثر حالات الزواج في المجتمعات البدائية كانت على هذه الصورة كما رأينا.

والاسباب التي أدت الى تعدد الزوجات في المجتمعات البدائية كثيرة وذلك لانشغال الرجال بالحرب والصيد مما كان يعرض حياتهم الى الاخطار فكانت الوفيات في الرجال أكثر منها في النساء مما جعل عدد النساء يزيد على عدد الرجال، وادى بالتالي الى أن يسود نظام الزوجات او بقاء الكثير من النساء عازبات،

ولما كانت عوامل الموت والفناء كثيرة في تلك المجتمعات، فليس من المنطق ان تبقى اعداد كبيرة من النساء بدون زواج، وكان تعدد الزوجات في المجتمعات البدائية امرا - لاشك - مألوفاً، وذلك لزيادة عدد النساء على عدد الرجال.

اما من حيث تحسين النسل، فيجب القول ايضا: ان أسلوب تعدد الزوجات يفضل نظام الزوجة الواحدة بالرغم مما نعلمه من ان الاقوياء والاكفاء من الرجال في العصر الحاضر غالباً ما يتزوجون في وقت متأخر من حياتهم ولذا نراهم قليلي الاولاد، الا ان اقوياء الرجال في العصور الغابرة كانوا يحصلون على أفضل النساء - كما يظهر - فيلدن لهم - بالنتيجة - أعداداً كبيرة من الأولاد وهذا ما أدى الى بقاء نظام تعدد الزوجات عند الشعوب البدائية، بل الشعوب المتحضرة أيضاً: اما في عصرنا الحاضر فهناك عوامل عديدة حدث بهذه العادة الى الزوال والانحسار عن الدول الشرقية.

ان حياة الزراعة تتميز بالثبات والاستقرار، مما قلل من الصعوبات التي كان يواجهها الرجال وخفف من الاخطار التي كانوا يتعرضون لها، لذا اصبح عدد الرجال مساوياً تقريباً لعدد النساء، وانحصرت عادة تعدد الزوجات - حتى لدى المجتمعات البدائية - في الاقلية الثرية في المجتمع بينما اقتصر اكثر الرجال على زوجة واحدة وصاروا يطعمون حياتهم الزوجية بـ «الزنا» احياناً».

و يقول «غوستاف لوبون» في «تاريخ الحضارة» صفحة ٥٠٧:

«لم يعب الاوروبيون على الشرقيين عادة كما عابوا عليهم عادة تعدد الزوجات، ولم يخطئوا في امر كما أخطأوا في هذا الامر. فقد عد كتاب اوروبا تعدد الزوجات اساس الدين الاسلامي واعتبروه علة العلل في انتشار الدين الاسلامي وتأخر الشعوب الشرقية. ثم انهم بالاضافة الى كل ذلك، قد اظهروا عطفهم على حال النساء الشرقيات. وما يذكرونه في هذا الباب ان أولئك النسوة التبعيات قد حبسن بين اربعة جدران تحت سيطرة مالكيهن واذا ما بدرت منهن أية حركة توجب سحق المالك، فمن الممكن ان يُعَدَمَنَّ بكل قسوة. ولكن التصور المذكور ليس له اي اساس من الصحة، ولو ان قراء هذا الكتاب من الاوروبيين قد تخلوا عن تعصبهم الاوروبي لفترة من الوقت ولو قصيرة لادركوا ان عادة تعدد الزوجات امر مناسب جداً للوضع الاجتماعي في الشرق.

والعامل الاساس في رقي الامم التي كانت سائدة بينها، وهي التي وطدت

اواصر العائلة لديها وبالتالي كانت هي السبب في عزة المرأة الشرقية وكرامتها. وقبل ان ابدأ باقامة الدليل على كلامي هذا، لابدان اذكر ان عادة تعدد الزوجات لا ترتبط بالاسلام أبداً، اذ انها كانت شائعة قبل الاسلام بين جميع شعوب الشرق من اليهود والاييرانيين والعرب وغيرهم. والشعوب التي اعتنقت الاسلام في الشرق لم تكتسب هذه العادة من الاسلام، كما انه لم يظهر في العالم لحد الآن مذهب يمتلك القدرة على ايجاد او ابطال عادة مثل عادة تعدد الزوجات. لانها لم تتولد الانتيجة المناخ الشرقي والخصائص العرقية لشعوب الشرق ولأسباب أخرى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطراز الحياة الشرقية، وليس لظهور الدين... ومع ان المناخ والماء والهواء في الغرب لا يقتضي نشوء مثل هذه العادة، فان القانون ينص - في احدى مواده - على عدم جواز الزواج باكثر من واحدة. لكن هذه المادة القانونية هي حبر على ورق لا غير، اذ لا أثر لها في الواقع والتطبيق. انني حائر لا ادري لماذا يعد تعدد الزوجات الشرقي - مع مشروعيتها - جنحة وتقصيراً، ولا يعد تعدد الزوجات الغربي غير القانوني كذلك؟ انني ارى أن الأول افضل وأليق من الثاني من جميع الوجوه. وحين يزور بلادنا العظيمة أهل المشرق، يعجبون لهذه الحملات التي تشن ضد عاداتهم، وينزعجون...»

نعم، ان الاسلام لم يبتدع تعدد الزوجات، انما حدده، وجعل له حداً أعلى، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، وضع له قيوداً وشروطاً ثقيلة. وقد كانت هذه العادة سائدة بين الامم والشعوب التي اعتنقت الاسلام فاضطروا - مرغمين - الى قبول القيود والحدود التي فرضها الاسلام عليهم.

### تعدد الزوجات في ايران

ذكر كريستنسن في كتاب (ايران في زمان الساسانيين) اماترجمته: «كان مبدأ تعدد الزوجات يعدد الاساس في تشكيل العائلة» (في ايران زمن الساسانيين). وعلى هذا الاساس كان للرجل ان يتزوج من النساء ما وسعه. والظاهر ان الرجال المحدودي الدخل لم يكن لهم اكثر من زوجة واحدة. وكان للرجل الحق في ترؤس العائلة.

١ - بالفارسية «ايران در زمان ساسانيان» ص ٣٤٦.

وكانت الزوجات على نوعين: الأولى: محبوبة ومفضلة وتمنح حقوقاً ممتازة وتسمى الملكة «بادشاه زن» او المرأة المختارة. والثانية: أدنى من الأولى وقد جعلت للخدمة وتسمى الخادمة «زن چكارها» وتتساوى حقوق كل من النوعين قانوناً. والظاهر ان الجوارى والسبايا هن من طبقة الخادومات. ولا نعلم هل كان عدد النساء الممتازات اللواتي يمكن ان يتزوجهن الرجل الواحد محدداً أم لا. ولكن ورد في كثير من المباحث القانونية كلام يدور حول الرجل الذي له أكثر من زوجة ممتازة. وتحمل كل من نساء هذه الطبقة ، لقب سيدة البيت ويقال: انه كان لكل منهن بيت مستقل. والزوج مكلف مادام حياً باطعام زوجته الممتازة ورعايتها ويتمتع كل ابن الى سن البلوغ وكل بنت الى سن الزواج بنفس هذه الحقوق اما الزوجات اللواتي كن يحملن لقب الخادومات فاولادهن الذكور فقط يتمتعون بحق العيش في كنف والدهم».

ويكتب المرحوم سعيد نفيسي في كتابه «التاريخ الاجتماعي لايران منذ انقراض الساسانيين الى انقراض الامويين»<sup>1</sup> فيقول: «كان عدد النساء اللواتي يمكن للرجل الاقتران بهن غير محدود، وقد عثر في الوثائق اليونانية على ما يدل بأن الرجل قد يجمع في بيته احياناً عدة مئات من النساء».

وينقل مونتسكيو في «روح القوانين» عن «اوكتاوس» المؤرخ الروماني قائلًا: «في زمان جوستينيان، تعرض عدد من فلاسفة الرومان الى الاضطهاد من قبل المسيحيين، ولما لم يرغبوا في اعتناق الدين المسيحي اضطروا الى مغادرة روما واللجوء الى بلاط خسرو پرويز شاه ايران انذاك ، وهناك كان ما اثار حيرتهم وعجبهم اكثر من اي شيء آخر هو ليس شيوع تعدد الزوجات فحسب بل واقعة الرجال لنساء الآخرين ايضاً».

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الفلاسفة الرومان المذكورين كانوا قد لجأوا الى بلاد انوشيروان لا. الى خسرو پرويز وقدورد ذكر خسرو پرويز في حديث مونتسكيو خطأ.

ولم يكن لتعدد الزوجات حد أعلى عند العرب. وقد أدى تحديد الاسلام لعدد الزوجات ووضعه حداً أعلى لذلك الى التضييق على بعضهم اذ كان له اكثر

١- بالفارسية: «تاريخ اجتماعي ايران از انقراض ساسانيان تا انقراض أمويان».

من اربع زوجات. وقد كان للبعض عشر زوجات مما اضطرهم الى تسريح سبّ منهن.

إذاً، فقد تبين أن الاسلام لم يتتبع تعدد الزوجات بل على العكس من ذلك جعل له حدوداً وقيوداً، لكنه لم يبلغه كلياً في الوقت نفسه. وسنطلع في الفصول القادمة على سبب ظهور مسألة تعدد الزوجات في حياة الانسان، وهل كان ذلك بسبب ظلم أو تعسف الرجل تجاه المرأة ام ان ضرورات خاصة قد اوجبت هذه الامر؟ وماهي هذه الضرورات ان وجدت؟ وهل هي من نوع العوامل البيئية والجغرافية ام من نوع آخر؟ وأخيراً لماذا لم يبلغ الاسلام هذه العادة؟ وماهي الحدود التي وضعها الاسلام لتعدد الزوجات؟ وماهي الاسباب التي دعت البشر اليوم نساءً ورجالاً الى معارضة تعدد الزوجات؟ وهل هناك جذور انسانية واخلاقية للمسألة ام شيء آخر؟ هذه الامور هي التي سنتعرض لها في الفصل القادم.

### الاسباب التاريخية لتعدد الزوجات

(١)

ماهي الاسباب التاريخية والاجتماعية لتعدد الزوجات؟ لماذا تقبل الكثير من شعوب العالم (خصوصاً شعوب الشرق) هذه العادة بينما رفضتها شعوب اخرى كالشعوب الغربية؟ لماذا راج — من بين الانواع الثلاثة لتعدد الزواج — تعدد الزوجات بخلاف تعدد الأزواج والاشتراكية الجنسية اللذين اما أنهما لم يؤخذ بهما اصلاً واما انهما قد حصلتا بصورة نادرة جداً وفي حالات استثنائية؟ وما لم نبحث هذه النقاط لن نتمكن من بحث مسألة تعدد الزوجات في نظر الاسلام، ولا بحث حاجة البشرية اليوم اليها.

ولو اننا اردنا ان نتجاهل الدراسات النفسية والاجتماعية المعنية بهذا الامر ونفكر بطريقة سطحية ككثير من الكتاب لكفانا — من أجل توضيح العوامل التاريخية والاجتماعية لتعدد الزوجات — ان نكرر العبارة المعروفة التي ترددها الألسن دائماً في مثل هذه الموارد ونقول: ان سبب نشوء تعدد الزوجات جلي جداً. وما ذاك الا لاستبداد الرجل وظلمه واستعباده المرأة وما سببه الا لان الرجل — بسبب تسلطه على المرأة — قد سن قوانين وعادات تخدم مصالحه هو، لذا فقد شرع قانون تعدد الزوجات لمصلحته وضد مصلحة المرأة وطبقه طوال كل هذه

القرون. ولما كانت المرأة محكومة للرجل لذلك لم تستطع ان تسن — لمصلحتها — قانونا يسمح لها بتعدد الازواج.

واليوم وبعد ان انتهى عهد سيطرة الرجل وتسلطه، فان امتياز تعدد الزوجات قد استبدل — كغيره من الامتيازات الظالمة — بقانون التساوي والتماثل في الحقوق بين المرأة والرجل .

لو كنا نفكر بهذه الطريقة، لكننا قد فكرنا بشكل سطحي وساذج جدا. فليس سبب رواج تعدد الزوجات هو ظلم الرجل، ولا سبب ضعف وتبعية المرأة هو فشل تعدد الازواج، كما وليس زوال تعدد الزوجات اليوم وانحساره عن الواقع العملي ناتجا عن زوال سلطة الرجل او فقدانه لامتياز تعدد الزوجات. بل على العكس من ذلك اذ قد اكتسب امتيازاً تجاه المرأة.

انني لا أنكر ان عامل الظلم والتسلط من العوامل المؤثرة في التاريخ الانساني، ولست انكر كون الرجل قد اساء استخدام حكمه للمرأة طوال التاريخ. لكنني اعتقد ان الاقتصار على عامل القوة والتسلط — خصوصا في تفسير العلاقات العائلية للمرأة والرجل — نابع من القصور الفكري.

اننا لو قبلنا النظرية السابقة، لوجب علينا ان نقبل فكرة ان العهود النادرة والاستثنائية التي ساد فيها اسلوب تعدد الازواج — كزمان جاهلية العرب، او الفترة التي مرت بقبيلة نائير على سواحل الملايو كما يذكر مونتسكيو — هي عهود سنحت فيها الفرصة للمرأة كي تنتزع السلطة من يد الرجل وتفرض عليه نظام تعدد الازواج، ويجب ان نقبل فكرة كون هذه العهود هي عهود ذهبية للمرأة. بينما نحن نعلم ان زمان جاهلية العرب كان من أحلك الفترات التي عاشتها المرأة. كما نقلنا في المقالة السابقة عن مونتسكيو ان رواج تعدد الازواج عند قبيلة نائير لم يكن نابعا من تسلط واحترام المجتمع للمرأة بل كان منشؤه تصميم المجتمع على ابعاد الجنود عن العلاقات العائلية للمحافظة على الروح القتالية.

يضاف الى ذلك، أن تعدد الزوجات ان كان ناشئا عن تسلط الاب، فلماذا لم يسد او ينتشر بين الشعوب الغربية؟ فهل كان تسلط الاب مقتصرأ على شعوب الشرق؟ وهل كان الغربيون على خطى عيسى ومريم ليجعلوا للمرأة والرجل حقوقا متساوية؟ وهل كانت السلطة في الشرق فقط بيد الرجل ولمصلحته بينما كانت العدالة في الغرب هي السائدة.

ان المرأة الغربية كانت - الى ما قبل نصف قرن - من أتمس نساء العالم. وكانت محتاجة الى قيمة الرجل حتى في أموالها. وباعتراف الغربيين أنفسهم، فان وضع المرأة الشرقية في القرون الوسطى كان أفضل بكثير من وضع المرأة الغربية. يقول غوستاف لوبون: «في خلال فترة الحضارة الاسلامية، منحت المرأة نفس الدرجة والمقام للذين لم يعطيا للمرأة الاوروبية الا بعد فترة طويلة جدا. أي بعد ان قام عرب الاندلس بنشر اخلاق الفرسان في اوروبا... فان اخلاق الفرسان عند الاوروبيين - والتي يشكل التعامل مع المرأة الجزء الأهم فيها - انما جاءت من المسلمين وأخذت عنهم، وان الدين الذي استطاع ان يرفع المرأة من الذلة والمهانة الى اوج العزة والرفعة هو الدين الاسلامي وليس الدين المسيحي كما يتصور العامة. ذلك أننا نرى رؤساءنا وقادتنا في القرون الوسطى - بالرغم من أنهم كانوا مسيحيين - لم يكونوا يقيمون وزنا للمرأة، ولو طالعا التاريخ القديم لما بقيت شبهة في أن هؤلاء القادة الامراء - قبل ان يتعلموا من المسلمين احترام ورعاية المرأة - كانوا يعاملونها بكل وحشية».

وقد وصف آخرون أوضاع المرأة الغربية في القرون الوسطى بما يشبه هذا. ومع ان تسلط الرجل وظلمه وسيطرته كانت قد بلغت أوجها في اوروبا في القرون الوسطى فلماذا لم يكن تعدد الزوجات سائدا آنذاك؟

الحقيقة هي أن تعدد الأزواج لم يكن ناتجا عن قوة وتسلط المرأة ولم يكن فشله ناتجا عن ضعفها وتخاؤها، كما لم يكن سبب رواج تعدد الزوجات في الشرق قوة وتحكم الرجل ولا كان عدم رواجه في الغرب ناتجا عن قوة المرأة وتساؤها مع الرجل.

### سبب فشل تعدد الأزواج

ان سبب فشل تعدد الأزواج هو تنافيه مع طبيعة كل من المرأة والرجل على حد سواء. اما بالنسبة للرجل فهو يتنافى مع النفسية الاحتكارية له أولا، ومع مبدأ الاطمئنان للبنوة ثانيا. فحب الولد من طبيعة البشر. والانسان يجب - بطبعه - ان يكون له ولد، ويريد ان تكون صلته بالجيل اللاحق والجيل السابق واضحة ومطمئنة. انه يريد ان يعرف انه ابن من، ووالد من بينما تعدد الأزواج للمرأة الواحدة في آن واحد لا ينسجم مع هذه الغريزة والطبيعة الانسانية،

بخلاف تعدد زوجات الرجل فهو لا يسيء — من هذه الناحية — الى الرجل ولا الى المرأة.

يقال ان عددا من النساء (في حدود الاربعين امرأة) حضرن عند علي بن أبي طالب (ع). وتساءلن: لماذا أجاز الاسلام للرجل تعدد الزوجات ولم يجر للنساء تعدد الأزواج؟ اليس هذا تمييزاً مجحفاً؟

فأمر علي (ع) بأن يؤتى بأوان صغيرة مملوءة بالماء واعطى كل واحدة منهن اناءً منها، وأمرهن بسكب مياه تلك الاواني في اناء كبير كان قد وضع في وسط المجلس. بعدها، قال: لتستعد كل منكن الماء الذي سكبته على ان يكون نفس الماء الذي كان في انائها. قلن: كيف يمكن ذلك؟ لقد اختلطت المياه ببعضها ولا يمكن تعيين ماء كل اناء وعزله من جديد. عندها قال (ع): ان المرأة المتزوجة من عدة رجال في آن واحد، ستلتقي بجميعهم ثم تحمل، فكيف يمكن تشخيص من هو ابوالطفل القادم من بين هؤلاء الرجال. هذا من ناحية الرجل. اما من ناحية المرأة، فتعدد الأزواج يتنافى وطبيعة المرأة ومصلحتها. فالمرأة لا تريد الرجل لارضاء غريزتها الجنسية وحسب (كي يقال انه كلما كان اكثر، كان أحسن). انها تريد الفوز بقلب الرجل... تريده حامياً لها ومدافعاً عنها. ثم تضحي من اجله، وتشقى وتجمع المال وتقدم ثمرة شقائها وكدها فداءً له، وتشاركه همه وغمه. والمال الذي يدفعه الرجل للمرأة عند الزنا — وهو مال اكتسبته المرأة مقابل عمل — لن يفي بالاحتياجات الكبيرة لها والتي تفوق حاجة الرجل بعدة أضعاف، وليست له القيمة المعنوية التي يحظى بها المال الذي يهبه الرجل لها بدافع الحب والحنان. وحاجات المرأة المتعددة يؤمنها الرجل بوصفه مضحياً من أجل المرأة. وان اقوى دافع يدفع الرجل الى العمل والنشاط هو المؤسسة العائلية (أي الزوجة والاطفال). والمرأة في نظام تعدد الأزواج لا يمكنها ان تفوز بحماية ومحبة اي واحد منهم ولا اجتذاب عواطفه الخالصة أو دفعه للتضحية من أجلها، ولهذا صار تعدد الأزواج — كالزنا تماماً — يثير اشمئزاز المرأة دائماً. وهكذا نرى تعدد الأزواج لا ينسجم وميول ورغبات أي من الرجل والمرأة.

### فشل الاشتراكية الجنسية

ان كل ما ذكرناه سابقاً هو سبب فشل الاشتراكية الجنسية ايضاً.

والاشتراكية الجنسية اوزوال اختصاص رجل بامرأة معينة واختصاص امرأة برجل معين كانت قد اقترحت - كما ذكرنا - من قبل افلاطون، الا انه كان قد طرحها في حدود الطبقة الحاكمة. اي طبقة الحكام الفلاسفة والفلاسفة الحاكمين حسب اصطلاحه. هذا الاقتراح لم يفشل في الحصول على استحسان الآخرين وحسب، بل ان افلاطون نفسه قد عدل عنه في النهاية.

وقد اقترح فردريك انجلس - الاب الثاني للشيوعية في القرن الاخير - هذه النظرية ودافع عنها. الا ان العالم الشيوعي رفضها ويقال ان الحكومة السوفيتية، (على اثر تجارب مرة ومتمدة نتيجة تطبيق نظرية العائلة الاشتراكية لانجلس) قامت في سنة ١٩٣٨ بسن قوانين تؤيد قيام العائلة وتعتبر الاقتران بزوجة واحدة هو الزواج الرسمي الشيوعي.

ان تعدد الزوجات يمكن ان يعد امتيازاً للرجال، اما تعدد الازواج فلا يمكن اعتباره ميزة للمرأة لاسابقاً ولا لاحقاً. والسبب في ذلك ان الرجل يطلب جسد المرأة اما المرأة فتريد امتلاك قلب الرجل وتضحياته. ومادام جسد المرأة بين يدي الرجل فلا يهيمه الاً يكون قلبها كذلك. ولذا لا يهم الرجل في حال تعدد الزوجات ان يخسر قلب الزوجة وعواطفها، بينما تعتبر المرأة قلب الرجل وعواطفه لبّ المسألة. فاذا خسرتها فقد خسرت كل شيء.

وبتعبير آخر ان هناك عنصرين يتدخلان في امر الزواج: احدهما مادي والآخر معنوي. اما الجانب المادي في الزواج فهو الجانب الجنسي الذي يبلغ أوج عنفوانه في فترة الشباب ثم ينجح تدريجياً الى البرود ثم الانطفاء. بينما يتلخص جانبه المعنوي في العواطف الرقيقة الخالصة التي تحكم علاقتها وهي تزداد أحياناً وتقوى على مر الزمان. ومن الفوارق بين المرأة والرجل ان الجانب الثاني اهم عند المرأة من الاول على العكس من الرجل. والمرأة تهتم بالجانب المعنوي للزواج بينما يهتم الرجل بالجانب المادي منه، او يتساوى عنده الجانبان على الاقل.

وبالاضافة الى هذا فقد اوردنا في المقالة الرابعة والعشرين حديثاً عن اخصائية نفسانية أوروبية شاهدة على كلامنا في ان المرأة لكونها حاضنة للطفل في رحمتها وحجرها فهي تعيش حالة نفسية خاصة تجعلها في امس الحاجة الى حب ورعاية والده، كما ان مقدار حب الام لاطفالها يرتبط الى حد كبير بمقدار حبها و تعلقها بأبيهم لكونه عاملاً في انجابهم. هذه الحاجة النفسية عند المرأة لا تشبع الا في

ظل الزوج الواحد.

وعلى هذا فن الخطأ المحض اعتبار تعدد الأزواج في منزلة واحدة مع تعدد الزوجات وعدم التمييز بينهما، وتصور ان سبب نجاح تعدد الزوجات في بعض مناطق العالم هو قوة وتسلط الرجل هناك وان فشل المرأة في تطبيق نظام تعدد الأزواج نابع من ضعفها وتخاذلها.

تقول السيدة منوچهریان في كتاب (نقد القوانين الاساسية والمدنية الايرانية) في الصفحة ٣٤ مايلي: «جاء في المادة ١٠٤٩ من القانون المدني: «ليس لأحد ان يتزوج من ابنة أخى زوجته أو ابنة أختها إلا بإجازة الزوجة.. فإذا أجازت زوجته كان له ان يتزوج ابنة اخيها أو ابنة أختها». والآن ننظر ماذا يحدث لو أنها لم تجز ذلك؟ لن يتغير شيء في الأمر طبعاً.. فالمثل يقول اذا حصل العوض رفع العتب، فالذي سيحصل هو ان الرجل اذا لم يتزوج من أولئك فسيتزوج من غيرهن. والآن لنعكس القضية وننظر ماذا سيحصل؟ كأن نقول مثلا ان ليس للمرأة ان تتزوج من ابن أخى أو ابن أخت زوجها (في نفس الوقت الذي تكون فيه زوجة له) إلا بإذن الزوج. عندها يثور الدم في العروق المتعصبة وتعلو الاصوات قائلة: ان هذا الامر مخالف للمبادئ الانسانية، ومخالف أصلاً لطبيعة ودور المرأة. ونحن نحيب على ذلك بالقول: انه لا يخالف إلا مبدأ استرقاق المرأة. فكما ان المال لا يكون ملكاً الا للمالك واحد واذا كان له اكثر من مالك فانه سيعود بالنتيجة بعد التقسيم الى مالك واحد، كذلك المرأة - وبصريح قوانين بلدنا (أو بصورة ضمنية) حكمها حكم المال - لا يمكن ان يكون لها اكثر من مالك واحد...».

وتقول في الصفحة ٧٣ من الكتاب: «نستطيع ان نقول: بما أن للرجل ان يتزوج اربع نساء، فكذلك يجب ان يكون للمرأة - باعتبارها بشراً مساوياً للرجل - نفس حقوق الرجل. والنتيجة المنطقية لهذه الصغرى والكبرى تحجب الرجال. اذ يغلي الدم في عروقهم وبصرخون والشرر يتطاير من اعينهم وقد احمرت وجوههم، قائلين: كيف يمكن ان يكون للمرأة اكثر من زوج؟ وهنا نحبيهم بكل برود؛ ولماذا يكون للرجل اكثر من زوجة؟ (ونحن لا نقصد هنا ان ندعو الى اشاعة الفساد الاخلاقي، ولا نريد الإساءة الى عفة وطهارة المرأة لكننا نريد أن نفهم الرجال ان رأيهم في المرأة لم يقم على أساس متين. المرأة انسان والرجل انسان.

وهما متساويان فاذا اعطي للرجل الحق في الزواج من أربع فيجب ان يعطى للمرأة نفس هذا الحق. فلو فرضنا ان عقل المرأة لا يرجح على عقل الرجل، الا اننا يجب ان نقرب بأن سبحاتها الروحية وعواطفها الانسانية لا تقل عما يتمتع به الرجل».

يلاحظ — في الحديث الذي مرّ — عدم افتراض أي فرق بين تعدد الزوجات وتعدد الأزواج سوى ذكره أن الرجل قد فرض لنفسه تعدد الزوجات بخلاف المرأة التي لا تملك الحرية في الدفاع عن مبدأ تعدد الأزواج الذي يشكل وحده عنوان حريتها. كما ورد سابقاً من أن سبب نجاح تعدد الزوجات وفشل تعدد الأزواج هو مالكية الرجل ومملوكية المرأة، فالرجل لكونه مالكا للمرأة استطاع ان يمتلك عدة نساء بمعنى عدة ممتلكات، أما المرأة فانها مملوكة. وبما أن المملوك لا يكون له أكثر من مالك واحد، فقد حرمت لذلك من نعمة تعدد الأزواج.

ومن عجيب الصدف ان الأمر على خلاف رأي السيدة الكاتبة. لأن رفض تعدد الأزواج بحذ ذاته دليل على ان الرجل لا ينظر الى المرأة كسلعة او شيء مما يمتلك، اذ الاشتراك في الاموال وملكية أكثر من شخص لشيء ما والتصرف فيه مشتركاً أمر طبيعي ومعروف في كل قوانين البشر على وجه الارض. ولو ان الرجل نظر الى المرأة على انها ملك ومال؛ لرضى أن يشاركه غيره في تملكها كما يرضى لغيره أن يشاركه في ملكية الأشياء. حيث لانجد في الدنيا مكاناً يرفض اشتراك المالكين في ملكية شيء ما، كي نقرر ان تعدد الزوجات مبني على هذا الاساس.

انها تقول: ان الرجل انسان والمرأة انسان لذا يجب ان يتمتعا بحقوق متساوية. فلماذا يتمتع الرجل بحق تعدد الزوجات ولا تتمتع المرأة بنفس الحق في تعدد الأزواج؟

وأقول: ان الخطأ يكمن في تصورك أن تعدد الزوجات حق من حقوق الرجل وتعدد الأزواج حق من حقوق المرأة. والحقيقة هي ان تعدد الزوجات هو من حقوق المرأة بينما تعدد الأزواج لامن حقوق الرجل ولا من حقوق المرأة لأنه ليس في صالح الرجل ولا في صالح المرأة. وسنبرهن فيما بعد على ان قانون تعدد الزوجات في الاسلام إنما جاء لإحياء واحقاق حقوق المرأة. ولو كان الاسلام يريد مراعاة جانب الرجل لفعل ما يفعله العالم الغربي اذ يعطي للرجل حق ممارسة

الجنس مع غير امرأته ثم لا يفرض عليه أي التزام تجاهها ولا تجاه اولاده منها من الناحية القانونية.

ان تعدد الازواج ليس في صالح المرأة كي يعد حقا مسلوبا منها.  
ثم تقول الكاتبة: «أريد أن أُوهِمَ الرجال أن رأيهم في المرأة ليس قائما على اساس متين». وهذا ما نطلبه نحن ايضا. وسنوضح في المقالات التالية اساس نظرية الاسلام في تعدد الزوجات. ثم اطلب الى هذه الكاتبة والى كل صاحب رأي أن ينظرو ويقررو هل ان نظرية الاسلام مبتناة على اساس متين أم لا؟ فإذا استطاع أحد أن يرينا خلافا في أساس النظرية الاسلامية في هذا الباب، فاني اعطيه قول شرف أن أراجع عن كل أقوالي في هذا الموضوع.

## الاسباب التاريخية لتعدد الزوجات

(٢)

ان حب العيب وتسلط الرجل على المرأة وحدهما لا يكفيان سببا لنشوء تعدد الزوجات، فلا بد ان تكون هناك عوامل واسباب اخرى ادت الى هذا الموضوع. فان الرجل العايب لا يجد طريقا اسهل من اتخاذ العشيقات وحرية الجنس لارضاء رغباته وشهواته لان ذلك لا يكلفه ما يكلفه الزواج بما يحمل من مسؤوليات تجاه المرأة المطلوبة والاولاد المنتظرين.

ولذا في المجتمعات التي يسودها نظام تعدد الزوجات، اما ان تقف القيم الاخلاقية والاجتماعية حائلا بين الرجل الذي يطلب التنوع وبين ما يريد من العيب بالنساء واتخاذ العشيقات فيضطر الى دفع ضريبة رغباته وطموحاته الجنسية بقبول الزواج القانوني ومسؤولية رعاية الاطفال، واما ان نفترض وجود اسباب اخرى تفرض هذا الوضع كالعوامل الجغرافية او الاقتصادية او الاجتماعية.

### العوامل الجغرافية

يصر مونتسكيو وغوستاف لوبون كثيرا على ان للعوامل الجغرافية دخلا في تعدد الزوجات، ويريان ان مناخ الشرق يقتضي وجود هذه العادة، اذ ان المرأة في هذا الجو تصل مرحلة البلوغ في وقت مبكر وتشيع في عمر مبكر، لذا يحتاج الرجل الى زوجة ثانية وثالثة. ومن ناحية اخرى فان الرجل في ظل هذا المناخ يمتلك طاقة جنسية لا ترضيها زوجة واحدة.

يقول غوستاف لوبون في تاريخ الحضارة الاسلامية والعربية صفحة

٥٠٩: «ان تعدد الزوجات انما نشأ على اثر نوع المناخ الشرقي ونتيجة لخصائص عنصرية واسباب ترتبط بنوع الحياة الشرقية ولم ينشأ بتأثير الدين. اذ لا يخفى ان تأثير المناخ والخصائص القومية تعتبر من العوامل التي لا يمكن انكارها في هذا المجال، فلا ارى داعياً للاسترسال في الحديث عنها اكثر من هذا. كما ان طبيعة وبنية النساء الشرقيات وحضانة الاطفال ووجود الامراض وغير ذلك من العوامل؛ تجبر الرجل على ان يعتزل زوجته لفترات، ولما كان جوالشرق والجلبة القومية للرجال مما يجعل هذا الاعتزال صعب التحمل من قبل الرجل، صار الأخير مضطراً الى العمل بتعدد الزوجات».

ويقول مونتسكيو في كتاب (روح القوانين) في الصفحة ٤٣٠: «في البلاد ذات المناخ الحار تصل النساء سن البلوغ في الثامنة والتاسعة والعاشر من العمر، ثم يتزوجن بحيث يمكن القول ان الزواج والحمل يتمان اثر بعضهما مباشرة».

ويتحدث «بريدف» عن نبي الاسلام (ص) فيقول: «انه قد اقترن بخديجة وهي في الخامسة من العمر ودخل بها وهي في الثامنة. ذلك ان نساء البلاد الحارة يشخن في سن العشرين وحين يقترب عقلهن من الكمال، يكن قد هرمن... اما في البلاد المعتدلة فان جمال المرأة يعمر مدة أطول والنساء يبلغن في سن متأخرة وحين يتزوجن، تكون تجارهن الحياتية اكثر لامتداد السن، وحين ينجبن الطفل الاول، يكون العمر قد ولى منه الشيء الكثير، كما ان الزوجين يتزوجان وهما في سن متقاربة فاذا هرما، هرما معا، لذا نجد المساواة بين المرأة والرجل وان الرجال لا يتزوجون باكثر من واحدة... ولهذا نقول ان قانون منع تعدد الزوجات في اوربا ورواجه في آسيا مرتبطان بمتعضيات المناخ».

### هذا التعليل خطأ محض

اولاً: لأن عادة تعدد الزوجات لم تكن في أي وقت من الاوقات مقتصرة على البلاد الحارة، ففي ايران — وهي معتدلة المناخ — كانت هذه العادة سائدة قبل الاسلام. كما ان ما ذكره مونتسكيو من ان النساء في البلاد الحارة يهرمن في سن العشرين يعد تجنيا عليهن ليس الا. واكثر تجنيا منه؛ ما يقوله بريدف: من ان نبي

الاسلام قد اقترن بخديجة في الخامسة وزفت اليه وهي في الثامنة بينما يعلم الجميع أن النبي(ص) قد تزوج من خديجة حين كان هو في الخامسة والعشرين وكانت هي في الاربعين.

ثانيا: اذا كان هرم النساء المبكر وغليان الرجال الجنسي هو الدافع لنشوء تعدد الزوجات في الشرق، فلماذا لم يلجأ الشرقيون — لاشباع هذا النهم — الى الطريقة التي اتبعها الغربيون في القرون الوسطى والحديثة بفسح المجال للفحشاء واتخاذ العشيقات بدلا من تعدد الزوجات؟ اذ ان عادة الزوجة الواحدة في الغرب — على حد قول غوستاف لوبون — ليست الامادة قانونية على الورق وليس لها وجود واقعي في حياة الناس. وبقوله هو ايضا: ان تعدد الزوجات كان موجودا في الشرق بشكل قانوني وهذا يعني قبول الالتزام برعاية المرأة واطفالها، وفي الغرب تجد حالة تعدد الزوجات نفسها ولكن بشكل مخادع وغير قانوني أي بشكل اتخاذ عشيقات وخليلات والتنصل من الالتزام برعاية المرأة أو ابوة الاطفال.

### تعدد الزوجات في الغرب

ارى هنا انقل باختصار شرح الحالة تعدد الزوجات في الغرب في القرون الوسطى على لسان احد المؤرخين المحققين الغربيين كي يعلم القراء المحترمون وجميع الاشخاص الذين ينتقدون الشرق بسبب تعدد الزوجات واحيانا بسبب مسألة الحرم، ويعتبرون ذلك مما يطأطئ رؤوسهم امام الغرب، كي يعلموا جميعا ان ما كان يجري في الشرق بكل نقائصه وعيوبه أفضل بألف مرة مما كان يجري في الغرب في الماضي.

يعقد (ويل ديورانت) في المجلد السابع عشر من «تاريخ الحضارة» فصلا تحت عنوان (التفسخ الاخلاقي). يشرح فيه الوضع الاخلاقي العام في ايطاليا في زمان الرونسانس<sup>١</sup>. هذا الفصل جدير بالقراءة بكل اقسامه الاحد عشر. وانا انقل هنا خلاصة لما جاء فيه تحت عنوان (الاخلاق الجنسية).

يبدأ ويل ديورانت هذا الفصل بمقدمة يعتذر فيها الى القراء فيقول:  
«والآن اذ نأتي الى الحديث عن اخلاق الناس غير المتدينين مبتدئين

١ — حركة تجديدية ثقافية ظهرت في الكنيسة آنذاك .

بالعلاقات الجنسية؛ يجب ان نتذكر اولاً ان الرجل يميل بطبيعته الى تعدد الزوجات، ولا يمكن فرض نظام الزوجة الواحدة عليه الا بوجود قيود اخلاقية صارمة، ودرجة معينة من الفقر والعمل الشاق والمراقبة الدائمة من قبل الزوجة».

ثم يلج في صلب الموضوع فيقول:

«لا يمكن الجزم بأن زنا المحصنات في القرون الوسطى كان أقل مما في زمان الرونسانس، وكما ان الزنا كان يزين للناس في القرون الوسطى تحت غطاء الفروسية، كذلك كان يزين في زمان الرونسانس بين الطبقات المتعلمة تحت عنوان الظرافة والسحر الاثوي عند المرأة.

كانت الاسر الاصيلة تحجب بناتها عن الرجال الغرباء الذين لا يمتون الى العائلة بصلة. وكانت مزايا العفة قبل الزواج تشرح لهن وتلقن بجد. وكان هذا التعليم مؤثراً في بعض الاحيان الى حد انه يروى ان شابة قد انتحرت غرقاً بسبب الاعتداء على شرفها. لكن مما لاشك فيه ان تلك الشابة كانت فريدة في نوعها. لذلك طلب احد الاساقفة ان يصنع لها تمثال بعد موتها. ويجب ملاحظة سلوك النساء قبل الزواج والا فليس بالامكان تفسير وجود العدد الهائل من الاطفال غير الشرعيين الذين كانت تعج بهم مدن ايطاليا. وكان الطفل غير الشرعي محروماً من جميع الامتيازات لكنه لم يكن يحمل عارا بنفس الدرجة. وكان الرجل اذا اراد اغراء المرأة بالزواج منه؛ يعدها بايواء ولدها غير الشرعي في بيته ليعيش مع اطفاله هو. فلم يكن هذا الامر مما يتقص من قدر احد. وكانت الشرعية تكتسب بدفع رشوة الى احد اعضاء الكنيسة. وفي حال انعدام الاولاد الشرعيين، كان الاولاد غير الشرعيين يرثون حتى الملك والتاج. ومن هذا الطريق ورث (فرونثيه الاول) عرش (فرنسو الاول) ملك نابولي وصار (ليونللو دستيه) وكيلاً لنقولا الثالث امير (فرارا). وحين قدم (بيوس الثاني) الى فرارا سنة ١٤٥٩ كان في استقباله سبعة أمراء كلهم اولاد غير شرعيين وكان التنافس بين أولاد الحرام وأولاد الحلال من ميزات الرونسانس.

اما فيما يتعلق باللواط فقد كان يفرض على الناس بدعوى احياء العادات اليونانية القديمة... وقد لاحظ (سان برناردينو) انتشار هذا العمل في مدينة نابولي بشكل هدد المدينة بمصير كمصير (سدوم وعامورة)<sup>١</sup>، كما ان (آرتينو) اشاع هذا

١ - مدينتان على البحر الميت اعطرها الله تعالى نارا قصاصا على خطايا اهلها. المسجد، قسم الاعلام، ص ٥٢\*

الانحراف في روما بنفس النسبة... ويمكن ان نقول نفس الشيء عن الفحشاء. واستنادا الى رواية (اينفسورا) — الذي كان يريد ان يظهر إحصائياته بأنها أكثر ماتكون في روماموطن البابا— في سنة ١٤٩٠ كان بين سكان روما الذين يقدر عددهم بتسعين الفا (٦٨٠٠) فاحشة مسجلة في السجلات الرسمية، وهذا الرقم لايشمل المتخفيات أو غير المسجلات.

وكانت في البندقية حسب احصائية سنة ١٥٠٩، (١١٦٥٤) فاحشة من بين سكان المدينة البالغ عددهم ثلاث مئة الف نسمة.. وكانت البنات في القرن الخامس عشر اذا بلغت الخامسة عشرة من عمرها ولم تتزوج بعد، تعد وصمة عار على اهلها. ثم رفعت (سن العار) في القرن السادس عشر الى سبعة عشر عاما من اجل فسح المجال للفتاة لتحصيل علمي اكبر. وكان الرجال بسبب تيسر مجالات الفحشاء لايرغبون في الزواج الا اذا بذلت لهم المرأة مهرا مبالغا فيه، وكان ينتظر أن ينمو الحب بين المرأة والرجل من خلال الحياة الزوجية المشتركة ويتقاسمان الفرح والحزن والنجاح والفشل وهذا ما كان يحصل غالبا... ومع هذا فقد كان زنا المحصنة منتشرا كذلك. ولكون اكثر الزيجات لدى الطبقات المرفهة كانت تتم لاغراض دبلوماسية من اجل تحقيق مصالح سياسية واقتصادية كان الرجال يرون ان من حقهم اتخاذ العشيقات، فكانت الزوجة الشرعية تضطر الى كظم غيظها والإغضاء عن خيانة زوجها وعدم الاشارة اليها بأي شكل من الأشكال.

اما بين الطبقات الوسطى، فكان البعض من الرجال يرون في الزنا متعة مشروعة، وكان (مكيا فلي) واصحابه لا يرون بأسا في سرد قصص خياناتهم على بعضهم. وحين كانت المرأة تقدم على الانتقام لنفسها بسبب خيانة زوجها فتخونه بدورها. كان الزوج غالبا ما يفض نظره عن عملها ويتسامح في غيرته».

كان هذا نموذجا من حياة شعب كان يعد تعدد الزوجات جريمة يمارسها الشرقيون ويعزو احيانا هذا التصرف اللا انساني الى حرارة جوارح الشرق، اما جوههم ومناخهم فلم يكن يسمح لهم أبداً ان يخونوا نساءهم ويتجاوزوا نظام الزوجة الواحدة!!

ولابد من الاشارة الى ان عدم وجود نظام تعدد الزوجات المشروع في

الغرب - بغض النظر عن كونه حسناً او قبيحاً - لم يكن نتيجة لوجود الدين المسيحي . فليس في اصل الديانة المسيحية نص يحرم تعدد الزوجات، بل ان السيد المسيح لما كان قد بدأ مقررات التوراة وكانت الاخيرة تميز تعدد الزوجات، امكن القول ان تعدد الزوجات مشروع في اصل الديانة المسيحية . وقد ذكر ان قدماء المسيحيين كانوا يتزوجون من اكثر من واحدة. إذأ فإعراض الغرب عن تعدد الزوجات المشروع له اسباب وعلل أخرى هي :

### العادة الشهرية

وعد آخرون العادة الشهرية للمرأة ووجوب امتناع الرجل عن مقاربتها خلال فترة العادة بالاضافة الى تعبا من الولادة واعتزالها الحياة الزوجية واتجاهها لتغذية وتربية أطفالها، عدوا كل ذلك سببا لنشوء تعدد الزوجات . يقول ويل ديورانت: «في المجتمعات البدائية، تهرم النساء في وقت مبكر، ولذا يعملن على تشويق ازواجهن للزواج ثانية من اجل أن يحصلن على فرصة كافية لارضاع اطفالهن ولكي تطول المدة بين حمل وآخر لديهن بدون ان يعارضن رغبة الأزواج في انجاب الاطفال او يعارضن شهواتهم الجنسية، كما ان واجباتهن البيئية ستخف لوجود الزوجة الجديدة، وتحصل العائلة على اطفال جد منها يضافون الى ثروتها» .

مما لاشك فيه ان العادة الشهرية للزوجة والارهاق الذي يصيبها من جراء انجاب الاطفال يجعل المرأة والرجل في وضع غير متساو من الناحية الجنسية فيضطر الرجل الى البحث عن زوجة ثانية. لكن أياً من العاملين المذكورين لا يكفي لوحده ان يكون سببا في نشوء تعدد الزوجات ما لم يتوفر الى جانبه مانع أخلاقي أو اجتماعي يحول بين الرجل وبين ارضاء رغباته عن طريق اتخاذ الخليلات . واذأ فكل من العاملين المذكورين قد اقترن وجوده في وقته بوجود عوائق تمنع الرجل من الاتجاه نحو التحرر الجنسي الكامل .

### محدودية فترة الاخصاب عند المرأة

ان محدودية سن الاخصاب لدى المرأة - بخلاف الرجل - وبلوغها (سن اليأس) من عوامل نشوء تعدد الزوجات في نظر البعض . اذ قد تصل المرأة الى هذه

السن قبل ان تكون قد انجبت عددا كافيا من الاولاد، أو يكون الاولاد السابقون قد قضوا نحهم. ونظرا لرغبة الرجل في الحصول على الاولاد وعدم رغبته في طلاق زوجته تراه يسعى للزواج من ثانية وثالثة، وهكذا الحال اذا كانت الزوجة عاقرا، فان الرجل يتجه ايضا الى الزواج مجددا للحصول على الاطفال.

### العوامل الاقتصادية

وذكرت لتعدد الزوجات جذور اقتصادية حيث قيل ان الزوجة وكثرة الاولاد في الزمان القديم كانا في مصلحة الرجل. فهو يستخدم النساء والاولاد في العمل وبيع اولاده في بعض الاحيان، كما ان سبب استعباد الكثير من الناس في ذلك الوقت لم يكن الوقوع في الاسر في اثناء الحروب، وانما كان بسبب بيع الآباء أبناءهم في اسواق النخاسة.

هذا الامر يمكن ان يكون سببا لنشوء تعدد الزوجات لأن الرجل حين يتقبل الزواج الرسمي سوف يحصل على مزية كثرة الاولاد ويستفيد بذلك منهم، بينما اتخاذا المرأة عشيقة وخليلة، لا يوفر له هذه المزية. ولكن كما نعلم لا يمكن تعميم هذا السبب على انه علة نشوء تعدد الزوجات في جميع الاحوال. فاذا فرضنا ان تعدد الزوجات نشأ بين الامم البدائية لهذا السبب، (لم تكن جميع الامم على هذه الصورة) فان عادة تعدد الزوجات في الزمان القديم انما كانت سائدة اكثر بين الطبقات المترفة والغنية، وقد كان الملوك والامراء والقادة وعلماء الدين وكبار التجار هم الذين ينعمون بتعدد الزوجات، وهؤلاء بالتأكيد لم يكن غرضهم ان ينتفعوا اقتصاديا من نسايتهم واولادهم.

### عامل الكثرة والعشيرة

كانت الرغبة في كثرة الاولاد وزيادة عدد نفوس الاسرة بدورها عاملا آخر في نشوء تعدد الزوجات. فالذي يضع المرأة والرجل في وضع متفاوت في هذا الباب هو كون العدد الذي يمكن ان تنجبه المرأة من الاولاد محدودا سواء تزوجت من واحد او من اكثر، اما عدد الاولاد الذين يمكن ان ينجبهم الرجل فيعتمد على عدد النساء اللواتي يتزوج منهن، اذ يمكن ان ينجب الرجل آلاف الاولاد لو اتيح له الاقتران بمئات النساء.

في العالم القديم — بخلاف عالم اليوم — كان عدد أفراد العشيرة يعتبر امرا مهما من الناحية الاجتماعية. فكانت القبائل والطوائف تعمل بكل طريقة على زيادة عدد افرادها والحيلولة دون تنقصه. وكان مما يفتخر به ابناء القبائل كثرة العدد. ومن البديهي ان تعدد الزوجات كان يمثل الطريقة الوحيدة لتكثير العدد.

### زيادة عدد النساء على عدد الرجال

آخر العوامل المؤثرة في نشوء تعدد الزوجات كان زيادة عدد النساء على عدد الرجال. وليس سبب تلك ؛ زيادة مواليد الفتيات على مواليد الفتيان لا سابقا ولا حاضرا. فقد تزيد مواليد الفتيات في بعض نقاط الارض على مواليد الفتيان وتنعكس المسألة في نقاط أخرى. لكن الذي يتسبب دائما في زيادة عدد النساء في سن الزواج على عدد الرجال في هذه السن هو ان وفيات الرجال تزيد دائما على وفيات النساء وقد كان هذا السبب ولا زال يؤدي الى حرمان اعداد كبيرة من النساء من الحصول على زوج شرعي وبيت واطفال شرعيين فيما اذا التزم القانون نظام الزوجة الواحدة.

وهذا الامر لم يكن يسبب مشكلة في المجتمعات البدائية، فقد سبق ان نقلنا عن ويل ديورانت قوله: «في المجتمعات البدائية كانت حياة الرجل تتعرض الى اخطار كثيرة بسبب الحروب وممارسة الصيد مما يؤدي الى زيادة الوفيات بين الرجال عما هي بين النساء. فصارت زيادة اعداد النساء على اعداد الرجال سبباً ما في نشوء تعدد الزوجات واما في حرمان عدد كبير من النساء من الزواج».

### تحقيق

كان هذا عرضاً تاريخياً لابتداء ونشوء تعدد الزوجات والاسباب التي افترضت لذلك. لكننا نلاحظ انه قد حشرت بين هذه الالل والاسباب امور لا تصلح لان تكون سبباً في نشوئه وذلك مثل عامل المناخ. فاذا تجاوزنا هذا العامل، واجهتنا ثلاثة عوامل ذكرت كأسباب يمكن مناقشتها.

الاول: يمكن اعتباره سبباً غير جائز ولا شرعي ولا يمكن تفسيره الاعلى اساس التجني والظلم والاستبداد والعامل الاقتصادي الذي ذكر سابقاً هو من هذا القبيل.

فبديهي ان بيع الولد هو من اكثر الاعمال التي عرفها الانسان وحشية،  
والرغبة في تعدد الزوجات بهذه النية وهذا القصد عمل ظالم ووحشي كالعامل  
ذاته.

النوع الثاني من العلل والاسباب هو ما يمكن مناقشته والنظر فيه كحق  
ومسوخ للرجل أو للمجتمع من اجل قبول تعدد الزوجات. ومثاله: عقم المرأة، أو  
بلوغها سن اليأس واحتياج الرجل الى ولد، او حاجة القبيلة او البلاد الى زيادة  
عدد النفوس. وبصورة عامة فكل العوامل التي تضع المرأة والرجل في وضع غير  
متساو من الناحية الجنسية او من ناحية الانجاب تصبح مسوغا لتعدد الزوجات.

وهناك نوع ثالث من العوامل والاسباب اذا افترضنا وجوده قديما او  
حديثا، فهو لا يعد مسوغا للرجل او المجتمع لتشريع تعدد الزوجات وحسب، بل  
يصبح حقا للمرأة وواجبا على الرجل والمجتمع كي يسن هذه العادة، الا وهو  
زيادة عدد النساء على عدد الرجال. فاذا فرضنا انه حدث في السابق او الحاضر  
ان زاد عدد النساء المؤهلات للزواج على عدد الرجال المؤهلين له بحيث اصبح  
العمل بقانون الزوجة الواحدة يؤدي الى حرمان بعض النساء من الزواج وتشكيل  
اسرة خاصة بهن كباقي الناس، يصبح العمل بتعدد الزوجات حقا لهؤلاء النسوة  
المحرومات واجبا على الرجل تنفيذه وعلى الزوجات القبول به.

ان حق الزواج واحد من اهم حقوق الانسان. ولا يجوز حرمان احد من  
البشر منه بأية حجة. وكل فرد له مثل هذا الحق على مجتمعه. ويجب على المجتمع  
ان يضع حلا يتيح له الحصول عليه. وكما ان حق العمل وحق الطعام وحق  
المسكن وحق التربية والتعليم وحق الحرية تعتبر حقوقا اساسية للبشر لا يجوز  
حرمانهم منها بأي صفة وبأي حجة، كذلك حق الزواج حق طبيعي لا يجوز حرمان  
أبي منه. وبما ان العمل بقانون الزوجة الواحدة في حالة زيادة عدد النساء  
المؤهلات للزواج على عدد الرجال المؤهلين له، يجرم عددا من النساء من هذا  
الحق، فان هذا القانون يصبح مخالفا للحقوق الطبيعية للانسان.

هذا ما يتعلق بالماضي. فاذا يجب ان يقال بالنسبة للحاضر؟ وهل ان  
العوامل المسوغة للعمل بتعدد الزوجات وكذلك التي تجعل التعدد حقا للمرأة؛  
متوفرة في هذا الزمان ام لا؟ ولو فرضنا وجود هذه الاسباب والعوامل في الوقت  
الحاضر، فما الذي يمكن ان يقال عن حقوق الزوجة الاولى؟ كل هذه الاسئلة

سنجيب عنها في الفصول القادمة ان شاء الله تعالى.

## حق المرأة في تعدد الزوجات

(١)

فصلنا لحد الآن اسباب فتسل تعدد الازواج ونجاح تعدد الزوجات وأوضحنا ان هناك اسبابا مختلفة أدت الى نشوء تعدد الزوجات. منها ما كان منشؤه روح التحكم والاستبداد لدى الرجل، ومنها ما كان ناشئا عن التفاوت الطبيعي بين المرأة والرجل من حيث فترة الاخصاب والقابلية على انجاب الاطفال، وهو ما يمكن اعتباره مسوغا للرجل للعمل بتعدد الزوجات. اما العامل الرئيس الذي أوجب — طول التاريخ — تعدد الزوجات وجعله حقا للمرأة واجبا على الرجل، فهو زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال المهيئين له.

ومن اجل ان لانطيل الكلام، سنعرض عن الحديث عن الاسباب المسوغة لتعدد الزوجات ونقتصر على بحث الامور التي اذا ما توفرت جعلت تعدد الزوجات حقا من حقوق المرأة.

ومن اجل تثبيت هذا الحق يجب ان يتحقق امران:

**الاول:** ان يثبت طبقا للاحصائيات المؤكدة زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال المهيئين.

**الثاني:** عند تحقق الشرط الاول، تصبح النساء المحرومات من الزواج

ذوات حق انساني في رقاب الرجال والنساء المتزوجات.

اما فيما يخص النقطة الاولى، فلحسن الحظ تتوفر في هذا العصر احصائيات دقيقة لأعداد النساء والرجال. ففي جميع بلدان العالم تجرى احصائيات مستمرة كل بضع سنوات. وفي الاحصائيات التي تتم بدقة في البلدان المتقدمة ليس فقط تظهر الارقام الدقيقة لعدد الذكور والاناث؛ بل تظهر كذلك الارقام الدقيقة لكلا الجنسين في مختلف الاعمار. فثلا يتبين من الاحصائية عدد الذكور الذين تتراوح اعمارهم بين العشرين والرابعة والعشرين. وعدد الاناث اللواتي في نفس الاعمار المذكورة، وهكذا بالنسبة الى باقي الاعمار. وقد دأبت منظمة الامم المتحدة على نشر احصائيات من هذا القبيل سنويا، وقد صدر منها ستة عشر احصائية حتى

الآن، كان آخرها يرجع الى سنة ١٩٦٤م وقد نشرت في عام ١٩٦٥م.  
ومن الطبيعي ان نعلم انه لا يكفي ان نعرف عدد الذكور في بلد معين او عدد  
الاناث فيه، انما المهم ان نعرف النسبة بين الرجال المؤهلين والنساء المهيات  
للزواج. اذ ان عدد الرجال المهين والنساء المهيات للزواج غالبا ما يختلف عن  
مجموعهم الكلي بصورة عامة، ولذلك سبيان:

**الاول:** ان مرحلة البلوغ لدى الفتيات تسبق فترة البلوغ للفتيان ولذا نجد  
سن الزواج القانوني للفتيات في كل قوانين العالم اقل من سن الزواج القانوني  
للفتيان. وبشكل عملي نجد اعمار الرجال عند الزواج تزيد في اكثر بقاع  
العالم - خمس سنوات على اعمار زوجاتهم.

**الثاني:** وهو سبب اساس وأهم من الاول. وهو انه بالرغم من عدم  
زيادة نسبة مواليد الفتيات على مواليد الفتيان في بعض أنحاء العالم بل وتفوق عدد  
مواليد الفتيان على الفتيات فيها أحيانا، فإن الوفيات الحاصلة بين الذكور تزيد على  
الوفيات الحاصلة بين الاناث بحيث يختل التوازن في سن الزواج. فيزيد عدد  
النساء المهيات للزواج على عدد الرجل المهين له احيانا زيادة كبيرة، ولذا يمكن  
ان يكون عدد الذكور في بلد مساويا لعدد الاناث بشكل عام الا ان الامر  
ينعكس بين الرجال والنساء الذين بلغوا سن الزواج.

وهذا ما نجده واضحا في الاحصائية الاخيرة لمنظمة الامم المتحدة التي  
أجرتها عام ١٩٦٤م.

ففي جمهورية كوريا<sup>١</sup> مثلا، كان عدد النفوس العام طبقا لهذه الاحصائية  
٢٦/٢٧٧/٦٣٥ نسمة: ١٣/١٤٥/٢٨٩ من الذكور و ١٣/١٣٢/٣٤٦ من الاناث  
وفي المجموع يزيد عدد الذكور على الاناث بـ (١٢/٩٤٣) نسمة وتبقى هذه النسبة  
محفوظة في الاطفال الذين هم دون السنة من العمر والاطفال الذين تتراوح  
اعمارهم بين السنة الواحدة والاربع سنوات، والذين هم بين الخامسة والتاسعة  
من العمر، والثانية عشرة الى الرابعة عشرة من العمر، واخيرا ما بين الخامسة عشرة  
والتاسعة عشرة من العمر. فالاحصائية تشير الى انه في جميع هذه الاعمار يزيد  
عدد الذكور على عدد الاناث. اما فيما بين العشرين والرابعة والعشرين من العمر

١ - المقصود بها: كوريا الجنوبية وهي اليوم تزيد على (٣١) مليون نسمة.

فتنعكس النسبة اذ يبلغ مجموع عدد الذكور في هذا العمر ١/٠٨٣/٣٦٤ رجلا ومجموع الاناث ١/١١٠/٠٥١ امرأة. وابتداءً من هذه السنة فما فوق يبقى عدد النساء اكثر من عدد الرجال. هذه هي السن القانونية للزواج.

هذا مع العلم ان جمهورية كوريا تعيش وضعا استثنائيا من ناحية النفوس اذ يزيد عدد الذكور فيها بشكل عام على عدد الاناث، ففي الاكثرية الساحقة من بلدان العالم يزيد عدد الاناث على عدد الذكور في المجموع العام وليس فقط في عمر الزواج. ففي الاتحاد السوفيتي مثلا يبلغ مجموع النفوس ٢١٦/١٠١/٠٠٠ نسمة، منهم ٩٧/٨٤٠/٠٠٠ من الذكور و ١١٨/٢٦١/٠٠٠ من الاناث، ويبقى هذا الفرق بين اعداد الجنسين ثابتا في اعمار ما قبل الزواج وكذلك في سني الزواج أي بين العشرين والرابعة والعشرين وهكذا بين الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين، وبين الثلاثين الى الرابعة والثلاثين وحتى بين الثمانين والرابعة والثمانين من العمر.

وهكذا الامر في انكلترا وفرنسا والمانيا الغربية والمانيا الشرقية وجكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا والمجر والولايات المتحدة واليابان وغيرها، وهذا عدا عن كون الفرق كبيرا في بعض مناطق العالم كما في برلين الشرقية والغربية. وفي الهند، يزيد عدد الرجال على عدد النساء حتى في عمر الزواج. ولا يزيد عدد النساء على الرجال الا في عمر الخمسين فأكثر. ويظهر ان سبب هذه الظاهرة هو وجود بعض العادات والحرفات القديمة التي تقضي بدفن المرأة وهي حية مع زوجها الميت.

في الاحصائية التي اجريت في العام الماضي<sup>١</sup> في ايران، ظهر ان ايران من البلدان القليلة التي يزيد فيها عدد الرجال على عدد النساء. كان عدد نفوس ايران طبقا لهذه الاحصائية ٢٥/٧٨١/٠٩٠ نسمة منهم ١٣/٣٣٧/٣٣٤ من الذكور و ١٢/٤٤٣/٥٧٦ من الاناث، حيث يزيد عدد الذكور على عدد الاناث بـ ٨٩٣/٥٧٨ نسمة.

وأذكر انه جرى الحديث في تلك الايام بين بعض الكتاب حيث قالوا: انظروا كيف ثبت خطأ الداعين الى تعدد الزوجات اذ ظهر ان عدد الرجال في

١- الظاهر ان الاحصاء العام المشار إليه كان قد اجري عام ١٩٦٥ م.

بلادنا يزيد على عدد النساء وعليه فيجب الغاء قانون تعدد الزوجات.

وقد عجبت في حينه من موقف أولئك الكتاب. فانهم نسوا اولاً ان قانون تعدد الزوجات ليس خاصاً بايران وثانياً ان المطلوب هو معرفة نسبة عدد النساء المهيئات للزواج الى عدد الرجال المهيئين له وليس النسبة العامة. والا فان زيادة عدد الذكور في المجموع العام على عدد الاناث لا يعني الشيء الكبير فقد رأينا ان عدد الذكور في جمهورية كوريا وبعض البلدان الاخرى يزيد في المجموع العام على عدد الاناث، لكن عدد النساء المهيئات للزواج كان اكثر من عدد الرجال المهيئين له. فبغض النظر عن كون الاحصائيات التي تجرى في بلاد مثل ايران لا يمكن الاطمئنان اليها، فاننا لو أخذنا بنظر الاعتبار عقدة (ولادة الذكور) عند النساء الايرانيات وكانت وحدها كافية للشك في هذه الاحصائية. فكلنا نعلم ان المرأة الايرانية ليست مستعدة للظهور حتى امام مأمور الاحصاء على انها متوجة للاثناث اكثر من الذكور، فهي تسجل الفتاة فتى ليفهم انها لا تنجب الا ذكورا.

يضاف الى هذا ان قانون العرض والطلب حين الزواج يؤيد كون النساء الايرانيات في سن الزواج اكثر عدداً من الرجال في هذه السن. ذلك انه بالرغم من تفشي عادة تعدد الزوجات في كل مكان من هذا البلد بمدنه وقراه وحتى بدوه الرحل، الا ان احداً لم يشعر يوماً بوجود نقص في عدد النساء المهيئات للزواج ولم تنشأ عندنا سوق سوداء للمرأة في ايران، بل على العكس من ذلك فان العرض كان ولا يزال يفوق الطلب، وان الفتيات والارامل من الشابات اللواتي يفتقرن الى الازواج اليوم اكثر بكثير من عدد العزاب من الرجال ولم يحصل في أي وقت من الاوقات أن يرغب رجل — مهما كان فقيراً أو قبيح الخلق — في الزواج وفشل في الفوز بزوجة، بينما نجد أعداداً كبيرة من النساء يعشن على كره منهن حياة العزوبة. وهذه الوقائع المشهورة والمحسوسة أصدق من كل احصاء.

وهذا (اشلي مونتاجو) في كتابه: (المرأة؛ الجنس الافضل) خلال حديثه عن ميل المرأة الى التزين والتجمل وكونه نابعا من عوامل اجتماعية، يعترف بهذه الحقيقية فيقول: (في جميع انحاء المعمورة يزيد عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال المهيئين له.

وقد دلت احصائية النفوس الامريكية لعام ١٩٥٠م على وجود مليون وأربع مئة وثلاثين ألف امرأة مهياة للزواج زيادة على عدد الرجال المهيئين له).

(مجلة امرأة اليوم العدد/٦٩، صفحة/٧١).

ويقول برتراند رسل في كتاب «الزواج والاخلاق» في الفصل المتعلق بتعداد النفوس صفحة ١١٥: «يوجد الآن في انكلترا اكثر من مليوني امرأة زائدة على عدد الرجال، وهؤلاء النسوة طبقا للعرف السائد — يجب ان يعيشن الى آخر العمر عقيما في الواقع وهذا يشكل حرمانا عظيما هن».

قرأنا في الصحف الايرانية قبل عدة اعوام انه على اثر الخسائر الكبيرة التي قدمها الالمان في الحرب العالمية الثانية في عدد الرجال فقد حرمت اعداد كبيرة من النساء من الحصول على زوج قانوني وبيت، وقد ضغطت هؤلاء النسوة على الحكومة طالبات الغاء قانون الزوجة الواحدة واقرار قانون تعدد الزوجات. وقد طلبت الحكومة الالمانية رسميا من الجامع الازهر ارشاداته بهذا الخصوص، ولكننا علمنا بعد ذلك ان الكنيسة عارضت هذا الموضوع معارضة شديدة، اذ كانت تفضل حرمان النساء من حقوقهن — أو بالاحرى تفضل شيوع الفحشاء — على تبني برنامج شرقي او اسلامي.

### سبب زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال

ما هي علة الامر، ولماذا يزيد عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال بالرغم من ان عدد مواليد الفتيات لا يزيد على عدد مواليد الفتيان؟  
علة هذا الامر واضحة، وهي ان الوفيات بين الرجال اكثر منها بين النساء. وهذه الوفيات تقع حين يكون الرجل في عمر يمكن ان يكون فيه رب عائلة. فلولا حظنا الوفيات التي تحصل نتيجة الحوادث المختلفة من الحروب والغرق والموت تحت الانقاض والاصطدامات لوجدنا انها تصيب اكثر ما تصيب الرجال. ومن النادر ان نجد امرأة تتعرض لمثل هذه الحوادث، بل نجد الوفيات تحدث في صفوف الرجال سواء عند صراع الانسان ضد الانسان او صراع الانسان ضد الطبيعة. ولو اننا اخذنا الحرب لوحدنا بنظر الاعتبار — حيث لم يمر يوم منذ بداية تاريخ الانسان دون ان تكون فيه حرب في اكثر من بقعة من بقاع الارض، ويقدم فيها الرجال خسائر في الأرواح — لعلمنا لماذا يختل التوازن بين اعداد النساء والرجال في سن الزواج.

ان نسبة الخسائر جراء الحروب في عصر الماكينة اكثر مما كانت الاضعاف

منها في عصور الصيد والزراعة. فالخسائر التي وقعت في الرجال خلال الحربين العالميتين — والتي قدرت بحوالي سبعين مليون قتيل — تساوي ما فقدته البشرية في حروبها خلال عدة قرون سبقت. وإذا اخذتم بنظر الاعتبار الخسائر التي وقعت في الحروب التي جرت في السنين الاخيرة في الشرق الاقصى والاوسط وافريقيا والتي ما تزال تجري، لعرفتم صدق ما قلناه في هذا الميدان.

يقول ويل ديورانت: «تدخلت عوامل كثيرة في القضاء على هذه العادة (تعدد الزوجات) فان حياة الزراعة التي تتميز بالاستقرار قد ادت الى اختصار المتاعب والمشكلات التي كانت تواجه الرجال من قبل مما ادى بالنتيجة الى تساوي عدد الرجال مع عدد النساء تقريبا».

كلام (ويل ديورانت) هذا عجيب جدا. فلو كانت الخسائر في ارواح الرجال ناتجة فقط عن الصراع مع الطبيعة، لكان هناك فرق في الخسائر بين مرحلتي الصيد والزراعة، لكن الخسائر تقع بشكل رئيس نتيجة الحروب والتي لم تكن في مرحلة الزراعة بأقل منها في مرحلة الصيد، كما ان الرجل كان على الدوام يقوم بحماية المرأة و يتعرض من اجل ذلك الى الاخطار بما في ذلك خطر الموت، لذا نرى ان اختلال التوازن بين عدد النساء وعدد الرجال كان موجودا في مرحلة الزراعة كما هو في مرحلة الصيد.

ولم يشر (ويل ديورانت) الى عصر الصناعة من قريب ولا بعيد، بينما زادت الخسائر في ارواح الرجال في هذا العصر زيادة كبيرة جدا، واختل التوازن بين اعداد النساء واعداد الرجال اختلالا عظيما.

### المرأة اكثر مقاومة للأمراض من الرجل

وهناك حقيقة أخرى يمكن ان تعد سببا في زيادة الوفيات بين الرجال عما هي عليه بين النساء كشفتها اخيرا العلوم الحديثة وهي ان مقاومة الرجل للأمراض المختلفة أقل من مقاومة المرأة لها مما يجعل الخسائر في صفوف الرجال نتيجة الاصابة بالامراض اكثر مما هي عليه في صفوف النساء.

ففي شهر ذي سنة ١٣٣٥ هجرية شمسية<sup>١</sup> كتبت صحيفة (اطلاعات)

١ — تقابل اواخر عام ١٩٥٦م او اوائل عام ١٩٥٧.

هذا الخبر: «اعلنت دائرة الاحصاءات الفرنسية انه بالرغم من ان نسبة المواليد الذكور في فرنسا تزيد على المواليد الاناث، وأنه يولد في مقابل ولادة كل مئة فتاة مئة وخسة فتيان ومع ذلك فان عدد النساء في فرنسا يزيد على عدد الرجال بمليون وسبع مئة وخسة وستين نسمة. وسبب ذلك، ان مقاومة النساء للأمراض اكبر من مقاومة الرجال».

نشرت مجلة (الحديث)<sup>١</sup> في عددها الحادي عشر للسنة السادسة مقالا مترجما بقلم الدكتورة زهراء خانلري تحت عنوان (المرأة في المجتمع والسياسة) عن مجلة اليونسكو الشهرية المصورة. في هذه المقالة نقل عن (اشلي مونتاغو) قوله: «ان المرأة بطبيعتها متفوقة على الرجل، وكروموسوم (x) أكس الذي يتعلق بالانثى أقوى من كروموسوم y المتعلق بالذكر. لذا ترى ان عمر المرأة أطول من عمر الرجل، ومتوسط عمر المرأة اطول من متوسط عمر الرجل، والمرأة عموما أصح جسما من الرجل، ومقاومتها للأمراض أقوى من مقاومته. وشفاؤها حين تمرض أسرع منه، ويقابل كل امرأة لكنا خمسة رجال ذوي لكنة، ويقابل كل امرأة مصابة بعمى الالوان ستة عشر رجلا مصابا بعمى الالوان، وامراض نزف الدم تنحصر تقريبا في الرجال، كما ان المرأة أقوى مقاومة وتماسكا امام الاحداث. وقد ثبت ابان الحرب الاخيرة انه في الاوضاع المتشابهة، كانت المرأة أكثر تحملا من الرجل لمشقة الحصار والسجن ومعسكرات الاعتقال.

... واخيرا وليس آخراً في جميع البلدان تقريبا نجد ان حوادث الانتحار تزيد بنسبة ثلاثة أضعاف بين الرجال عنها بين النساء».

وقد ترجمت بعد ذلك، نظرية اشلي مونتاغو الخاصة بتفوق مقاومة المرأة للأمراض، من قبل السيد حسام الدين امامي ونشرت في كتاب (المرأة الجنس الافضل) وطبعت ايضا في مجلة امرأة اليوم العدد (٧٠).

ولو ان الرجل امتلك القدرة على الانتقام من المرأة لساقها الى ممارسة الاعمال الخطرة والمميتة وخصوصا اعمال الحرب حيث يكون جسمها الرقيق هدفا لاطلاقات المدافع والرشاشات والقنابل فان تفوقها في مقاومة الامراض سيؤدي كذلك الى اختلال التوازن بين اعداد النساء واعداد الرجال. كل هذا

١- بالفارسية: (سُخُنْ).

يتعلق بالمقدمة الاولى، اي زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال المهيئين له. وقد اصبح واضحا الآن ان لهذا الامر حقيقة ودافعا، وعرف سببه كذلك. وان هذا السبب كان وما يزال موجودا منذ بدء الخليقة وحتى هذه الساعة.

## حق المرأة في تعدد الزوجات

(٢)

اما المقدمة الثانية — أي كون تفوق عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال المهيئين له، يمنح النساء حقا معيننا ويفرض على الرجال والنساء المتزوجات واجبا فنقول فيها: اما كون حق الزواج من اكثر حقوق الانسان اصالة فأمر غني عن التعريف لان كلا من المرأة والرجل له الحق في بناء عش الزوجية، والفوز بزواج وأنجاب اطفال، تماما كما يمتلك حق العمل والمسكن والتربية والتعليم والصحة والأمن والحرية.

وعلى المجتمع الا يضع الحواجز بوجه الحصول على هذه الحقوق بل عليه ان يؤمن سبل تحقيقها كذلك.

في نظرنا ان لائحة حقوق الانسان قد جاءت ناقصة ومن جانب مهم جدا، هو عدم تضمينها الحق (الزواج) هذا. فان هذه اللائحة قد اشارت الى حقوق عدّة مثل حق الامن والحرية، وحق التحاكم المتمر الى المحاكم الوطنية، وحق التبعية وتغييرها، وحق الزواج من عنصر آخر وممن يدين بدين آخر، وحق التملك وحق تشكيل الاتحادات، وحق الاستراحة وحق التربية والتعليم. اما حق الزواج أي حق تشكيل المؤسسة العائلية فلم تشر اليه. ان هذا الحق يهم — أكثر ما يهم — المرأة لانها أكثر من الرجل احتياجا الى هذه المؤسسة، وقد ذكرنا في المقالة السابعة والعشرين ان الجانب المادي من الزواج هو الذي يهم الرجل أكثر، بينما تهتم المرأة بالجانب المعنوي والعاطفي فيه. فالرجل اذا فقد بيته وعائلته، يستطيع ان يوفر نصف حاجته على الاقل عن طريق الفحشاء واتخاذ الخليلات، لكن أهمية البيت والعائلة بالنسبة للمرأة تعني أكثر من ذلك، اذ لو خسرت المحيط العائلي، فلن يسد اتخاذها الخليل حاجاتها. لا المادية ولا المعنوية.

ان حق الزواج بالنسبة للرجل يعني حق اشباع الغريزة الجنسية، وحق الحصول على زوج وشريك ورفيق، وحق الحصول على طفل قانوني. اما حق الزواج بالنسبة للمرأة فيعني بالاضافة الى كل ذلك، حق الحصول على حام ورئيس، وحق الحصول على حبيب عطوف.

والآن، وبعد اثبات المقدمتين أي.

١ - زيادة عدد النساء على الرجال.

٢ - حق الزواج حق طبيعي للانسان.

تبين انه لو كان قانون الزوجة الواحدة هو الصورة القانونية الوحيدة للزواج، فان مجاميع كبيرة من النساء سيحرمن عمليا من حق طبيعي انساني هو حق الزواج، ولا يجبا هذا الحق إلا بتنفيذ قانون تعدد الزوجات (بشروطه وحدوده بالطبع).

فعلى المثقفات من النساء المسلمات اللواتي وجدن شخصياتهن الحقيقية بالوعي الاسلامي ان يقترحن على لجنة حقوق الانسان في منظمة الامم المتحدة الاعتراف بتعدد الزوجات في ظل الشروط المنطقية التي سنّها الاسلام. كحق من حقوق الانسان، وأن يكون هذا الاقتراح باسم الدفاع عن الحقوق الحقيقية للمرأة وباسم الدفاع عن الاخلاق والدفاع عن الاجيال القادمة وباسم اكبر حق من حقوق الانسان.

### نظرية رسل

(برتراندرسل) نبه - كما اشرنا سابقا - الى انه حين يكون الزواج الواحد هو الصورة القانونية الوحيدة للزواج فان ذلك سيؤدي الى حرمان اعداد كبيرة من النساء منه ولذا فهو يقترح حلا. ولكن أي حل؟ انه ببساطة يقترح ان تمنح هؤلاء النساء الحرية في اصطياذ الرجال وانجاب اطفال مجهولي الآباء كي لا يعيشن الحرمان من الذرية. ولما كانت المرأة في اثناء الحمل وبعد الوضع تحتاج الى معونة مادية يدفعها الأب، فيجب ان تقوم الحكومة مقام الآباء وتتكفل دفع المعونة المادية لمثل هؤلاء النسوة.

يقول (رسل): «في انجلترا اليوم اكثر من مليوني امرأة اكثر من الرجال في هذه الدولة وهؤلاء النساء يجب ان يعيشن العقم بناء على العرف السائد (عرف

الزوجة الواحدة)، وهذا يشكل بالنسبة لمن حرمانا عظيماً». ثم يتابع حديثه قائلاً: «ان نظام الزوجة الواحدة مبني على افتراض تساوي عدد النساء والرجال في البلد. فحين ينعدم التساوي، يقع ظلم عظيم على أولئك الذين يجب ان يعيشوا حالة العزوبة طبقاً لهذا القانون الرياضي. فاذا رغبتنا في زيادة عدد النفوس، فان الظلم سيرتفع ليس فقط في الاطار الخاص بل في الاطار العام ايضاً».

هذا ما يقترحه احد فلاسفة القرن العشرين حلاً لهذه المشكلة الاجتماعية، وهو نفس الحل الذي وضعه الاسلام لها.

الاسلام يقول: حُلِّوا هذه المشكلة بالطريقة الثانية وهي ان يقوم الرجل الذي تتوفر فيه مواصفات مالية واخلاقية وبدنية معينة بتكفل اكثر من امرأة، فيتخذ من المرأة الثانية زوجة قانونية وشرعية له لا يميزها هي ولا اولادها عن زوجته الاولى واولادها. وتتنازل الزوجة الاولى عن بعض حقها لاختها كواجب اجتماعي نحوها وتضحية منها لها، متقبلة هذه الاشتراكية التي هي نوع من أكثر انواع الاشتراكية ضرورة. بينما نجد فيلسوف القرن العشرين يقترح ان تقوم المحرومات من النساء بسرقة ازواج النساء الاخريات، وتتكفل الدولة باعالة الاطفال الذين يولدون ولا أب لهم. ان فيلسوف القرن العشرين هذا، يرى ان الزواج يجب ان يوفر للمرأة ثلاثة امور:

الاول: الجانب الجنسي، ويؤمن هذا بذكاء المرأة وجاذبيتها.

الثاني: الاطفال؛ ويؤمنون عن طريق سرقة ازواج الاخريات.

الثالث: الجانب الاقتصادي؛ وهذا ما تؤمنه الدولة في نظر هذا

الفيلسوف.

ان الشيء الذي لا اهمية له في نظر هذا الفيلسوف هو حاجة المرأة الى العواطف الزوجية المخلصة، وحاجتها الى ان تكون في حماية زوجها، وان تحس بقربه في غير الجانب الجنسي ايضاً.

والموضوع الآخر الذي لا اهمية له في نظر هذا الفيلسوف ايضاً هو حالة الضياع والتعاسة التي سيعيشها الطفل المولود بلا أب يراه. ذلك أن كل طفل بل كل انسان محتاج الى ان يكون ولداً لأب معروف وأمّ معروفة. وكل طفل محتاج الى العواطف الصادقة لأبويه. وقد اثبتت التجارب ان الام التي لا تعرف والد طفلها ولا ترتوي من حبه، لا تستطيع ان تفيض حبه على طفلها بصورة كافية. فن

اين يمكن تلافي هذا النقص في الحب والعطف؟ وهل يمكن للدولة ان تؤمن ذلك؟!<sup>١</sup>

و يأسف السيد رسل ألا يلقى اقتراحه رضا القانون فتبقى هذه المجموعات الكبيرة من النساء عقيمة، لكنه يعلم جيدا ان نساء انجلترا العازبات اللاتي لم يستطعن تحمل مثل هذا القانون قد حللن بأنفسهن — وبشكل عملي — مشكلة العزوبة والاطفال مجهولي الاب.

### من كل عشرة من الانجليز..

كتبت صحيفة (اطلاعات) بتاريخ ١٣٣٨/٩/٢٥ هجري شمسي<sup>١</sup> تحت عنوان (من كل عشرة من الانجليز ابن حرام) تقول: «لندن — رويتر — ١٦/كانون الاول — وكالة الأنباء الفرنسية: أشار التقرير الذي قدمه الدكتورج — أ — سكوت، طبيب صحة مدينة لندن الى انه خلال السنة الماضية كان من بين كل عشرة مواليد طفل واحد غير شرعي . واكد الدكتور سكوت ان الولادات غير الشرعية في ازدياد مستمر، فقد زادت من ٣٣٨٣٨ ولادة في سنة ١٩٥٧ م لتصبح ٥٣٤٣٣ ولادة في السنة التي تلتها».

ان الشعب البريطاني قد حل مشكلته بنفسه دونما انتظار لان يتخذ اقتراح السيد رسل صورته القانونية.

### تعدد الزوجات ممنوع واللواط مجاز

وما فعلته الحكومة البريطانية كان على خلاف رأي السيد رسل فانها بدلا من ان تحل مشكلة العازبات، اعترفت بمنافسين هن من جنس الرجال فزادت في حرمانهن وذلك بالمصادقة على قانون (اللواط). فقد نشرت صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٤/٤/٤٦ هجري شمسي الخبر التالي: «لندن — صادق مجلس العموم البريطاني على قانون اباحة اللواط بعد نقاش دام ثماني ساعات وسلم متن لائحة القانون المذكور الى مجلس الاعيان للمصادقة النهائية عليه».

١ — يصادف ١٦/١٢/١٩٥٩ م.

١ — يصادف ٥/٧/١٩٦٦ م.

وبعد عشرة أيام، اي في ٢٤/٤/١٣٤٦ كتبت تقول: «صادق مجلس اللوردات البريطاني في جلسته الثانية على (قانون اباحة اللواط). هذا القانون الذي سبق أن صادق عليه مجلس العموم البريطاني سرعان ما ستوقع عليه اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا».

في الوقت الحاضر، تعدد الزوجات ممنوع في إنجلترا. اما اللواط فباح في نظر هذا الشعب (الشعب الانجليزي). فاذا جاء الزوج بـ(شريكة) لزوجته من جنسها يكون قد ارتكب جريمة وعملا غير انساني. اما اذا كان الشريك من جنس الرجال، فقد قام بعمل مشرف وانساني يتناسب ومقتضيات القرن العشرين. وبتعبير آخر ان اهل الحل والعقد من الانجليزيون ان (الشريكة) اذا كانت ذات شارب ولحية فتعدد الزوجات في هذه الحال امر جائز! لسمع أولئك الذين يقولون ان العالم الغربي قد وجد حلا لمشكلاته الجنسية والعائلية ويجب ان نفيده نحن من هذا الحل، فهذا هو الحل!

انني لا ارى في ذلك شيئا عجيبا. فالطريق الذي سلكه الغرب في مجال العلاقات الجنسية والعائلية لا يمكن ان يؤدي الى غير هذه النتائج، ولو أدى الى نتائج مغايرة، لكان شيئا عجيبا.

انما الذي اعجب له هو لما ذا فقد شعبنا منطقته؟ لماذا لا يمتلك شبابنا وخرمبوننا هذه الايام القدرة على التحليل؟! لماذا فقدوا شخصيتهم...؟ لماذا عندما تكون بين ايديهم جوهرة ويقول لهم سكان النصف الآخر من العالم ان هذه جوهرة، يصدقون كلامهم ويرمون الجوهرة من ايديهم، واذا رأوا في يد الاجنبي جوهرة، وقال لهم انها جوهرة، صدقوا ذلك وطافوا حولها؟!!

### هل طبع الرجل على تعدد الزوجات؟

ستمحبون ولاشك حين تسمعون رأي الغربيين من علماء النفس وفلاسفة الاجتماع في أن الرجل خلق ومن طبعه ان يعدد الزوجات وان الاقتصار على الزوجة الواحدة خلاف طبيعته.

بعد ان يتحدث ويل ديورانت في كتابه «لذات الفلسفة» صفحة ٩١

عن الانحراف الخلفي اليوم في الجانب الجنسي، يقول: «مما لاشك فيه ان أكثر ذلك يعود الى الطبع الثابت الذي تتميز به والذي لا يرضى بغير التنوع وعدم الاقتصار على زوجة واحدة».

وهو الذي يقول: «ان الرجل طبع على تعدد الزوجات، ولا يمكن ان يفرض عليه نظام الزوجة الواحدة الا بواسطة أسمى القيود الاخلاقية، ودرجة معينة من الفقر والعمل الشاق والمراقبة الدائمة من قبل الزوجة».

كتبت مجلة (امرأة اليوم) في عددها ١١٢ تحت عنوان: (هل الرجل خائن بالطبع؟). تقول «قال البروفيسور الالماني اشميدت :

... كان الرجل طوال التاريخ خائنا والمرأة على أثره في الخيانة، فحتى في القرون الوسطى تجد ان ٩٠% من الشبان كانوا يتبادلون الرفيقات بين الحين والآخر. و ٥٠% من المتزوجين يخونون زوجاتهم. وكتب روبرت كينزي الباحث الامريكى الشهير في تقريره المعروف بد(تقرير كينزي) الشهير: ان الامريكين والامريكيات قد فاقوا كل شعوب العالم بالخيانة... و يقول في مكان آخر من هذا التقرير: ان المرأة بخلاف الرجل تنفر من التلون والتنوع في الحب واللذة ولذا تراها في بعض الاحيان لا تستطيع فهم تصرفات الرجل، اما الرجل فيرى في التنوع لذة، فهو ينحرف بسهولة. والمهم عنده اللذة الحسية لا اللذة العاطفية والروحية، فلا يتظاهر بالحب العاطفي والروحي الا حينما يجد فرصة للوصول الى اللذة البدنية. وقد قال طبيب مشهور يوما: (ان حب التنوع ( Ploygamy ) عند الرجل، وحب النوع الواحد ( Monogamy ) عند المرأة هو أمر بديهي ذلك ان ملايين الحيامن تنتج من جسم الرجل بيتا لا ينتج مبيضا المرأة في كل شهر أكثر من بويضة واحدة. لكن بغض النظر عن فرضية كينزي، لنسأل أنفسنا هل الوفاء صعب على الرجل؟ وقد كتب (هنري دي مونترلان) الفرنسي جوابا على هذا السؤال يقول: (ليس من الصعب فقط على الرجل أن يكون وفاقاً بل من المستحيل، فان امرأة واحدة قد خلقت لرجل واحد أما الرجل فقد خلق لكل الحياة ولكل النساء فاذا خان الرجل زوجته فما ذاك تقصيره هو بل تقصير الخلق والطبع الذي اوجد فيه كل مسببات الخيانة)».

وفي العدد ١٢٠ كتبت المجلة المذكورة، تحت عنوان (الحب والزواج على الطريقة الفرنسية) تقول: «ان الزوجين الفرنسيين قد وجدوا حلاً لمشكلة الخيانة؛

فقد وضعها حدودا وقيودا اذا لم يتجاوزها الرجل فلا اشكال في زيغه وانحرافه ضمن هذه الحدود. فهل يمكن لرجل بعد مرور سنتين على زواجه ان يبقى وفيما لزوجته؟ كلا، بالطبع، لان ذلك خلاف طبيعته. أما فيما يخص النساء، فالامر يختلف نوعا، وهن يدركن هذا الاختلاف. ففي فرنسا، اذا ارتكب الزوج خيانة، فلا تغضب الزوجة اذ انها تسلي نفسها بالقول: انه قد ذهب عند تلك المرأة بجسمه فقط أما روحه وعواطفه فهما ملك لي أنا».

ونشرت في صحيفة كيهان قبل عدة سنوات نظرية عالم احياء باسم الدكتور (رسل لي) تحدثت عن نفس الموضوع وكانت مثار جدل ونقاش بين الكتاب الايرانيين. يرى الدكتور (رسل لي) ان اقتصار الرجل على امرأة واحدة خيانة للاجيال، لامن حيث الكم بل من حيث الكيف، فان اقتصاره على واحدة يضعف نسله. ذلك ان النسل لدى تعدد الزوجات يأتي قويا صحيح الجسم. في رأينا ان هذا الوصف لطبيعة الرجل غير صحيح اطلاقا. وان رأي هؤلاء المفكرين نابغ من خصوصيات محيطهم الاجتماعي لا من حيث طبع الرجل.

نحن لاندري طبعاء ان المرأة تماثل الرجل تماما على ضوء علم النفس والاحياء، بل على العكس من ذلك نعتقد انها يختلفان جسما وروحا لغرض يريده الخالق عزوجل، ولذا يجب الا يتخذ من تساوي حقوق المرأة والرجل ذريعة لتماثل وتشابه الحقوق هذه. اما من حيث موقف المرأة والرجل من وحدة الزواج او تعدده فهما لاشك مختلفان، فالمرأة تميل الى وحدة الزوج بطبعها، وتعدد الأزواج لا ينسجم مع نفسها. اذ ان ما ترغبه المرأة في الرجل لا يمكن ان يتوفر في ظل تعدد الأزواج. اما الرجل فليس من طبيعه ان يحب وحدة الزوجة بمعنى ان تعدد الزوجات لا يتعارض مع طبيعه ولا مع ما يحبه في المرأة.

الا اننا نعارض الفرضية التي تقول: ان الزواج الواحد يتعارض مع نفسية الرجل فنحن ننكر ان يكون الرجل مولعا بالتنوع ولعاً لا يمكن علاجه. وتختلف مع النظرة التي تقول: ان الوفاء صعب على الرجل وان المرأة قد خلقت لرجل واحد والرجل لكل النساء.

نحن نرى ان الجو الاجتماعي المنحرف هو الذي يوفر اسباب الخيانة لان الرجل مجبول على ذلك بالخلقة والطبيعة. ان المسؤول عن خيانة الرجل هو جوه

الاجتماعي لا طبعه، ان الذي يوفر اسباب الخيانة هو المحيط الذي يدعو المرأة من جهة الى كافة فنون الاغراء والغواية للرجل الاجنبي، وابتكار الف حيلة وحيلة لحرفه وافساده، ومحرم من جهة أخرى مئات الآلاف بل ملايين النساء المهيئات والمحتاجات الى الزواج من حقهن في الزواج بحجة ان الصورة القانونية الوحيدة للزواج هي وحدة الزوجة، ويدفع هؤلاء النساء الى المجتمع لاغواء الرجال. وقبل رواج العادات الغربية في الشرق الاسلامي كانت نسبة الرجال الذين يقتصرون على زوجة واحدة هي ٩٠% علما بان ليس لأئمة منهم أئمة عشيقة او رفيقة او خليعة، وكان نظام الزوجة الواحدة هو السائد من الناحية العملية في أكثر العوائل.

### تعدد الزوجات يحفظ نظام الزوجة الواحدة

ستعجبون حين أقول ان تعدد الزوجات في الشرق الاسلامي هو الذي حفظ لنا نظام الزوجة الواحدة. نعم ان السماح بتعدد الزوجات كان اكبر عامل في انقاذ الزواج الواحد. ذلك انه لو لم يكن يسمح بتعدد الزوجات عند حصول موجباته العملية ولم يكن يعطى الحق للعازبات الزائدات على عدد الرجال بالزواج من الرجال المتزوجين الذين تتوفر فيهم الشروط الاخلاقية والمالية والبدنية اللازمة، لأدّى وجود الخليلات والعشيقات الى القضاء على الزواج الواحد ايضا. في الشرق الاسلامي، كان تعدد الزوجات مجازا من ناحية، ومن ناحية اخرى كانت عوامل اثارة الشهوات الجنسية مفقودة في المجتمع، لذا فان نظام الزوجة الواحدة هو الذي كان يحكم المجتمع عمليا، ولم ينجر الرجل عن طريق اتخاذ العشيقات الى ان يضعوا لذلك فلسفة بالتدريج ويدعوا ان الرجل قد خلق محبا للتعدد والتنوع في النساء وان الاقتصار على زوجة واحدة من المستحيلات. يمكن ان تسألوا، انه اذا كان الرجل في قانون الطبيعة محبا للتعدد في الزواج كما يقول هؤلاء العلماء، والقانون الاجتماعي يدين تعدد الزوجات، فاذا سيكون موقف الرجل من هذين القانونين؟

ان موقف الرجل في مذهب هؤلاء السادة واضح وهو أن الرجل يجب ان يكون - قانونا - ذا زوجة واحدة و - عمليا - ذا عدة زوجات، أي: الا تكون له اكثر من زوجة واحدة شرعا وقانونا، بينما له ان يتخذ ماشاء من العشيقات

للبسطاء على انها دفاع عن وحدة الزواج، ويضيفون بنغمة بريئة: اننا نفضل ان تكون للرجل زوجة واحدة ولا يخونها على ان تكون له عدة زوجات، ويخونهن جميعا.

### مكر رجل القرن العشرين

ان رجل القرن العشرين قد استطاع فيما يتعلق بالكثير من مسائل حقوق الاسرة ان ينتعل النعل بالمقلوب (كما يقول المثل) وان يخدع المرأة بكلمات معسولة وبراقة كالحرية والمساواة فيتخلص من التزاماته تجاهها ويزيد في لذاته منها. الا انه لم ينتج في هذا الاسلوب كما نجح في اسلوب تعدد الزوجات. في الحقيقة انني أقرأ في كتابات بعض الكتاب الايرانيين أمورا تثير الشك عندي في أن ما يكتبون اما ان يكون عن سذاجة أو عن قصد.

كتب احد هؤلاء الكتاب طارحا نظريته حول تعدد الزوجات يقول: «في الوقت الحاضر تقوم العلاقات الزوجية - في البلدان المتقدمة - على التزامات متبادلة، ولذا يعتبر الاعتراف من قبل الزوجة بتعدد الزوجات (دائما كان او منقطعا) بنفس الدرجة من الصعوبة التي يستشعرها الرجل لو طلب اليه القبول بوجود منافسين له على زوجته».

انا لا ادري هل ان التصور الحقيقي لهؤلاء الاشخاص هو ما يذكرون ام انهم ينتعلون النعل بالمقلوب؟! أحمقاً انهم يجهلون أن تعدد الزوجات نابع من مشكلة اجتماعية تشغل كاهل الرجال والنساء المتزوجات ولم يوجد حل لها لحد الآن افضل من تعدد الزوجات؟ الا يعلمون ان اطباق الاجفان على العيون والتهاتف «بجيبا الزواج الواحد»، «الموت لتعدد الزوجات» لا يداوي جرحا؟ ألا يعلمون ان تعدد الزوجات هو من حقوق المرأة وليس من حقوق الرجل ولا علاقة له بقضية المساواة بين المرأة والرجل؟

مضحك قولهم: «ان الاعتراف بتعدد الزوجات من قبل الزوجة بنفس الدرجة من الصعوبة التي يستشعرها الرجل فيما لو طلب اليه ان يرضى بوجود منافسين له على زوجته». فعدا عن ان المقارنة مغلوطة، قد يجهل هؤلاء السادة ان عالم اليوم - الذي يتقبلون كل ظاهرة جديدة باسمه دون ان يشكوا لحظة في صحة وسلامة ما يجري فيه - يطلب دائما الى الرجل ان يحترم علاقات زوجته بالرجال

والخليلات، في نظر هؤلاء السادة ان اتخاذ الرجل المعشوقات والخليلات حق طبيعي ومسلم به ومشروع! واقتصاره طول عمره على زوجة واحدة نوع من (اللارجولة).

### الوجه الحقيقي للنقاش

أرى ان الوقت قد حان لكي يعلم القارئ المحترم ماهي طبيعة المسألة التي عرضت للانسان بعنوان تعدد الزوجات؟ ماذا كانت وماهي الآن؟ ليست المسألة في ايها افضل: تعدد الزوجات ام الزوجة الواحدة؟ اذ لا شك في ان الزوجة الواحدة هي الافضل. فنظام الزوجة الواحدة يعني وحدة الاسرة، وانسجام روحين وجسمين مع بعضهما. وبديهي انه لما كانت الوحدة والاتحاد هما روح الحياة الزوجية، فهما في الزواج الواحد أوضح واكمل. ان ما يضع الانسان اليوم امام مفترق الطرق ليس اختيار احد طريقين: وحدة الزوجة أو تعدد الزوجات. فان المطروح الآن بهذا الخصوص هو أنه في حالة زيادة عدد النساء المؤهلات للزواج على عدد الرجال المحتاجين له، فان نظام الزوجة الواحدة نفسه يتعرض لخطر الزوال والفسناء. ذلك ان فرض نظام الزوجة الواحدة على جميع الاسر البشرية أسطورة وأمنية ليس الا. وما على البشر الا ان يختاروا احد طريقين: اما الاعتراف بتعدد الزوجات او القبول باتخاذ العشيقات. وبتعبير آخر: اما القبول بتعدد الزوجات لبعض الرجال - الذين لا تزيد نسبتهم عن العشرة بالمئة في المجتمع - وضمان حصول النساء العازبات على حياة زوجية وعائلية، واما فتح الطريق امام اتخاذ الخليلات. ويعني الاختيار الثاني طبعاً، ان كل خلية يمكن ان تتصل باكثر من رجل مما يجعل اكثر المتزوجين ذوي عدة زوجات من الناحية العملية.

نعم هذه هي الصورة الصحيحة لعرض مسألة تعدد الزوجات. أما الذين تبسوا الدعوة لطرز الحياة الغربية فغير مستعدين ل طرحها بهذه الصورة. انهم غير مستعدين ل اعلان الحقيقة، لانهم في الواقع حماة ودعاة اتخاذ العشيقات، ولا يرون في الزوجة الشرعية والقانونية الواحدة الاعبأ ثقيلاً عليهم وطفيلية وزائدة عن حاجتهم، فاطنك بالاثنتين والثلاث والاربع.

انهم يجدون اللذة في التحرر من قيود الزواج لكنهم يعرضون المسألة

الآخرين، وإن يرضى بوجود منافسين له في حياته الزوجية. إن عالم اليوم يستنكر عدم صبر و تحمل الزوج اشتراك الآخرين في زوجته و يصفه بأنه حسدٌ وتعصبٌ وغير ذلك. كم أتمنى لو أن شبابنا يطلعون أدنى اطلاع على ما يجري هذا اليوم في العالم الغربي في هذا الخصوص.

\* \* \*

نظراً لأن تعدد الزوجات ناشئ عن مشكلة اجتماعية لا عن طبيعة الرجل الذاتية، فبديهي أنه في المجتمع الذي يعاني من مشكلة زيادة عدد النساء المحتاجات إلى الزواج على عدد الرجال المحتاجين إليه، سيؤهل تدريجياً أو يقلل إلى حد كبير. وحتى إذا أردنا في مثل هذه الظروف (إذا افترضنا إمكان وجوده) أن نلغي تعدد الزوجات كلياً، فإن المنع القانوني ليس كافياً ولا صحيحاً. لأن ذلك يستدعي:

**أولاً:** وجود العدالة الاجتماعية وتوفير العمل والدخل الكافي لكل رجل محتاج إلى الزواج كي يتمكن من المبادرة إلى تشكيل عائلة.

**ثانياً:** حرية اختيار الفتاة للزوج الذي تريده فلا يفرض عليها أب أو أخ أن تتزوج مكرهة من شخص لغناه. وبديهي أن الفتاة التي تملك حرية اختيار زوجها بنفسها وتتوفر لها فرصة الاقتران بفتى عازب لن تفكر أبداً في الزواج من رجل متزوج. ذلك أن أولياء الفتاة هم الذين يبيعونها — أختاً كانت أو ابنة — إلى الأغنياء المتزوجين.

**ثالثاً:** التقليل ما أمكن من عوامل الاثارة الجنسية في المجتمع وعوامل خراب البيوت وعدم تركها بالوضعية التي تراها اليوم. فإن عوامل الاغواء والاغراء تجتذب حتى المتزوجة فتخرج من دار زوجها لترتمي في بيوت الاجانب فكيف بالعازبة. فإذا اراد المجتمع الحفاظ على نظام الزوجة الواحدة فعليه ان يسعى لارضاء اسس هذه العوامل الثلاثة والا فان المنع القانوني لتعدد الزوجات سوف لن يسفر الا عن فتح باب الفحشاء على مصراعيه ليس الا؟

### الاختلال الناشئ عن وجود العازبات

أما إذا زاد عدد النساء المحتاجات للزواج على عدد الرجال المحتاجين له فإن منع تعدد الزوجات خيانة للإنسانية، لأن ذلك لا يعني فقط حرمان المرأة من

حقوقها. ولو اقتصر الامر على الحرمان فقط لأمكن تحمله. لكن الاضطراب الذي سيصيب المجتمع بسبب هذا الفارق هو اخطر من اي اضطراب آخر. ذلك ان الاسرة هي أقدس مؤسسة في الوجود.

ان الذي يحرم حقه الطبيعي في هذه الحال هو كائن حي مع كل ردود الفعل التي يمكن ان تنشأ عن حرمان مثل هذا الكائن من حقه. ان الذي اصابه الحرمان هنا، انسان يحمل كل العقد والاضطرابات الروحية التي يفرزها الحرمان من المسرات، انه امرأة مع كل ما تحمل من مكر النساء. ابنة حواء بقدرتها الكاملة على خداع الناس.

انها ليست حنطة او شعيرا يرمى في البحر اذا فاض عن الحاجة، أو يجزّن في المخازن ليوم القحط... ليست دارا او غرفة كي تقفل بابها بالأقفال اذا زادت عن الحاجة... انها كائن حي... انسان... امرأة... انها تستخدم قوتها الجبارة لتدمر المجتمع وتذك اركانه، وستقول: «أقول الحق انني لا استطيع أن انظر الى اصحابي يأكلون وأجوع»<sup>١</sup>. هذه الـ (لا استطيع ان انظر) ستظهر العجائب. انها ستهدم البيوت والاسر، وتطلق العقد والاحقاد. وويل للناس حين تتحد ضدهم الغرائز والعقد النفسية.

ان النساء المحرومات من تشكيل الاسرة سيبدلن أقصى الجهود لإغواء الرجل الذي لا ترتجف اقدامه ولا تنزلق على ارض كما تنزلق وترتجف على هذه الارض اذا ما تحرك عليها. وبديهي ان «اقدام الفيلة تنزلق حين يكثر الطين» وللأسف فان قليلا من هذا (الطين) كاف لكي ينزلق هذا الفيل.

لكن هل يقف الامر عند هذا الحد؟ كلا، بل سيأتي دور المتزوجات. فان النساء اللواتي يرين أزواجهن وهم يخونونهن؛ لا بد ان يفكرن في الانتقام والخيانة. انهن سيتابعن الرجل في الخيانة. فإذا ستكون النتيجة النهائية؟

لخص (كينزي روبرت) في تقريره الشهير هذه النتيجة بقوله:  
«ان نساء امريكا ورجالها قد فاقوا كل شعوب العالم في الخيانة وعدم

الوفاء».

١ - ترجمة لبيت شعر بالفارسية هو:

«سخن درست بگيوم نميتوانم ديد

كه مى خونند حريفان ومن نظاره كتم»

وتلاحظون ان المسألة لم تنته بفساد وانحراف الرجل وحسب بل ان السنة هذا اللهب مستطول ثياب المتزوجات وربات البيوت في النهاية.

### ردود الفعل المختلفة عند ازدياد عدد النساء

ان ظاهرة الزيادة النسبية لعدد النساء على الرجال كانت واضحة دائماً في حياة البشر، لكن الذي يتفاوت شدة وضعفاً هو نوع رد الفعل الذي تولده هذه المشكلة في المجتمع. فالشعوب التي تميل الى العفاف والتقوى بسبب اعتناقها الاديان السماوية الكبرى قد حلت هذه المشكلة بنظام تعدد الزوجات. أما الشعوب التي لم تكن تميل الى التدين والعفاف فقد اتخذت ذلك ذريعة لاشاعة الفحشاء.

فلا تعدد الزوجات في الشرق ناشئ عن الدين الاسلامي، ولا مثله في الغرب ناشئ عن أمر الدين المسيحي، ذلك أنه كان موجوداً في الشرق قبل الاسلام وقد أجازته الاديان الشرقية، كما اننا لانجد نصاً في الدين المسيحي يجرّم ذلك. اما موقف الغرب منه فيتعلق بشعوب الغرب نفسها لا بالدين المسيحي. ان الشعوب التي انتهجت الفحشاء طريقاً قد أضرت بنظام الزوجة الواحدة اكثر مما أضرت بتعدد الزوجات.

يقول الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف كتاب «حياة محمد» بعد ذكره آيات قرآنية حول تعدد الزوجات: «ان هذه الآيات ترى الاكتفاء بزوجة واحدة هو الافضل وتقول انكم اذا خفتم عدم العمل بالعدل فتزوجوا من واحدة فقط، مؤكدة في البين انكم لن تستطيعوا ان تعدلوا. ولكنها في نفس الوقت - بسبب امكان نشوء ظروف اجتماعية تستوجب تعدد الزوجات - تميزها بشرط العدالة. ان محمداً (ص) قد اتخذ نفس هذا الموقف من أرامل شهداء الحروب الاسلامية ضد الكافرين فهل يمكن واقعا ان تقولوا - بعد نشوب الحروب وحلول الأوبئة واندلاع الثورات التي يهلك خلالها الآلاف بل الملايين من الرجال، وتبقى أعداد كبيرة من النساء بلا أزواج - ان الاكتفاء بزوجة واحدة أفضل من تعدد الزوجات الذي يحصل استثناءً وبشرط العدالة؟ وهل تستطيع شعوب الغرب ان تدعي ان قانون الاقتصار على زوجة واحدة المسطر على الورق فقط قد طبق فعلاً بعد الحرب العالمية الثانية؟».

## عيوب تعدد الزوجات

ان السعادة والهناء في الحياة الزوجية تكمنان في الصفاء والاخلاص... في التسامح والتضحية... في الوحدة والاتحاد بين الزوجين. وهذه كلها تتعرض للخطر في ظل تعدد الزوجات. فضلا عن الظروف الشاذة التي ستعيشها النساء والاطفال متعددي الامهات<sup>١</sup>، فان الرجل الذي سيتحمل المسؤولية الثقيلة لتعدد الزوجات انما يكون قد ادار ظهره للسعادة والراحة حين استقبل بوجهه تعدد الزوجات.

ان اكثر الرجال السعداء في ظل تعدد الزوجات هم أولئك الذين تخلوا عمليا عن مسؤولياتهم الشرعية والاخلاقية، فاهتموا بالزوجة الجديدة وأخرجوا القديمة من حسابهم وتركوها - كما عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله - «كالمعلقة» ان الذي يسميه هؤلاء الافراد (تعدد الزوجات) ما هو في الواقع الازواج واحد مقترن بالظلم والتجني والاعتداء.

ان المشل العامي السائد بين الناس يقول: (رَبِّ واحدٌ؛ زوجةً واحدةً)، وقد كانت هذه ولا تزال نظرة أكثر الرجال. والحقيقة اننا اذا اخذنا بنظر الاعتبار السعادة في الحياة الشخصية لوجدناها نظرة صحيحة. واذا لم تصدق هذه النظرة لدى جميع الرجال، فهي تصدق لدى اكثرهم.

ولو تصور رجل ان تعدد الزوجات بما يتضمنه من مسؤوليات شرعية واخلاقية هو مصدر سعادة ورفاه له، فهو واهمّ حتما. اذ بما لاشك فيه ان الزواج من واحدة يرجح على الزواج من متعدّدات في توفير الراحة والسعادة، ولكن...

## الطريقة السليمة في التحقيق

ليس من الصحيح ان نقارن مسائل مثل مسألة تعدد الزوجات - بما أنها ناشئة عن ضرورات شخصية او اجتماعية - بنظام الزوجة الواحدة. انما الطريقة الصحيحة في بحث مثل هذه المسائل هي ان نأخذ بنظر

١ - اي الام الحقيقية وزوجات الأب.

الاعتبار أسبابها وموجباتها، وننظر في عواقب عدم الالتزام بها من جهة، ومن جهة أخرى نأخذ المفاصد والاضرار الناجمة عنها، ثم نحري محاسبة شاملة لطرفي المسألة والآثار الناتجة عنها لنخرج بنتيجة منطقية. وهذه الطريقة هي الوحيدة في الواقع - لمعالجة مثل هذه المسائل وبحيها.

ولتوضيح الامر نضرب المثال التالي:

لنفرض أننا اردنا ان نقرر صحة او خطأ قانون (الخدمة الاجبارية في الجيش)، فاننا اذا نظرنا اليه من زاوية عائلة الشاب الذي يجب ان يلتحق بالخدمة العسكرية فقط، فلاشك اننا سنقرر ان هذا القانون ضار، وما أحسن ان يلغى ليبقى الشاب الى جانب أهله ولا يفارقهم قاصدا ميادين القتال حيث الحرب وسفك الدماء.

لكن بحث هذه المسألة على هذا النحو ليس صحيحا. انما الصحيح ان نبحث العواقب الوخيمة التي ستعرض لها البلاد حين تفتقد الجنود المدافعين عنها، مع الاخذ بنظر الاعتبار ما يسببه فراق الجندي لاهله وحزن اهله لفراقه. لاشك اننا في هذه الحال سنقرر ان المنطقي والمعقول جدا ان تقوم مجموعة من شبان الوطن - باسم الجندي - بالدفاع عن الوطن والتضحية في سبيله بارواحهم. وان على عوائلهم ان تتحمل وتصبّر على نتائج هذا العمل مهما أسفر عنه من خسائر في الارواح والاموال.

اشرنا في المقالات السابقة الى الضرورات الشخصية والاجتماعية التي تجوّز احيانا تعدد الزوجات، ونريد الآن ان نبحث عيوب تعدد الزوجات والاضرار الناجمة عنه كي يكمل بحث المسألة من جميع جوانبها على اساس صحيح. ويتضمن بحث العيوب ايضا اعترافنا بوجود مجموعة من العيوب في هذه المسألة وان كنا لانقر بوجود بعض ما يذكره الآخرون كعيب لها، كما سنوضح ذلك فيما يأتي. والعيوب التي ذكرت لتعدد الزوجات كثيرة وسنلج البحث من عدة نواح كما يلي:

### من الناحية النفسية والروحية

العلاقة الزوجية لا تقتصر على الجوانب المالية والبدنية، ولو كان الامر كذلك لأمكن القبول بتعدد الزوجات بشكل عام. ذلك ان الامور المالية والجسمية يمكن تقسيمها بين عدة اشخاص فيأخذ كل شخص حصته.

انما الاساس في العلاقة الزوجية هو الجانب الروحي والمعنوي... الحب والعطف والمشاعر، والرابط الحقيقي بين الطرفين هو القلب. والحب والمشاعر كأى شيء معنوي آخر ليسا مما يقبل التقسيم والتجزئة ولا يمكن توزيعهما بين اشخاص فهل يمكن تقسيم القلب الى نصفين، او حضوره في مكانين في آن واحد؟ ام هل يمكن ان يوهب القلب لشخصين؟ فالحب والعبادة تفرّد لا يقبلان شريكا ولا منافسا، وليس حنطة او شعيرا كي يقسم و يوزع على الافراد. أضف الى ذلك ان المشاعر ليست مما يتحكم فيه الانسان، فالانسان رهن ارادة قلبه، وليس القلب رهن ارادة الانسان إذاً. فالشيء الذي يمثل روح الزواج وجانبه الانساني، ويميز العلاقة بين انسانين عن العلاقة بين حيوانين باعتبار الاخيرة شهوانية وغريزية صرفاً، هو شيء لا يقبل التقسيم ولا التحكم. اذا فتعدد الزوجات أمر مرفوض.

في نظرنا ان في هذا الكلام شيئاً من المبالغة... صحيح أن روح الزواج هي العاطفة والمشاعر والحب. وصحيح ان المشاعر القلبية لا تدخل في نطاق سيطرة الانسان ولكن القول بأن المشاعر غير قابلة للتقسيم ليس الا خيال شاعر، بل مغالطة، اذ ليس الكلام في امكانية تقسيم المشاعر بالطريقة التي تُقَدُّ فيها قطعة لحم الى قطعتين كي يقال ان الامور الروحية لا يمكن تقسيمها. انما الكلام في مدى استيعاب حب شخصين، لاننا نجد أباً لعشرة أولاد، وهو يحبهم الى حد العبادة، ويضحى من اجلهم جميعاً.

نعم، هناك شيء واحد لا يقبل الجدل او الشك، هو ان الحب والعاطفة لا يبلغان اوجهما في حالة التعدد كما يبلغانه في الزوجة الواحدة. فالحد الاعلى للحب والعواطف لا يتفق مع التعدد كما لا يتفق مع العقل والمنطق كذلك.

يقول (رسل) في (الزواج والاخلاق): «يرى الكثير من الناس اليوم ان الحب هو تبادل منصف للمشاعر، وهذا وحده سبب كافي بغض النظر عن بقية الاسباب - لرفض تعدد الزوجات».

انا لا أدري لماذا يجب ان يكون التبادل المنصف للمشاعر أمراً احتكاريه فهل ان حب الوالد لاولاده المتعددين ومبادلة الاولاد اباهم هذا الحب هو تبادل مشاعر غير منصف؟ ومن العجيب ان حب الاب لكل واحد من اولاده - رغم تعددهم - يفوق حب كل واحد منهم له.

ان ما اعجب له هو ان يصدر هذا الكلام عن رجل يوصي الأزواج دائماً

باحترام علاقات زوجاتهم مع الغرباء وعدم الحيلولة دون قيام هذه العلاقات، كما يوصي الزوجات بمثل ذلك في المقابل. فهل يرى (رسل) ان تبادل العواطف بين المرأة وزوجها غير منصف هنا ايضا؟.

### من الناحية التربوية

ان الاشتراك الزوجي هو مثالا لعدم الانسجام، اذ ليس في الوجود عدو للمرأة اخطر من (الشريكة). ان تعدد الزوجات يخرس الزوجات ضد بعضهن البعض كما يخرس الزوج على استخدام العنف ضدهن او ضد بعضهن، ويحول الجو العائلي - الذي يجب ان يكون جو صفاء واخلاص - الى ميدان حرب ونزاع وحقد وانتقام. ثم ان العداوة والتنافس بين الامهات يسريان الى الاولاد فينشأ عن ذلك فريمان او اكثرهم بعضهم ببعض فيتحول المحيط العائلي - وهو اول مدرسة ومعهد روحي للاطفال ويجب ان يكون مصدر الهام للخير والعطف - الى مدرسة للنفاق واللؤم.

ان كون تعدد الزوجات اساسا لجميع هذه الآثار التربوية السيئة، امر لاشك فيه. لكننا يجب ان نميز بين الآثار الناجمة عن طبيعة تعدد الزوجات والآثار الناجمة عن تصرفات ومواقف الرجل وزوجته الجديدة. في نظرنا ان ليست جميع هذه المشاكل ناجمة عن طبيعة تعدد الزوجات، بل ان اكثرها ناشئ عن طريقة تطبيقه.

رجل وزوجته يعيشان حياة واحدة مشتركة، وحياتها تجري بشكل معتاد دون مشكلات وفي هذه الأثناء يقع الزوج في شرك امرأة ثانية، وتلح على ذهنه حُسى الزواج من جديد. وبعد اتفاق سري، تهبط الزوجة الثانية كالأجل المعلق لتحتل منزل وعش الزوجة الاولى وتسلبها معيشتها، وهي في الحقيقة انما تسطو على معيشتها وهنائها وطبيعي ان رد الفعل النفسي للزوجة الاولى سوف لن يكون غير الحقد والانتقام اذ لا يثير غضب المرأة شيء كما يثيره احتقار زوجها اياها، وهي ترى اكبر هزيمة لها في الاحساس بفشلها في الاحتفاظ بقلب زوجها، والنظر الى غيرها وهي تسلبها اياه. فاذا كان موقف الرجل هو العناد واتباع الهوى، وموقف الزوجة الثانية السطو والسلب، فليس من المعقول ان ننتظر من الزوجة الاولى التحمل والصبر.

اما اذا كانت الزوجة الاولى تعلم ان لزوجها (عذرا)، ولم يكن زواجه الجديد عن ملل لها، ولا تحلّي عنها، واذا تحلّى الزوج عن الاستبداد والعناد ولم يتبع هواه وعاطفته، بل زاد من احترامه واطهار عواطفه تجاه زوجته الاولى، واذا وضعت الزوجة الجديدة نصب عينها ان للزوجة الاولى حقوقا يجب احترامها وعدم تجاوزها، وخصوصا اذا أدرك الجميع أنهم يجب ان يسهموا في حل مشكلة اجتماعية، فما لاشك فيه آنذاك ان المشكلة ستون الى حد كبير.

ان قانون تعدد الزوجات حل راق نابع عن نظرة اجتماعية واسعة فيجب ان يكون منفذوه عند المستوى الملائم لذلك ومن تربوا تربية اسلامية عالية. وقد اثبتت التجربة انه في الحالات التي لا يمارس فيها الزوج الظلم والاستبداد ضد زوجته الاولى، ولا يريد العبث، وتشعر زوجته انه بحاجة الى زوجة ثانية؛ فستطوع وتأتيه بها وتحفظ بجو البيت بعيدا عن المشاكل. لان أكثر هذه المشاكل انما تنشأ عن كيفية تعامل الرجال وتطبيقهم لقانون تعدد الزوجات.

### من الناحية الاخلاقية

يقولون: ان السماح بتعدد الزوجات يعني السماح (للشهوة) والشهوة. اذ يبيح للرجل ان يعبث. بينما الاخلاق توجب على الانسان ان يقلل من اتباع شهواته الى اقل حد ممكن. ذلك ان الانسان بمقتضى طبعه، كلما تسامح وفتح الباب على مصراعيه امام شهواته اشتعلت نارها وطلب المزيد.

يقول مونتسكيو في (روح القوانين) صفحة ٤٣٤ فيما يتعلق بتعدد الزوجات مايلي:

«ان ملك المغرب قد جمع في دارالحريم الخاص به نساءً من كل أصل وعنصر... من البيضاء الى الصفراء الى السوداء. لكننا مع ذلك نجد ان هذا الرجل لو كان يملك ضعف عدد هؤلاء النساء لطلب المزيد ايضا. ذلك ان الشهوة مثل الخسة واللؤم كلما تابعتها اشتدت وقويت، وكما يؤدي امتلاك الذهب والمال الى ازدياد الحرص والطمع... كذلك يجرد تعدد الزوجات الى ممارسات جنسية شاذة (كاللواط)، ذلك أنه في نطاق الشهوات، كلما اندفع المرء أكثر خرج عن القاعدة. في اسطنبول، حين اشتعلت نار الثورة، وجددار حريم احد الحكام خاليا من كل امرأة ذلك ان هذا الحاكم كان يلهو بالصبيان دون النساء».

هذا الاعتراض يجب ان يناقش من وجهين:  
الوجه الاول: هو قولهم ان الاخلاق الفاضلة تتنافى مع اعمال الشهوة  
وانه يجب من اجل تطهير النفوس الاقلال من الشهوات.  
الوجه الثاني: هو قولهم ان الطبيعة الانسانية كلما طاولها المرء طغت به  
وكلما خالفها هدأت.

اما الوجه الاول فيمكن ان نقول عنه انه وللأسف الشديد ايجاء مأخوذ  
من السلوك النصراني المبني على الرياضة الروحية، وتأثر بالاخلاق الهندية والبوذية  
والكلبية. فان الاخلاق الاسلامية لم تبني على هذا الاساس. فليس في الاسلام  
قاعدة تتضمن ان الشهوات كلما قل اتباعها، كان ذلك اكثر انسجاما مع الاخلاق  
الفاضلة (واذا بلغت الشهوات درجة الصفر ارتفعت الاخلاق ١٠٠٪) بل ان النظرة  
الاساس مبنية على ان الاخلاق اتما تتنافى مع الافراط في التمتع بالشهوات.  
من اجل ان نحكم هل ان تعدد الزوجات هو عمل افراطي ام لا يجب ان  
نحكم اولاهل ان من طبع الرجل حب الزواج الواحد ام لا؟.

علمنا من المقالة (٣١) أننا قد لانجد اليوم احدا يعتقد ان من طبع الرجل  
الاقتصار على امرأة واحدة ويرى الاتصال بعدة نساء عملا افراطيا وانحرافيا، بل  
على العكس من ذلك فان رأي اكثر الناس ان من طبيعة الرجل تعدد الزوجات او  
النساء، وان الاقتصار على الزوجة الواحدة اشبه بالعزوبة.

ومهما اختلفنا مع الرأي القائل ان من طبيعة الرجل تعدد الزوجات، الا  
اننا لا نتفق كذلك مع من يقول ان طبيعته الاقتصار على الزوجة الواحدة او ان  
تعدد الزوجات يخالف طبيعته ويعد نوعا من الانحراف او الخروج على قوانين  
الطبيعة كاللواط.

ان أناسا مثل (مونتسكيو) ممن يرون تعدد الزوجات عبادة للشهوة يعدون  
دار الحرم انحرافا. وقد ظنوا ان الاسلام انما سن قانون تعدد الزوجات من اجل ان  
يسبغ للخلفاء العباسيين والعثمانيين انشاء دور الحرم. في الوقت الذي كان  
الاسلام يخالف هذه الاعمال اكثر من غيره. ان الحدود والقيود التي وضعها  
الاسلام لتعدد الزوجات تسلب الرجل العايش حرية التحرك تماما.

اما الوجه الثاني: الذي يقول: «ان من طبيعة الانسان ان تطفى شهواته  
كلما ارضيت، وتحمد كلما اهملت» فيقابل بالضبط ما يدعوه اليه اتباع (فرويد)

هذه الايام.

يقول الفرويديون: «ان شهوات الانسان تهدأ على اثر الارضاء والاشباع، وتشتد وتطغى لدى الكبت والامساك». لذا فهم يعدون مؤيدين — مئة بالمئة — للتححرر وخرق الآداب والسُنن خاصة في المسائل الجنسية. لبت (مونتسكيو) يبعث اليوم لينظر كيف سخر الفرويديون من فرضيته وهزئوا بها. من وجهة نظر الاخلاق الاسلامية، كلا النظريتين خاطئتان. ان للطبيعة حقوقا وحدودا يجب معرفتها. ان الطبيعة تطغى وتضطرب على أثر شيئين:  
الاول: الحرمان.

والثاني: اعطاء الحرية الكاملة ورفع جميع القيود والحدود من امامها. وعلى كل حال فلا تعدد الزوجات خلاف الاخلاق والاستقرار الروحي والطمهارة النفسية — كما يدعي امثال (مونتسكيو) —، ولا القناعة بالزوجة او الزوجات الشرعيات مما يخالف الاخلاق كما يشيع الفرويديون.

### من الناحية الحقوقية

بموجب عقد الزواج، يصبح كل من الزوجين ملكا للآخر، وملك كل منها حق التمتع بالآخر باعتبار أن منافع الزوجية قد اصبحت ملكا لكل منها بموجب هذا العقد. وعلى هذا الاساس تكون الزوجة السابقة صاحبة الحق رقم واحد. وكل معاملة تقع بين الزوج وامرأة ثانية تعد في الحقيقة معاملة (فضولية). ذلك ان البضاعة — وهي هنا منافع الزوجية — قد بيعت مسبقا للزوجة الاولى واصبحت جزءاً من ممتلكاتها. اذاً فالتى يجب ان يؤخذ رأيها اولا وتطلب موافقتها هي الزوجة الاولى. فاذا اريد السماح بتعدد الزوجات توقف ذلك على اذن و موافقة الزوجة الاولى. وفي الحقيقة ان الزوجة الاولى هي صاحبة الحق في اتخاذ القرار في ان يتزوج من ثانية أو لا.

وعليه فان الزواج من ثانية وثالثة يشبه بيع شخص ماله لآخر ثم يقوم ببيعه ثانية وثالثة ورابعة لآخرين. فصحة هذه المعاملة تعتمد على رضا المالك الاول فالثاني فالثالث حسب الترتيب. واما اذا سلم البائع (الفضولي) المال الى المشتري الثاني او الثالث او الرابع فهذا يستحق العقاب قطعاً. هذا الاعتراض مبني على اساس ان معاملة الزواج هي تبادل منفعة

لاغير، وان كلا من الزوجين مالك للمنفعة الزوجية عند الآخر. وانا الآن لا ابحث في هذه النقطة التي لاشك في انها قابلة للطعن والتفنيد. فلنفرض ان الزواج قانونا هو كذلك. فيصح هذا الاعتراض فقط حين يكون تعدد الزوجات من قبل الرجل بدافع طلب التنوع والتلذذ. وبديهي ان الزواج حين يكون -من الناحية القانونية- تبادل منفعة وتكون الزوجة قادرة على تأمين منافع الزواج للرجل من كل ناحية فلن يسمح للرجل بالزواج ثانية. اما اذا لم يكن الزواج الثاني بقصد التنوع والتلذذ، بل كان الرجل يملك المبررات التي سبقت الاشارة اليها في المقالات السابقة، فلن يبقى حينها مجال لهذا الاعتراض. فمثلا اذا كانت الزوجة عاقرا، او يائسا، والرجل بحاجة الى الولد، او كانت مريضة مرضا يمنع الاتصال الجنسي بها، في مثل هذه الحالات لن يكون من حق المرأة ان تعترض على الزواج الثاني.

هذا فقط اذا كان المسوغ لزوجاه من ثمانية عدرا شخصا اما اذا كان هناك أمر يخص المجتمع ككل يقضي بتعدد الزوجات بسبب زيادة عدد النساء على الرجال او حاجة المجتمع الى تكثير النفوس عند ذلك يتخذ هذا الاعتراض صورة اخرى حيث يصبح العمل بتعدد الزوجات تكليفا وواجبا كفائيا، من أجل انقاذ المجتمع من الفساد والفحشاء او من اجل زيادة نفوس المجتمع. وبديهي انه حين تكون القضية قضية تكليف وواجب اجتماعي فان رضا الزوجة واجازتها يصبحان امرين غير واردين. فاذا افترضنا ان المجتمع ابتلي حقيقة بزيادة عدد النساء على الرجال او احتاج الى زيادة نفوسه، فان واجبا كفائيا يقع على كاهل جميع الرجال والنساء المتزوجات. و يصبح من واجب النساء ان يعملن بمبدأ التضحية والايثار من اجل انقاذ المجتمع. تماما، كواجب الدفاع عن البلد، الذي يقع على كاهل جميع العوائل فيجب عليهم ان يتخلوا عن ابنائهم من اجل المجتمع ويرسلوا بهم الى ميادين الحرب والقتال، ففي مثل هذه الموارد لا تصح اجازة او رضا الشخص او الاشخاص ذوي العلاقة او المنفعة.

ان الاشخاص الذين يدعون ان الحق والعدل يقضيان بأخذ اجازة الزوجة الاولى حين تكرار الزواج، انما ينظرون من زاوية زواج الرجل الذي يطلب التنوع والتلذذ ويتناسون الضرورات الفردية والاجتماعية. فحين لا تكون هناك ضرورات فردية ولا اجتماعية، فان العمل بتعدد الزوجات غير مقبول حتى لو

أجازته الزوجة الاولى.

### من الناحية الفلسفية

ان قانون تعدد الزوجات يتنافى مع المبدأ الفلسفي القائل بتساوي حقوق المرأة والرجل على اساس تساويهما في الانسانية. فما دام الرجل والمرأة انسانين ومتساويين في الحقوق، فاما ان يجاز كلاهما للعمل بتعدد الزواج، اولا يجاز. اما ان يجاز الرجل بالزواج من عدة نساء في آن واحد ولا تجاز المرأة بالزواج من عدة رجال في آن واحد فتفرقة وانحياز الى جانب الرجل. ان السماح للرجل بالزواج من واحدة الى اربع نساء يعني ان قيمة المرأة تعادل قيمة ربع رجل. وفي هذا غاية الاحتقار والاهانة للمرأة، وهو يتنافى حتى مع وجهة نظر الاسلام الذي جعل المرأة ترث نصف ما يرث الرجل وطلب امرأتين للشهادة مقابل شهادة رجل واحد.

هذا هو أسخف اعتراض ورد على تعدد الزوجات. ان المعارضين هنا لم ينظروا ابدا الى الاسباب والموجبات الفردية ولا الاجتماعية لتعدد الزوجات وانما خيل اليهم ان الموضوع موضوع هوى النفس ليس الا، لذا قالوا لماذا ابيع الهوى للرجل ولم يبيع للمرأة.

ولما كنا قد بحثنا فيما مضى الاسباب والموجبات والمبررات التي تجوز العمل بتعدد الزوجات، وخاصة تلك التي تجعل منه حقا للعازبات في ذمة الرجال والنساء المتزوجات، فلا داعي لبحث هذه النقطة هنا ثانية.

لكننا نكتفي هنا بالقول: ان فلسفة الاسلام حول تعدد الزوجات والارث والشهادة اذا كانت مبنية على اهانة المرأة والاستهانة بحقوقها وكون الاسلام يقر بوجود تفاوت بين المرأة والرجل في الانسانية والحقوق القائمة على أساسها، اذاً لكان حكمه في جميع المواقف واحداً، لانه قائم على فلسفة واحدة. ولما قال في مكان ان المرأة ترث نصف ما يرث الرجل وفي مكان آخر انها ترث مثل الرجل وفي مكان ثالث ان للرجل ان يتزوج لحد اربع نساء وهكذا في مجال الشهادة وغير ذلك مما يفهم منه ان للاسلام مقاصد مختلفة أخذت بنظر الاعتبار عند اصدار الاحكام. وقد أجبنا في إحدى المقالات السابقة عن الاشكالات التي وردت حول الارث، وقلنا في مقالة أخرى ان مسألة المساواة بين المرأة والرجل في الانسانية والحقوق القائمة عليها انما تعد في نظر الاسلام ألباء حقوق الانسان. وفي نظر الاسلام ان في

مجال حقوق المرأة والرجل امورا اعظم وأهم من التساوي مما يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في المجال العملي.

### نظرية الاسلام في تعدد الزوجات

لم يكن الاسلام هو الذي ابتكر تعدد الزوجات، فقد كان موجودا في العالم قبل الاسلام بقرون، ولم يبطله لانه يرى ان مشكلات يمكن ان تعرض للمجتمع ينحصر حلها في تعدد الزوجات.  
لكن الاسلام اصلىح عادة تعدد الزوجات.

### التحديد

ان اول اصلاح ادخله الاسلام على هذه العادة هو تحديدها؛ فقد كانت غير محدودة قبل الاسلام، وكان الشخص الواحد يستطيع ان يتزوج من مئة امرأة في آن واحد ويجعل لمن دار حريم. وحين جاء الاسلام عيّن حداً اعلى لتعدد الزوجات، فلم يجز لاحد ان يتزوج اكثر من أربع في وقت واحد. وتروى القصص والحكايات عن افراد عاشوا في صدر الاسلام، وكان لهم اكثر من اربع زوجات حين اعتنقوا الاسلام، فأجبرهم الدين على تسريح الزائد منهن. وقد ورد اسم غيلان بن أسلمة في جملة هؤلاء اذ كان له عشر نساء فأمره الرسول الاكرم (ص) ان يطلق سبئاً منهن، وشخص باسم نوفل بن معاوية كان له خمس، فلما اعتنق الاسلام أمره الرسول الاكرم (ص) ان يطلق إحداهن.  
وورد في روايات الشيعة ان مجوسيا ايرانيا اعتنق الاسلام في زمان الامام الصادق (ع) وكان له سبع نساء وقد سئل الامام عليه السلام عن هذا الرجل، ماذا يجب ان يفعل تجاه نساته فاجاب عليه السلام يجب ان يطلق ثلاثا منهن.

## العدالة:

الإصلاح الثاني الذي أدخله الإسلام على تعدد الزوجات هو العدالة، فلم يسمح أبداً بالتمييز بين النساء أو الأولاد. ويصرح القرآن الكريم قائلاً: «فإن خفتن إلا تعدلوا فواحدة» أي إذا لم تجدوا في أنفسكم الاطمئنان الكافي لتنفيذ العدالة فاقنعوا بواحدة.

في عالم ما قبل الإسلام، لم يكن مبدأ العدالة مرعياً أصلاً، لا بين النساء ولا بين الأولاد. وقد نقلنا في المقالة ٢٧ عن كريستينسن وغيره كيف أن تعدد الزوجات كان سائداً في إيران أيام الساسانيين وكان هناك تمييز بين النساء وكذلك بين الأولاد فكان من بين النساء من تُدعى (الملكة) تتمتع بحقوق كاملة بينما تُدعى سائر النساء بالخدومات ويتمتعن بحقوق أقل من تلك. وأولاد الخدومات من الذكور فقط يقبلون في بيت والدهم، أما الفتيات فلا يقبلن.

وقد نفى الإسلام كل هذه العادات، ولم يسمح بغمط أي حق من حقوق المرأة أو الأولاد.

يقول ويل ديورانت في الجزء الأول من تاريخ الحضارة ضمن بحثه في تعدد الزوجات: «كان الرجل حين تزداد ثروته ويخشى تفرقها بعد موته بين أولاده العديدين، يحرص الإرث في أولاده من زوجته الأولى دون أولاده من خليلاته».

هذه العبارة تدل على أن التمييز بين النساء وبين الأولاد كان سائداً في العالم القديم. لكن العجب أن ديورانت يقول في العبارة التالية لذلك: «كان الزواج إلى زمان قريب في قارة آسيا بهذا الشكل إلى أن انحصرت بزوجة واحدة تدريجياً واتخذت العلاقة بين الرجل وباقي النساء صورة العشيقات والخليلات أو انعدمت كلياً».

إن ويل ديورانت نسي أو تناسى أن آسيا قد عاشت أربعة عشر قرناً في نور الإسلام العظيم بعيدة عن التمييز بين النساء أو الأولاد. أما الاحتفاظ بزوجة واحدة وعدة خليلات فجزء من العادات الأوروبية لا الآسيوية وقد انتقلت من أوروبا إلى آسيا.

وعلى كل حال فإن الإصلاح الثاني الذي أدخله الإسلام على تعدد

الزوجات كان رفع التمييز بين النساء او الاولاد.

في نظر الاسلام، ان اتخاذ العشيقات بأية صورة او شكل غير جائز كما ان جميع علماء الاسلام تقريباً متفقون على ان التمييز بين الزوجات في المعاملة غير جائز ايضاً. لكن بعض الآراء الفقهية توجد أعداءاً للتمييز بين بعض النساء وهي آراء نادرة وفي نظري انه يجب عدم التردد في شجبتها لمخالفتها مفاهيم آيات القرآن المجيد. وقد ورد عن رسول الله (ص) عن طريق الشيعة والسنة بالاتفاق ما يفيد، ان من كانت له زوجتان ولم يعدل بينهما، واطهر الحب لاحدهما اكثر من الاخرى، حشر يوم القيامة وشق من جسمه يجر جراً على الارض الى ان ينتهي الى جهنم.

ان العدالة هي أعلى فضائل البشر. فشرط وجود العدالة يعني شرط التمتع بأعلى الفضائل الاخلاقية. واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان عواطف الرجل تجاه نسائه لا يمكن ان تكون واحدة او متساوية عادة، يكون الالتزام بالعدل وتجنب التمييز بين النساء من اصعب الواجبات.

ولكننا نعلم ان الرسول الاكرم (ص) في السنوات العشر الاخيرة من عمره حين كان في المدينة وعاش مرحلة الحروب الاسلامية، وازداد في حينها عدد النساء الارامل بين المسلمين، اختار لنفسه عدة زوجات. كان اكثر نساء النبي (ص) من الارامل والمتقدمات في السن، وغالباً ما كان لمن من ازواجهن السابقين اولاد. والعذراء الوحيدة التي تزوج منها النبي الاكرم (ص) كانت عائشة. فكانت الاخيرة تفتخر دائماً بانها الوحيدة من زوجات النبي (ص) التي لم تتزوج بغيره (ص) ولم يمسه رجل آخر.

كان رسول الله (ص) يلتزم بمنتهى العدالة في التعامل مع ازواجه ولم يميز بينهن قط. وقد سأل عروة بن الزبير خالته عائشة عن سلوك النبي (ص) مع زوجاته فأجابت قائلة: كان من عادة النبي (ص) الا يفضل احدانا على الاخرى. بل كان يعامل الجميع بالعدل والمساواة. وقلما مريوم لم يتفقد فيه جميع نسائه ويسألهم عن احوالهم ثم ينتهي من دورته عليهن ببيت صاحبة النوبة ليبست عندها. فاذا اراد مرة ان يبيت عند من لم تكن تلك الليلة نوبتها، ذهب الى صاحبة النوبة وطلب الاذن منها للمبيت عند الاخرى فان اذنت والا لم يذهب. اما أنا فلم يحدث مرة ان طلب اذني للمبيت عند اخرى فأذنت له، بل كنت دائماً لا آذن بذلك.

ولقد نفذ رسول الله (ص) العدالة حتى خلال مرضه الذي توفي فيه حين كان فاقد القدرة على الحركة. فن اجل العدل ونوبة زوجاته كان يأمر كل يوم بنقل فراشه من غرفة الى غرفة، الى ان جمع نساءه يوماً وطلب منهن الاذن في البقاء في غرفة واحدة فأذن الجميع وبقي في غرفة عائشة.

وعلي بن ابي طالب (ع) كان — حين تكون عنده زوجتان — اذا اراد ان يتوضأ، لم يتوضأ في غرفة من لم تكن نوبتها ذلك اليوم.

ان الاسلام اهتم بوضع شروط العدالة موضع التنفيذ الى درجة انه لم يجز للرجل والزوجة الثانية ان يشترطا حين العقد ان تكون للزوجة الجديدة حقوق اكثر من القديمة. وهذا يعني ان العمل بالعدالة في نظر الاسلام واجب لا يستطيع الرجل التهرب من أدائه بوضع شرط في العقد الجديد يقضي بخلاف مقتضى العدل. فلا الرجل ولا زوجته الثانية يملكان الحق في وضع مثل هذا الشرط المنافي للعدل في عقد الزواج. لكن الشيء الوحيد الذي تستطيع الزوجة الجديدة القيام به هو ان تتخلى عن بعض حقوقها هي، لكن ليس لها ان تشترط ان تكون لها حقوق تفوق حقوق الزوجة الاولى، كما ان للزوجة الاولى الحق ايضا في التنازل عن بعض حقوقها برضاها لكن لا يحق لها قانونا ان تفرض الا يكون لها حقوق. وقد سئل الامام الباقر (ع): هل يمكن للرجل ان يضع مع زوجته شرطا، الا يزورها الا في النهار دون الليل او يزورها مرة في الشهر او الاسبوع، او ان يشترط عدم دفع نفقة كاملة او متساوية مع زوجته الثانية اذا رضيت بذلك؟ اجاب (ع): كلا، مثل هذه الشروط باطلة، وكل امرأة بموجب عقد الزواج تصبح — شاءت أم أبت — صاحبة حقوق كاملة كزوجة، انما الشيء الذي لها هو أنه بعد ايقاع الزواج، يمكن للمرأة عمليا — من اجل استرجاع زوجها كي لا يتخلى عنها، او لاي سبب آخر — ان تتخلى عن بعض او جميع حقوقها.

ان تعدد الزوجات مع وجود هذا الشرط الاخلاقي المؤكد والمشدد، سيتخذ صورة القيام بالواجب بدلا من ان يكون وسيلة للعبث واللهو لدى الرجل. فان العبث واتباع الشهوات لا ينسجم الا مع الحرية المطلقة واتباع هوى القلب. ولا يتحقق العبث واللهو الا حين يضع الانسان نفسه تحت تصرف قلبه، و يضع قلبه تحت تصرف هواه. والقلب وهوى القلب لا منطلق لها ولا حساب. وحين تتخذ المسألة شكل الانضباط والعدالة وانجاز الواجب، يسدل الستار حينئذ على العبث

واللهو. ولهذا لا يمكن بأي شكل من الأشكال اعتبار تعدد الزوجات بالشروط  
الإسلامية وسيلة للعبث واللهو.  
والاشخاص الذين اتخذوا من تعدد الزوجات وسيلة للهو والعبث إنما  
اتخذوا القانون الإسلامي ذريعة لعمل غير جائز، ومن حق المجتمع ان يؤاخذهم على  
ذلك ويعاقبهم ويكف أيديهم عنه.

### الخوف من عدم العدل

من الانصاف القول: ان الافراد الذين يلتزمون بالشروط الإسلامية لتعدد  
الزوجات هم قلة قليلة. ورد في الفقه الإسلامي أنه: «إذا خفت ان يكون  
استعمال الماء مضراً لبدنك فلا تتوضأ». و «إذا خفت ان يضرك الصوم فأفطر». ورد  
هذان الامران في الفقه الإسلامي. وكثيراً ما نلتقي بمن يسأل قائلاً: اخاف  
ان يضرنى استعمال الماء فهل أتوضأ ام لا؟... أخاف أن يضرنى الصوم، هل  
أصوم أم أفطر؟. وهذه اسئلة منطقية وسليمة. فمثل هؤلاء الاشخاص يجب الا  
يتوضأوا وان يفطروا.

ويأتي نص القرآن الكريم: «فان خفتم الا تعدلوا فواحدة». ففي هذه  
الحالة هل سمعت في عمرك رجلاً يسأل: أريد أن أتزوج ثانية لكنني أخشى أن لا  
أعدل او أساوي بينهما، فهل أتزوج ام لا؟ أنالم أسمع برجل  
يسأل مثل هذا السؤال. كما لم تسمعه انت حتماً. ان الناس عندما يرون هذا الامر  
سهلاً جداً، فهم على علمهم وتصميمهم على عدم العدل، يتزوجون عدة نساء،  
و يلقون بتبعة هذا التصرف على الإسلام وباسم الإسلام. وهذا ما أساء الى  
سمعة هذا الدين في هذا الباب.

ولو ان الذين يقدمون على الزواج الثاني هم فقط أولئك الذين يتمتعون  
بصفة العدالة على الاقل؛ لما كان هناك مجال للاعتراض ابداً.

### بيوت الحرم

الموضوع الآخر الذي يعيبه الاجانب على النظام الإسلامي تحت اسم  
تعدد الزوجات هو (بيوت الحرم) التي انشأها الخلفاء والسلاطين سابقاً، اذ ان  
بعض الكتاب المسيحيين يطرحون مسألة تعدد الزوجات على انها مطابقة لبيوت

الحريم بكل ما عرفت به من مظالم ومعائب. و يقولون: ان تعدد الزوجات ليس الا هذه البيوت والمنشآت التي يتحدث عنها التاريخ.  
وما يؤسف له: ان بعض كتابنا يقلدون الغربيين، ويرددون كلماتهم حرفا بحرف فيقرنون تعدد الزوجات بدور الحريم كذلك. انهم فقدوا شخصياتهم واستقلالهم الفكري الى درجة انهم لا يملكون ان يفرقوا بين الاثنين.

### الشروط الاخرى لتعدد الزوجات

هناك شروط وواجبات اخرى - غير شرط العدالة - يكلف بها الرجل كذلك. فكلنا نعلم ان الزوجة في كل حال تتمتع بمجموعة من الحقوق المالية والجنسية تجاه الرجل، ولا يمكن للرجل ان يطرح حديث الزواج الثاني ما لم تتوفر لديه الامكانيات المالية الكافية. والحقيقة ان شرط التمكن المالي يرد حتى في الزواج الاول، ولكن ليس هذا مجال تفصيل ذلك.  
والامكانيات البدنية والجنسية شرط آخر وواجب ثالث يجب ان يتوفر في الرجل ليتمكن شرعا من الزواج ثانية.

ورد في الكافي والوسائل عن الامام الصادق (ع) ما يفيد، ان كل رجل جمع عددا من النساء ولم يتمكن من ارضاء غرائزهن الجنسية وسقطن في الزنا والفحشاء فإثمهن عليه. وقد جاء في قصص بيوت الحريم ان نساء شابات وقعن تحت ضغط الغريزة الجنسية وارتكبن الفحشاء، وان ذلك كان يؤدي احيانا الى وقوع القتل والجنايات.

\* \* \*

من مجموعة المقالات السبع التي مرت حول تعدد الزوجات، اطلع القارئ الكريم على جذور واسباب وموجبات تعدد الزوجات وعدم الغائه من قبل الاسلام، وعلى الشروط والحدود والقيود التي وضعها. ووضح لديه ان الاسلام ما أراد بتعدد الزوجات اهانة المرأة، بل اراد اسداء اكبر خدمة لها عن هذا الطريق. فلو ان تعدد الزوجات منع لدى زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال المهيئين له - والذي كان وسيبقى ما بقيت الدنيا - لصارت المرأة لعبة - وأي لعبة - بيد الرجل، ولكانت معاملته لها أسوأ من معاملته للأمة المملوكة، فان الرجل يعترف على الاقل بولده من الأمة لكنه لا يعترف به من الخليفة

### رجل اليوم وتعدد الزوجات

لماذا يعرض رجل اليوم عن تعدد الزوجات؟ لأنه وفي زوجته وقانع بها وحدها؟ أم لأنه يريد أن يرضي رغبته في طلب التنوع عن طريق الحرام؟ ان الذي حل محل تعدد الزوجات اليوم هو طلب الحرام لا الوفاء. ولذا فإن رجل اليوم، نافر من تعدد الزوجات ايما نفور، لانه يطلب منه الالتزام والوفاء. أما بالنسبة لرجل الامس فلم يكن طريق الانحراف مفتوحا كي يعبث ويلهب بالنساء، فكان مضطرا لان يلجأ الى تعدد الزوجات لارضاء غرائزه العابثة. وفي الوقت الذي كان يتنصل من القيام بكثير من واجباته في هذا السبيل، كان لا يجد مناصا من الوفاء ببعض التعهدات المالية والانسانية تجاه نساته واولاده. اما رجل اليوم فلا يجد نفسه مضطرا الى الالتزام بأداء أي واجب على طريق ارضاء نزواته وشهواته التي لا تقف عند حد، لذا فهو يعارض تعدد الزوجات معارضة شديدة.

رجل اليوم يصطاد متعته من النساء تحت عنوان السكرتيرة وكاتبة الطابعة ومئات العناوين الاخرى ويحملُ خزينة الدولة او الشركة او المؤسسة التي يعمل فيها ثمن هذه المتعة دون ان يدفع من جيبه دينارا واحدا.

رجل اليوم يستبدل عشيقته كل بضعة ايام دون حاجة الى تعقيدات المهر والنفقة والطلاق. ومما لاشك فيه ان (موسى تشومي) يعارض تعدد الزوجات، لانه يجد الى جانبه دائما سكرتيرة شابة حسناء يستبدلها كل بضع سنين أو متى شاء. فما حاجته بعد ذلك الى تعدد الزوجات.

ونقرأ في قصة حياة برتراند رسل - وهو من أشد مهاجمي تعدد الزوجات - مايلي: «في المرحلة الاولى من حياته، كانت هناك - علاوة على جدته - أخريان كان لهما أثر مهم في حياته، إحداهما (أليس) زوجته الاولى والآخرى رفيقته واسمها (اتولين مورل) وقد كانت (مورل) من النساء المعروفات في ذلك الزمان وكانت لها صلات حب مع الكثير من كتاب اوائل القرن العشرين».

مما لاشك فيه ان مثل هذا الشخص لا يؤيد تعدد الزوجات. ويقال ان سلوكه ذاك في اتخاذ الخليلات هو الذي أدى به في النهاية الى فراق زوجته

(أليس). اذ كتب رسل نفسه يقول:  
«بعد ظهر احد الايام حينما كنت متجها على دراجتي الهوائية الى احد  
المصايف القريبة من المدينة، أحسست فجأة انني لم أعد احب «اليس»».  
النهاية

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر .....	٤
مقدمة المؤلف .....	٥
نظام حقوق المرأة في الاسلام .....	١٩
• تمهيد .....	٢١
١- المشكلة العالمية للعلاقات الأسرية .....	٢٢
• هل ستقل أم تقلد الغرب؟! .....	٢٣
• الحتمية التاريخية .....	٢٣
٢- نحن والقانون المدني .....	٢٤
٣- العواطف الدينية للمجتمع الايراني .....	٢٥
<b>الفصل الأول: - طلب اليد والخطبة</b> .....	٢٧
• طلب اليد والخطبة .....	٢٩
١- هل يعد طلب الرجل ليد المرأة إهانة لها؟ .....	٢٩
• غريزة الرجل الطلب والحاجة وغريزة المرأة التمتع والدلال .....	٣٠
• الرجل يشترى العلاقة الودية للمرأة لارتقاها .....	٣١
• عادة طلب اليد تدير ظريف .....	٣٢
٢- وقوع كاتب الأربعين اقتراحا في الخطأ .....	٣٢
<b>الفصل الثاني: - الزواج المؤقت</b> .....	٣٥
الزواج المؤقت (١) .....	٣٧
• الحياة العصرية والزواج المؤقت .....	٣٩
• شباب اليوم ومرحلة البلوغ والتهيج الجنسي .....	٤٠
• أيها تختار؟ .....	٤٠
• الزواج الاختياري .....	٤١
<b>الزواج المؤقت (٢)</b> .....	٤٣
• تاريخ كتابة العقائد .....	٤٣
• اعتراضات .....	٤٤
• انتقادات .....	٤٩

٥١	..... الزواج المؤقت ومسألة بيت الحريم (٣)
٥٢	..... العوامل الاجتماعية لتشكيل بيوت الحريم
٥٣	..... هل جاء تشريع الزواج المؤقت لتأمين العيب الجنسي ؟
٥٤	..... بيت الحريم في عالم اليوم
٥٥	..... منع الخليفة للزواج المؤقت
٥٧	..... حديث عن علي عليه السلام
٥٩	..... الفصل الثالث: المرأة والاستقلال الاجتماعي
٦١	..... الاستقلال في تقرير المصير
٦٢	..... التزويج قبل الولادة
٦٢	..... مبادلة الساب
٦٣	..... الرسول (ص) منح ابنته الرهراء حرية اختيار الزوج
٦٣	..... النهضة الاسلامية للمرأة كانت هبة نساء
٦٤	..... إذن الأب
٦٥	..... الرجل عبد الشهوة والمرأة أسيرة المحبة
٧١	..... الفصل الرابع: - الاسلام وتحدد الحياة
٧٣	..... الاسلام وتحدد الحياة (١)
٧٤	..... الاسلام ومفوضيات العصر
٧٦	..... مع اي شيء ينسجم العصر نفسه ؟
٧٧	..... إنسجام أم إلقاء ؟
٨١	..... الاسلام وتحدد الحياة (٢)
٨٢	..... الجامدون والجاهلون
٨٤	..... أمثال القرآن
٨٩	..... الاسلام وتحدد الحياة (٣)
٨٩	..... التوافق مع تغيرات العصر
٩٠	..... سر المرونة في العوانين الاسلامية
٩١	..... الاهتمام بالجواهر والمعنى وإهمال القالب والشكل
٩٢	..... قانون ثابت للحاجة الثابتة وقانون متغير للحاجة المتغيرة
٩٤	..... مسألة تعبير الخط
٩٥	..... التطفل حرام وليس لبس القعدة
٩٥	..... مسألة الأهم والمهم
٩٦	..... العوانين التي تمتلك حق النقص
٩٦	..... صلاحيات الحاكم
٩٦	..... مبدأ الاجتهاد
٩٩	..... الفصل الخامس: - المكانة الانسانية للمرأة في نظر القرآن

- ٠١ ..... المكانة الانسانية للمرأة في نظر القرآن
- ٠١ ..... فلسفة الاسلام الخاصة لحقوق الأسرة
- ٠٣ ..... مساواة أم تشابه؟
- ٠٤ ..... مقام المرأة في الاسلام
- ٠٩ ..... لا، للتشابه... نعم للمساواة
- ١٣ ..... لائحة حقوق الانسان فلسفة وليست قانونا
- ١٥ ..... الفلسفة لاتنبت بالقسيمة
- ١٥ ..... نظرة الى تاريخ حقوق المرأة في أوروبا
- ١٨ ..... الكرامة والحقوق الانسانية
- ١٩ ..... ملاحظات مهمة حول مقدمة لائحة حقوق الانسان
- ٢٠ ..... مكانة الانسان واحترامه
- ٢١ ..... هبوط الانسان في الفلسفات الغربية
- ٢٢ ..... العرب يبع في تناقض حول الانسان
- ٢٤ ..... الغرب ينسى نفسه وورثه
- ٢٧ ..... الفصل السادس: - الأسس الطبيعية لحقوق الاسرة
- ٢٩ ..... \* الأسس الطبيعية لحقوق الأسرة(١)
- ٣٠ ..... ترابط الحقوق الطبيعية وهادفية الطبيعة
- ٣٠ ..... الحقوق الاجتماعية
- ٣٢ ..... حقوق الأسرة
- ٣٥ ..... \* الأسس الطبيعية لحقوق الأسرة(٢)
- ٣٦ ..... هل الحياة الأسرية طبيعية أم وضعية؟
- ٣٧ ..... عرضية المراحل الأربع
- ٤٠ ..... المرأة في الطبيعة
- ٤٣ ..... الفصل السابع: - الفروق بين المرأة والرجل
- ٤٥ ..... \* الفروق بين المرأة والرجل(١)
- ٤٦ ..... تناسب أم نقص وكمال
- ٤٧ ..... نظرية افلاطون
- ٤٨ ..... ارسطو ومواجهة افلاطون
- ٤٨ ..... نظرة عالم اليوم
- ٤٩ ..... نوعان متباينان: من الناحية الجسمية
- ٥٠ ..... من الناحية النفسية
- ٥٠ ..... من ناحية المشاعر تجاه بعضها
- ٥٣ ..... الفروق بين المرأة والرجل(٢)
- ٥٤ ..... آية الخلق

١٥٥	• علاقة أسمى من الشهوة .....
١٥٦	• تفاوت مشاعر الرجل والمرأة تجاه بعضهما .....
١٥٨	• نظرية عالمة نفسانية .....
١٥٨	• النهضة العاحلة .....
١٥٩	• نظرية ويل ديورانت .....
١٦٣	الفصل الثامن: - المهر والنفقة .....
١٦٥	• المهر والنفقة (١) .....
١٦٥	• تاريخ المهر .....
١٦٧	• المهر في النظام الحقوقي الاسلامي .....
١٦٨	• نظر في التأريخ .....
١٦٩	• الفلسفة الحقيقية للمهر .....
١٧٢	• المهر في القرآن .....
١٧٢	• تفاوت المشاعر لدى الحيوانات .....
١٧٣	• الهدية في العلاقات الاشرعية .....
١٧٣	• العشق عند الغربيين اكثر طبيعية من الزواج .....
١٧٤	• المهر والنفقة (٢) .....
١٧٤	• العادات الجاهلية التي نسخها الاسلام .....
١٧٧	• نظام المهر الاسلامي مختص بالاسلام .....
١٧٧	• قانون المفطرة .....
١٧٨	• انتزاعات .....
١٨٣	• المهر والنفقة (٣) .....
١٨٤	• حجر المرأة الغربية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر .....
١٨٤	• لماذا أعطت أوروبا المرأة الاستقلال المالي فجأة؟ .....
١٨٥	• القرآن والاستقلال الاقتصادي للمرأة .....
١٨٦	• مقارنة .....
١٨٧	• نفذ ورد .....
١٨٨	• ثلاثة انواع من النفقة .....
١٨٩	• ألا تريد المرأة اليوم المهر والنفقة؟ .....
١٩٠	• مراعاة جانب المرأة في الأمور المالية .....
١٩٣	• لماذا التنديد بالنفقة؟ .....
١٩٤	• الحكومة بدل الزوج .....
١٩٦	• هل أهانت لانحة حقوق الانسان المرأة؟ .....
١٩٩	الفصل التاسع: - مسألة الإرث .....
٢٠١	• مسألة الإرث .....

- أسباب حرمان المرأة من الإرث ..... ٢٠١
- إرت الإمن المتشقى ..... ٢٠٣
- إرت ضامن العهد ..... ٢٠٣
- المرأة جزء من الإرث ..... ٢٠٣
- إرت المرأة في ايران ساسان ..... ٢٠٤
- سهم المرأة من الإرت من وجهة نظر الاسلام ..... ٢٠٥
- إعتراض عتباد الغرب ..... ٢٠٦
- إعتراض زبادة صدرالاسلام على مسألة الإرت ..... ٢٠٧
- الفصل العاشر: - حق الطلاق ..... ٢٠٩
- \* حق الطلاق (١) ..... ٢١١
- إردباد الطلاق في العالم الحديب ..... ٢١١
- الطلاق في ايران ..... ٢١٣
- محيط أمريكا المشجع على الطلاق ..... ٢١٤
- فرضيات ..... ٢١٥
- \* حق الطلاق (٢) ..... ٢١٩
- الطلاق الغادر ..... ٢٢١
- شائمة مفتعلة ..... ٢٢٣
- لماذا لم يحرم الاسلام الطلاق؟ ..... ٢٢٥
- \* حق الطلاق (٣) ..... ٢٢٧
- قوانين الفطرة فيما يخص الزواج والطلاق ..... ٢٢٨
- المكاة الطبيعية للرحل في حياة الأسرة ..... ٢٣٠
- رأي عالمة نفسانية ..... ٢٣١
- البناء الذي قام على أساس العواطف ..... ٢٣٢
- ما يحكم بناء الأسرة شيء أكثر من المساواة ..... ٢٣٤
- المساواة في الفساد ..... ٢٣٥
- \* حق الطلاق (٤) ..... ٢٣٧
- طبيعة الصلح العائلي تختلف عن باقي انواع الصلح ..... ٢٣٩
- الاسلام يرحب بكل ما يصرف الرجل عن الطلاق ..... ٢٤٠
- الخدمات السابقة التي أدتها المرأة للأسرة ..... ٢٤٤
- \* حق الطلاق (٥) ..... ٢٤٧
- حق الطلاق تابع من دور الرجل الخاص في مسألة الحب لامن ملكيته ..... ٢٤٨
- الطلاق تفريق بينا الزواج تأليف ..... ٢٤٨
- العقوبة المترتبة على الطلاق ..... ٢٥٠
- منح المرأة حق الطلاق كحق تفويضي ..... ٢٥٠

- الطلاق القضائي ..... ٢٥١
- هل ان بعض الزوجات سرطان؟ وأن المرأة يجب ان تشقى لتبقى؟ ..... ٢٥٢
- طرف مسدودة ..... ٢٥٤
- الطريق المسدود للطلاق ..... ٢٥٥
- رأي آية الله الحلي ..... ٢٥٥
- شواهد وأدلة أخرى ..... ٢٥٨
- رأي شيخ الطائفة ..... ٢٥٨
- الفصل الحادي عشر: تعدد الزوجات ..... ٢٦١
- \* تعدد الزوجات (١) ..... ٢٦٢
- الشيوعية الجنسية ..... ٢٦٢
- نظرية افلاطون ..... ٢٦٤
- تعدد الأزواج ..... ٢٦٤
- عيب تعدد الأزواج ..... ٢٦٦
- \* تعدد الزوجات (٢) ..... ٢٦٦
- الاسلام وتعدد الزوجات ..... ٢٦٧
- تعدد الزوجات في ايران ..... ٢٦٩
- \* الأسباب التاريخية لتعدد الزوجات (١) ..... ٢٧١
- سبب فشل تعدد الأزواج ..... ٢٧٣
- فشل الاشتراكية الجنسية ..... ٢٧٤
- \* الأسباب التاريخية لتعدد الزوجات (٢) ..... ٢٧٩
- العوامل الجغرافية ..... ٢٧٩
- هذا التعليل خطأ محض ..... ٢٨٠
- تعدد الزوجات في الغرب ..... ٢٨١
- العادة الشهرية ..... ٢٨٤
- محدودية فترة الاخصاب عند المرأة ..... ٢٨٤
- العوامل الاقتصادية ..... ٢٨٥
- عامل الكثرة والعشيرة ..... ٢٨٥
- زيادة عدد النساء على عدد الرجال ..... ٢٨٦
- تحقيق ..... ٢٨٦
- \* حق المرأة في تعدد الزوجات (١) ..... ٢٨٨
- سبب زيادة عدد النساء المهيئات للزواج على عدد الرجال ..... ٢٩٢
- المرأة أكثر مقاومة للأمراض من الرجل ..... ٢٩٣
- \* حق المرأة في تعدد الزوجات (٢) ..... ٢٩٥
- نظرية رسل ..... ٢٩٦

- من كل عشرة من الانجليز ..... ٢٩٨
- تعدد الزوجات ممنوع واللواط مجاز ..... ٢٩٨
- هل طبع الرجل على تعدد الزوجات؟ ..... ٢٩٩
- تعدد الزوجات يحفظ نظام الزوجة الواحدة ..... ٣٠٢
- الوجه الحقيقي للنقاش ..... ٣٠٣
- مكررحل القرن العشرين ..... ٣٠٤
- الاختلال الناشئ عن وجود العازبات ..... ٣٠٥
- ردود الفعل المختلفة عند ازدياد عدد النساء ..... ٣٠٧
- عيوب تعدد الزوجات ..... ٣٠٨
- الطريقة السليمة في التحقيق ..... ٣٠٨
- من الناحية النفسية والروحية ..... ٣٠٩
- من الناحية التربوية ..... ٣١١
- من الناحية الأخلاقية ..... ٣١٣
- من الناحية الحقوقية ..... ٣١٤
- من الناحية الفلسفية ..... ٣١٦
- نظرية الاسلام في تعدد الزوجات ..... ٣١٧
- التحديد ..... ٣١٧
- العدالة ..... ٣١٨
- الخوف من عدم العدل ..... ٣٢١
- بيوت الحرم ..... ٣٢١
- الشروط الأخرى لتعدد الزوجات ..... ٣٢٢
- رجل اليوم وتعدد الزوجات ..... ٣٢٣

---

.

# قائمة مطبوعات

## منظمة الاعلام الاسلامي قسم العلاقات الدولية

التمن بالدولار الامريكى  
أوما يعادله

٢٥	معاونية العلاقات الدولية	١ مجلة التوحيد
٣٠	معاونية العلاقات الدولية	٢ مجلة الهدى
٥	محمد علي التسخيري	٣ حول الدستور الاسلامي.
١٠	الشهيد مطهري	٤ في رحاب نهج البلاغة. (ج ١ + ج ٣)
١	محمد علي التسخيري	٥ الى الوحدة أيا المسلمون
١	معاونية العلاقات الدولية	٦ نحو الوحدة الاسلامية
٢	محمد تقي رهبر	٧ رسالة الوحدة الاسلامية
٢	الشهيد هاشمي نژاد	٨ شهادات وحلول
٣	الشهيد مطهري	٩ النبي الأُمي
٤	الشهيد مطهري	١٠ الرؤية الكونية التوحيدية
٢	محمد تقي فلسفي	١١ خرافة ازالة المادة
٤	الشهيد مطهري	١٢ الاساس والايمان

٥	الشهيد مطهري	١٣ الانسان والقدر
		١٤ الاسلام وايران
١٥	الشهيد مطهري	(ج ١ + ج ٢ + ج ٣)
٥	معاونية العلاقات الدولية	١٥ مع المؤتمرات الدولية
١	محمد علي التسخيري	١٦ في الطريق الى الله
		١٧ محاضرات في الابدولوجية
٨	محمد تقي مصباح	المقاومة
٨	الشيخ محمد علي التسخيري	١٨ دروس في الاقتصاد ج ١
		١٩ الأخلاق عند الإمام
٨	الشيخ محمد أمين زين الدين	الصادق (ع)
٢	الدكتور عز الدين ابراهيم	٢٠ السنة والشيعة صفة مفتعلة
		٢١ الهدف السامسي للحياة
٢	الشهيد مطهري	الانسانية
		٢٢ نظرة في البعد المعنوي للثورة
٣	محمد تقي رهبر	الاسلامية في ايران
٣	محسن مخملباف.	٢٣ (مسرحة) الشيخ الشهيد
٨	معاونية العلاقات الدولية	٢٤ الامام في مواجهة الصهيونية
١٠	السيد محمد حسين الطباطبائي	٢٥ القرآن في الاسلام
		٢٦ الثورة الاسلامية عقباتها
٢	حجة الاسلام رفسنجاني	ومكاسها
		٢٧ الثورة الاسلامية ضد المصاد
٢	الشيخ محمد علي التسخيري	الأخلاق
		٢٨ مقالات المؤتمر الفكري
١٠	معاونية العلاقات الدولية	الاسلامي الأول
٥	محمد جواد مغنية	٢٩ الحج على مختلف المذاهب
٥	الشيخ محمد علي التسخيري	٣٠ النع والسمكة (شعر) مصور
		٣١ المثل العليا في الاسلام لاني
٥	الشيخ كاشف الغطاء	بمعدون
		٣٢ الثورة الاسلامية عقبات
٢	حجة الاسلام رفسنجاني	وانتصار
٣	محسن مخملباف	٣٣ مسرحية (حصاري حصار)
		٣٤ الجهاد وحالاته المشروعة في
٤	الشهيد مطهري	القرآن

١٠	الامام الخميني	٣٥	زبدة الاحكام
٢٠	الامام الخميني	٣٦	زبدة الاحكام (مجلد)
٥	عبد القادر عوده	٣٧	المال والحكم في الاسلام
٧	محمد المبارك	٣٨	نظام الاسلام (الحكم والدولة)
٧	عبدالله زنجاني	٣٩	تاريخ القرآن
٧	محمد أبو زهره	٤٠	الميراث عند الجعفرية
٦	الدكتور علي محمد نقوي	٤١	الاسلام والقبوية
١٠	معاونية العلاقات الدولية	٤٢	حول الوحدة الاسلامية
١٥	الشهيد مطهري	٤٣	نظام حقوق المرأة في الاسلام
٨	محمد علي حسين	٤٤	سقوط حزب توده (الشيوعي الايرواني)
٦	الشهيد مطهري	٤٥	مهاجرو الحيشة (مصر)
٩	محمد أمين زين الدين	٤٦	الاسلام: يتابعه، مناهجه، غاياته
٢	معاونية العلاقات الدولية	٤٧	البيانية في خدمة الاستعمار
٨	الشيخ محمود شلتوت	٤٨	الى القرآن الكريم
٨	الشهيد مطهري	٤٩	الدوافع نحو المادية (الطبعة الثانية)
٦	محمد المبارك	٥٠	نظام الاسلام (الاقتصاد، مبادئ وقواعد عامة)
٢	آية ... جنتي وامامي كاشاني	٥١	الدفاع المقدس
١٠	علي الأوسي	٥٢	الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان
٢	ابوالاعلى المودودي	٥٣	القانون الاسلامي
٣	محمد علي التسخيري، محمود قانسوه	٥٤	صلاة الجمعة والروايات المشتركة حولها
٤	محمد علي التسخيري، محمود قانسوه	٥٥	الصوم: معطياته، احكامه والروايات المشتركة فيه
٤	الشهيد محمد باقر الصدر	٥٦	بحث حول المهدي
٣	قسم العلاقات الدولية	٥٧	الشعر التائر

٧	الدكتور مهدي گلشنی	٥٨ القرآن ومعرفة الطبيعة
		٥٩ مع المؤتمرات ج ٢ (ملتقيات)
١٠	معاونية العلاقات الدولية	٦٠ الفکر الاسلامي في الجزائر
		٦٠ مقالات المؤتمر الثاني للفکر
١٠	معاونية العلاقات الدولية	الاسلامي في طهران
		٦١ مقالات المؤتمر الثالث للفکر
١٠	معاونية العلاقات الدولية	الاسلامي في طهران
٦	الشيخ جعفر سبحاني	٦٢ البداء في ضوء الكتاب والسنة
		٦٣ أكذوبة تحريف القرآن بين
٦	رسول جعفریان	الشيعة والسنة
٦	الشهيد بهشي	٦٤ الاقتصاد الاسلامي
٦	سيد هاشم رسولي محلاتي	٦٥ عقاب الذنوب
٣	محمد رضا الانصاري	٦٦ مختارات من الأحاديث النبوية
		٦٧ موقف علماء المسلمين من
٢	الدكتور عزالدين ابراهيم	الشيعة والثورة الاسلامية
		٦٨ رأي الاسلام في السلام
٢	محمد علي التسخيري	المفروض
٣	جواد جبل	٦٩ صدى الرفض والمنفعة (شعر)
		٧٠ مصادر الدراسة عن الدولة
٤	عبدالجبار الرفاعي	والسياسية في الاسلام
٥	الشيخ محمد تقی رهبر	٧١ دروس سياسية من نهج البلاغة
٤	حسن الطارمي	٧٢ الرجعة بين العقل والقرآن
٥	محمد علي التسخيري	٧٣ دروس في الاقتصاد ج ٢
		٧٤ مقالات المؤتمر الرابع للفکر
١٠	معاونية العلاقات الدولية	الاسلامي
		* ملاحظة: ان الثمن المذكور امام كل من مجلتي التوحيد والهدى
		هو لاشترک سنوي.

